غابرييل بونيه

ترجمة: أكرم ديري - المقدم الهيثم الأيوبي

الحرب الثورية في فيتنام



تاريخ وفنون ودروس الحرب الأميركية - الفيتنامية



دار الطليعة - بيروت

الحرب الثورية في فيتنام

تاريخ وفنون ودروس الحرب الاميركية - الفيتنامية

الحرب الثورية في فيتنام

تاريخ وفنون ودروس الحرب
الاميركية - الفيتنامية

تأليف:

غابريل بونيه

تعريب:

أكرم ديري

المقدم الهيثم الايوبي

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت

La Guerre Révolutionnaire

du

Vietnam

Payot, (Paris, 1969)

الطبعة الأولى

آذار ١٩٧٠

تقديم

يوجه عالمنا المعاصر أضواء فريدة من نوعها على إحدى مآسي التطور البشري الكبرى في العالم . وسيكتشف العلماء والاجتماعيون ومؤرخو القرن الواحد والعشرين في هذه المأساة أصداء غريبة وتناقضات مدهشة حينما يعرفون أن القرن العشرين يتضمن من الاكتشافات العلمية ما يدهش الانسان لكثرة ما فيها من عبقرية واعجاز ، ووقوع هذا العصر رغم التقدم والازدهار فريسة بين أنياب البربرية والوحشية التي تزرع في وجوده الرعب والشقاء .

قرن من الزمان عاش بين متناقضين .. قمة الحضارة ، وقمة الانحطاط .. ذلك الانحطاط المعنوي الذي يتجسد في الصراع ضد الحروب الثورية .

حقاً لقد كانت هناك دوماً عبر كل القرون حروب ثورية [1] ، ولكن لم تكن هناك حروب اكثر شراسة ، أو اكثر تدميراً والتهاماً للأخضر واليابس ، وتتسم بعدم التكافؤ والتوازن بين القوات المتصارعة كالحرب الفيتنامية ـ الامريكية .

فبعد ست سنوات من الحرب الجزائرية ، وبعد أربعة عشر عاماً من حرب الهند الصينية ، وفي قلب حقول الأرز ، ووسط غابات فيتنام وادغالها النامية

---

(١) انظر ، للمؤلف : *Les guerres insurrectionnelles et révolutionnaires de l'antiquite a'nos jours*, (Payot, Paris 1958) ,
وهو مترجم الى ثلاث لغات .

ذات الأغصان الكثيفة المتعرشة ، أقـــدم الامريكيون على اكثر المغامرات جنوناً ، فعانوا نفس الاخفاق الذي عاناه الفرنسيون قبلهم مضاعفاً مائة مرة . وكانت الحسرات مع مرور الزمن ، حسرات قوية ودافقة عندما لاحظ العـالم كله إساءات الامريكيين والأضرار التي ألحقوها بالانسانية معارضين بذلك تيار التاريخ ، مقدمين الدليل على افتقارهم للذكاء والفطنة التي تتفق مع العصر الذي نعيشه اليوم .

وكيف لا يندهش المرء من عجز الامريكيين عن الافادة من تجربة الماضي ، ووقوعهم من جديد في ضلال وتيه من أسخف وأتفه ما عُرف حتى الآن ؟.. ولماذا أظهروا مثـل هذا العناد حينما استمروا في استخدام العنف ؟ وأخيراً ، لماذا تتراجع قوتهم العسكرية والصناعية – وهي اكبر القوى التي عرفها التاريخ في مختلف الازمان – أمام شعب صغير كان مسحوقاً على مر العصور ، ولكنه كان دائماً يصنع لنفسه بعثاً متجدداً ؟. ونقف امام سؤال يفرض نفسه على هذا النزاع التاريخي : الى اي بلد من بلدان العالم الثالث سيمتد هذا النزاع ؟

ولكي نعي هذه الحقائق بصورة واضحة جلية ، لا بد لنـا ان نعرف منذ البداية المعطيات الجغرافية لهذا البلد [1] ، والمبادىء التاريخية والبشرية الثابتة التي يقوم عليها مسرح العمليات الفيتنامي ، وأن ننقب فيما بعـــد عن المظاهر الأساسية لهذا المسرح ونفسرهـا من وجهتي النظر التكتيكية والاستراتيجية (الاستراتيجية العامة والاستراتيجية العسكرية) لنزاع تكثر فيـه الدروس والعبر . وفي هذه الصورة العامة للنزاع التي سنرسمها بخطوطها الكبرى، سنضع

---

(١) وذلك بالتأكيد ، على دراسة « الجغرافيا العسكرية » ، التي يقول غاستون بوغول عنها: « انها الجغرافيا المتعلقة بفن الحرب والتي تصف المناطق التي تتركز فيهاوتتكرر المواجهة المسلحة والنزاعات بين الدول عبر كل القرون » – مقال « الحدود واتفاقيات السلام »في جريدةلوموند، ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ . راجع للمؤلف نفسه :

Traité de Sociologie : Les guerres, éléments de polemologie , (Payot , Paris 1951) .

العلامات الدالة ، وسندرس أهم العمليات المميزة في هذه الحرب .

حقاً ، اننا لا ندعي تغطية هذه الدراسة تغطية شاملة عميقة وواسعة المدى. ولكن اذا كان بوسعنا ان نلقي بعض الأضواء الجديدة ، وإثارة بعض التأملات الخصبة والخلاقة ، وتوضيح الخسارة التي تنجم عن عدم التسامح ، وكان عملنا يتسم بتجرد تام يتلاءم مع التاريخ على مستوانا المتواضع ، ووصلنا في النتيجة الى الدليل القاطع على أن القضية الامريكية في فيتنـــام قضية خاسرة ، أمكننا عندئذ ان نقول بأننا ساهمنا في تمزيق ستار الرعب الغامض الذي تحاول امريكا فرضه على الشعوب النامية لتحيل بلادها الى فيتنام جديدة ، وأدينـــا مهمتنا ورسالتنا خير اداء .

المؤلف

القسم الاول

البلد والرجال

(المعطيات الاساسية)

دخلت الحرب الى فيتنام مع الانسان ذاته . وعبر عدد كبير من المآسي ، وخلال تاريخ يقارب الثلاثة آلاف عام ، كانت فيتنام مسرحاً للصراع ضد القبائل المجاورة وضد الاقطاعيين الصينيين الذين كانوا يتحكمون بهذه القبائل ويتسلطون عليها . وقد أثرت طوبوغرافية الارض ، ومزروعاتها ، ومناخها ، وبخاصة طابع شعبها وخصائصه الملائمة كل التلاؤم لهذه العوامل المختلفة ، أثرت هذه العوامل كلها على العمليات العسكرية .

وللشعب الفيتنامي طبعه الخاص وعبقريته الخاصة ، اللذان اثر كلاهما على مستقبله وتحكما فيه ، برغم كل صروف الأقدار التي كانت تخضعه وتذله . ان تحليل خصائص هذا الشعب ، واكتشاف ميوله واتجاهاته ، وفهم عاداته وحياته ودينه وأخلاقه وآلامه وآماله ، وتقدير قوة إرادته وعمق وطنيته وأصالتها ، وفهم استمرارية روح التحرر لديه ، ومعرفة أصله وجوهر تاريخه الذي يعتز به ، والميدان الشاسع الذي جرت فيه « حروبه العادلة ، وحروبه حتى الموت » عبارة عن امور ضرورية وهامة في ايامنا الخطيرة الحاسمة لفهم حقائق كثيرة مذهلة ، وتفسير تصميم الشعب الفيتنامي على النصر .

الفصل الأول

المعطيات الجغرافية

الجغرافيا الطبيعية

الموقع والتضاريس :

تقع فيتنام على مسافة خمسة عشر ألف كيلومتراً من الولايات المتحدة الامريكية ، بين خطي العرض الشمالي ٨٫٣٣ و ٢٣٫٢٢ . وتحدها الصين من الشمال ، ولاووس وكامبودجيا من الغروب . وتبلغ مساحتها ٣٢٩٫٥٠٩ كيلومتر مربع ، ويبلغ عدد سكانها اكثر من ٣٦ مليون نسمة [١]. وتحاذي فيتنام الجزء الشرقي من شبه جزيرة الهند الصينية . وتعتبر « شرفة الشرق الأقصى » ، وتمتد سواحلها على مسافة ٢٫٤٠٠ كيلومتراً ، من خليج تونكين الى خليج سيام .

وتتمتع فيتنام بتضاريس متبدلة ، متوازنة بشكل منسق رائع . فتغطي

---

(١)

	المساحة	عدد السكان (بالملايين)
فيتنام الشمالية :	١٥٨٫٧٠٠ كم٢	١٩٫٥٠٠
فيتنام الجنوبية:	١٧٠٫٨٠٦ كم٢	١٦٫٥٤٣
	٣٢٩٫٥٠٦ كم٢	٣٦٫٠٤٣

الجبال مـا يقارب نصف اراضيها . وتحتل هذه الجبال جزءً هاماً من فيتنام الشمالية ، حيث يصل ارتفاع بعض الكتل الجبلية الى ٣٠٠٠ر٣ متر . وهنـاك نجود كلسية تقطعها وتجزئها مضائق عميقة ، تمتد شامخـة من حدود الصين الى المحيط الهادىء . ويشكل فيها خليج آلونغ المشهور منظراً عاماً وشاملاً من الصخور الضخمة ، وسط قمم جبلية مخضرة . ونجد فيهـا صخوراً هائلة تحتوي على مغارات تكونت بصورة غريبة ، تشكل في هذه الارض لوحة جميلة فريدة من نوعها في العالم ، فوق شواطىء من الرمال البيضاء .

وتنحدر السلسلة الجبلية الانامية انحداراً بطيئاً نحو الغرب الى فيتنـام الجنوبية مشكلة قوساً كبيراً محدباً باتجاه هضاب الداخل المرتفعة (نجود بليكو ، ودارلاك ، ولانغ بيان) والميكونغ . وتتفرع الجبال والوديان عمقاً ، على طول سلسلة هذه الجبال الرئيسية في كل الاتجاهات . وغالباً مـا تشرف الجروف الصخرية الطبيعية على ساحل من السواحل التي تحتوي تجاويف وكهوف واسعة ، وتكثر فيها الخلجان المحمية جيداً والملائمة الى حد كبير للتموين السري بالسلاح والذخيرة والعتاد من كل نوع بواسطة مراكب تتسلل الى فيتنـام - الجنوبية ، وتعمل في صفوف الفيتكونغ . وبالاضافة الى كل هذا نجد ان المجاري التي تنبـع مياهها من السلسلة الجبلية تنتشر في سهول ساحلية ضيقة ، لتشكل مستنقعات تكثر فيها الجزر المحاطة بالمياه بشكل يجعلها ارضاً مثالية لقتال العصابات. وعلى مدى ٥٠٠ر١ كم من طول الشاطىء ، نجد الطريق العامة الرئيسية التي كانت تصل بالأمس بين هانوي وسايغون عن طريق هوي المدينة الامبراطورية .

الغابات والادغال :

تغطي الغابات جزءً لا بأس بـه من السلسلة الانامية ومن النجود. فهي تتسلق الانحدارات القوية التضاريس وسط طبيعة خصبة وصعبة . وتأوي هذه الغابات مجموعة هائلة من الحشرات ومجموعة من الطيور والحيوانات المحليـة التي تثير الدهشة بتنوعها . فالخنازير البرية ، والقرود ، والقطط الوحشية ، والبط

البري ، والدجاج البري ، تنشر الحياة في تلك الغابات وتلعب وسط أغصان الاشجار الكثيفة . وترتفع الاشجار من كل نوع الى أعالي الأجواء . وتنتصب سيقان بعض الاشجار وكأنها منعزلة عما حولها ، على ارتفــاع اكثر من ثلاثين متراً . وتمتاز هذه الاشجار بباقة أوراق دائمة يتراوح ارتفاعها بين ٢٠ و ٢٥ متراً ، تنبعث جذورها الضخمة من الارض ، وتلتف الاغصان المتعرشة حول جذوعها مندفعة من غصن الى آخر ، مشكلة أطواقاً خضراء . وتغطي احياناً صفائح من الطحل بمجموعة من الاشجار الميتــة . وتعتبر السرخسيات وأشجار البامبو نباتات تنمو تحت ظلال الغابة نفسها . ولا يمكن للمرء ان يرى السماء إلا عبر بعض الفتحات النادرة في الغابات . ويحس الانسان فيها بالعتمة بحيث تصبح الرؤية محدودة فيها الى حد كبير . وتبلغ الرطوبة فيهــا اقصى الدرجات التي تبعث على اليأس والقنوط . وتسود فيها رائحة كريهة وعفونة مزعجة . ومع ذلك يحس الفيتنامي بالراحة التامة وسط هذا الجو ، إلا ان الرجــل الأبيض يعاني فيه نوعاً من الضيق . وهو يمشي ليلاً وكأنه يتحسس موطىء قدميه .

وعندما تختفي الغابة ، تظهر بعدهــا السهوب المعشوشبة . وتشكل كتلة كثيفة يصعب اجتيازها ، عبارة عن دغل كثيف ، تقطعه المستنقعات والانهار العديدة ، وتحرقه احياناً شمس لا ترحم ، او تغرقه في الميــاه امطار غزيرة وعنيفة . ويبلغ ارتفاع باقات الاشجار المتبعدة بعضها عن بعض في هذه السهوب ارتفاعات هائلة . وهناك مجموعات من الاغصان المليئة بالاشواك ، وسرخسيات عرشت اغصانها الحاملة لأوراق كبيرة لتشكل مــا يشبه الاشجار المعرشة ، وباقات البامبو و « حشائش الفيل » التي يبلغ ارتفاعهــا من ثلاثة الى اربعة امتار ، وهي اعشاب قاطعة بثخن اصابع اليد ، تنمو بينها نباتات متسلقة لا حصر لها ، تضغط على الرجــال البيض وتحيط بهم . ويعتبر السير في الادغال بالنسبة لهؤلاء الرجال عملية من أشق العمليات ، كما تعتبر الحرب في الادغــال من اصعب الحروب وأشقها. فهم لا يرون في الادغال ارضاً ولا سماء ، ويحسبون دوماً حساباً للطيور الجارحة التي تحوم محلقة فوق الغابات راسمة في الجو دوائر

كبرى مفتشة عن جيفة من الجيف، وتغوص الارض احياناً تحت وقع خطواتهم، وتصفعهم النباتات المعرشة كالسياط على وجوههم، وتقرص الاشواك أذرعتهم، ويعضهم العلق البري (ذوات المحجم) ، فيمتص دماءهم ويسبب لهم الكثير من الآلام، ويتنزه النحل الاحمر على وجوههم ليلسعهم، ويترك آثاراً كالنار على بشرتهم . وفي خضم هذه الطبيعة القاسية التي يختفي وراءهـا أفخاخ ماكيافيلية يصنعهـا الثوار، تدخل التعاسة بمرور الزمن الى قلوب الرجـال البيض فتفقدهم الأمل .

مجموعات الدلتا وحقول الأرز :

تقدم مجموعات الدلتا الفيتنامية، والتي تخترقها شبكة كثيفة من الانهـار وأقنية الري، صوراً مختلفة . وهناك اعمـال ري (سدود – قنوات .. الخ) هائلة تتتابع فيها منذ اجيال عديدة . كما أن الحرارة، وغزارة المياه، وتراكم الطمي الخصب جعلت منها مناطق زراعية غنية، نمت فيهـا وتطورت « حضارة الأرز » .

ويتحكم بكل حياة فيتنام نهران كبيران ينبعان من التيبت : النهر الأحمر، وهو لا يخترق إلا فيتنام – الشمالية . ويبلغ ارتفـاع مياهه احياناً ١٣ متراً . وترسم مياهه التي يشبه لونها لون الآجر، منحنيات متعرجة، وتتفرع في الدلتا المنخفضة – وهي دلتا كبيرة تعادل مساحتها نصف مساحـة بلجيكا – وسط شبكة غريبة مؤلفة من اذرع للنهر وأقنية . ولهذه المنطقة التي تعتبر من اخصب المناطق في العالم طابع خلية من خلايا النمل تكثر فيها الحقول وحقول الارز . وتنتشر فيهـا حقول الارز، وكأنها مرايا كبيرة مشبعة بالخضرة . وتشتمل حقول الارز هذه على سلسلة متتابعة من الاحواض المسطحة المليئة بالمـاء، المفصولة بعضهـا عن بعض بخطوط ترابية مرتفعة تشكل في الوقت ذاته سدوداً ومسالك .

والنهر الثاني هو نهر الميكونغ . وهو يجري في تلألؤ بديع زاه . ويجتاز

هذا النهر أعالي لاووس ، ويفصل بين وسط لاووس وتايلاند ويسيل في السهل الكامبودجي الكبير بين صخور عمرها آلاف السنين ، هي من بقايا حضارة من اقدم الحضارات في العالم ، ويصب في بحيرة ذات شواطىء غير ثابتة . ثم يتوغل وسط فيتنام الجنوبية حيث تمتد فروعه العديدة التي تسبح فوقها بمجموعات المراكب الصيفية « السامبان » ذات الأشرعة الكبيرة المقوسة . ان إيقاع هذا النهر ، إيقاع بطيء وقوي ، يمخر مجراه سهل الدلتا الواسع المليء بالمستنقعات المحاطة بالاشجار المدارية . وتشكل هذه الدلتا مستودع أرز ، ويتجمع فيها نصف سكان فيتنام الشمالية ، لذا فهي تتمتع بأهمية سياسية واستراتيجية مؤكدة . إذ ان كل من يتمركز فيها ويتحكم بها يسيطر على تموين سايغون ، ويهدد بالشلل والتدمير هذه العاصمة المعرضة في الأصل الى كثير من المخاطر .

المنــــاخ :

ان فيتنام بلد حار (فهو واقع تحت مدار السرطان) ، كما انــه بلد كثير الرطوبة . وتنقسم السنة فيه ، تحت تأثير الرياح الموسمية [١] الى فصل رطب ، يأتي في وقت قدوم الصيف في اوروبا ، وفصل جاف ، يتفق زمنياً مع فصل الشتاء الاوروبي . وبالاضافة الى ذلـك يتنوع المناخ ويتبدل بسبب التضاريس وشكل الارض . وتقسم السلسلة الآنامية البلاد الى منطقتين مناخيتين .

فإلى الغرب من هذه السلسلة ، أي في فيتنـام الجنوبية ، يكون الطقس في اغلب الأحيان حاراً : وليس هناك من شهر ينزل فيه متوسط الحرارة عن ٢٠ درجة مئوية (حتى أن متوسط درجة حرارة اكثر الأشهر برودة في سايغون

---

(١) الرياح الموسمية هواء فصلي يهب بصورة متناوبة من القــارة ومن البحر . ففي الشتاء « تنفث آسيا » الهواء ، وفي الصيف « تستنشق آسيا الهواء » . وتبدل الرياح الموسمية اتجاهها مرتين في العام، في الربيع وفي الخريف. ويشكل هذا « التحول في اتجاه الرياح » الفصل السيء: حيث يكون الفصل فصل العواصف والأعاصير « التيفون » التي ترافقها رياح عنيفة وأمطار غزيرة جداً .

٢٦ درجة مئوية) . والرياح الموسمية في الشتاء لطيفة جداً من نوفمبر (تشرين الثاني) الى فبراير (شباط) ، ولكنهـا أشد حرارة من فبراير (شباط) الى ابريل(نيسان). وتهب الرياح الموسمية الصيفية فجأة وتحمل غيوماً سوداء كثيفة تصحبها عواصف هائلة مزمجرة على الدوام ، تسد الأفق بستار من الأمطار تحدد العمليات ، وتعرقل بصفة خاصة طلعات الطيران . وعنـد سقوط الامطار يتصاعد من حقول الارز بخار كثيف ، وضجيج أشبه بضجيج دوران آلة من الآ لات . ويتجمع البخار الكثيف على الطرقات لتغدو غير صالحة للاستخدام ، وتشكل مستنقعاً كبيراً لا نهاية له .

والى الشرق من السلسلة الأنامية يسود جو اكثر اعتدالاً من الجـو الاول . فمن يوليو (تموز) الى اوكتوبر (تشرين الاول) ، يكون المناخ حاراً ورطباً ، وتبدأ الرياح الباردة الصادرة عن القارة بالهبوب ، وتتعدل درجـة الحرارة وتتلطف، ويقل هطول الامطار . ويشتمل الشتاء بوضوح على ثلاثة اشهر باردة حقـاً (يبلغ متوسط درجة حرارة اكثر الشهور برودة في هانوي ١٦ درجة مئوية) ، أما المنطقة الشرقية من فيتنام ، فهي تتعرض غالباً مثلهـا مثل جزء من النجود العالية ، لرذاذ من المطر الخفيف المتواصل ، الذي يسببه احتكاك الهواء القاري البـارد بالهواء البحري الدافىء لخليج تونكين . وتتجمع الغيوم الرمادية اللون وتتحرك مع سفوح الجبال لتعيق انتشار الطائرات الامريكية . اما حرارة الربيع فهي بالعكس حرارة جافـة ، قبل وصول الرياح الموسمية البحرية ونزول الامطار الاولى التي تهطل في نهاية شهر مايو (أيار) .

الجغرافيا البشرية

المناطق الآهلة بالسكان :

تنظم الرياح الموسمية وتضبط إيقاع الحيـاة الفيتنامية منذ آلاف السنين . فالمـاء مضافاً الى الارض الطيبة الخصبة يخلق خلايا نمل بشرية حقيقية في

السهول [١] ، في حين لا تتمتع الجبال والنجود إلا بسكان موزعين في أنحاء متفرقة. ويغذي ارز السهل، الذي يعطي محصولين أو ثلاثة محاصيل في العام الواحد الجماهير الشعبية : ويعيش عدة مئات من الرجال في الكيلومتر المربع. ويتصف أرز الجبال والمزروعات الأخرى التي تزرع فوق ارض بعض الغابات المحروقة[٢] بقلة المردود. إذ لا يكاد مردود الكيلومتر المربع يكفي لتغذية عشرة أشخاص. وتكمل تربية الخنازير والماعز والدجاج ، والصيد ، وصيد الأسماك هذه الموارد البدائية .

الفلاح الفيتنامي :

يعرف الفلاح الفيتنامي[٣]، الذي يعتبر صياد أسماك ماهر ، قيمة العمل وثمنه وندرة الأشياء الضرورية له . فهو ينحني أياماً طويلة تحت سماء محرقة ، وساقاه النحيلتان غارقتان في الوحل ، أو يجلس في مركبة « السامبان » ليسير على انحدار الماء المتلألىء ، وهو يعرف ان حقل الارز والنهر لا يمنحانه رزقه إلا إذا بللهما عرقه المتصبب ، فمنحهما الخصوبة والخير . وهو يعرف ايضاً أن خسارته لحبة ارز واحدة أو قطعة من السمك المجفف يعني عدم قيامه بواجبه . ولهذا فإنه يحب ماءه وأرضه وقريته كحب الطفل لأمه .

---

(١) تمثل السهول في فيتنام أقل من خمس مساحة فيتنام (٣٢٧٥٠٠٠ كم٢) ، الا أن أربع أخماس سكان فيتنام يتزاحمون في حقول أرز تونكين المنخفضة . وكانت كثافة السكان في دلتا نهر تونكين ٤٣٠ كم٢ . وكان في هذه الدلتا ٦٫٥ مليون نسمة ، وكانت أعلى معدلات الكثافة السكانية قد بلغت ١٢٠٠ كم٢ . وكانت هانوي ، قلب هذه الدلتا ومركزها الاداري والفكري. وفي الكوشنشين كانت سايغون – شولون ، الواقعة على ٧٠ كيلومتراً من البحر ، والتي يسكنها اكثر من مليون نسمة ، تشكل اكبر مرفأ ، وأضخم تجمع سكاني في الهند الصينية .

(٢) يدمر الفلاحون جزء من الأدغال ويحرقون أشجارها ونباتاتها المتسلقة ليمارسوا زراعتها لعام أو عامين على الرماد الذي أحدثه الحريق .

(٣) حتى بداية حرب الهند الصينية الأولى كان ٨٠٪ من اليد العاملة الفيتنامية مؤلفاً من الفلاحين والعمال الزراعيين .

القرية التقليدية :

تشكل القرية الفيتنامية ، التي نظمت من قبل تنظيماً في غاية الدقة : الخلية الدينية والاجتماعية والسياسية . ويبرز منظرها الذي لم تخترق الحياة الحديثة أعماقه حتى الآن أنبل حكمة . فبيوتها المبنية من الآجر ، بسقوفها المعجونة بالتبن ، وحدائق الخضار الصغيرة المحيطة بالبيوت ، والألوان المتلألئة الساطعة المصبوغة بلون الدم ، وأشجار النخل الهندي ذات الأوراق المضطربة ، وأشجار البامبو التي تنحني عند هبوب الرياح ، وجواميس القرية بجلودها الممرغة بالوحل ، وبركها التي يتصاعد منها نقيق الضفادع ، كل هذا يبرز للعيان في ظل أغصان الاشجار وفروعها المتسلقة . وترى الاطفال في القرية يتدافعون ويلعبون على مقربة من شيوخ القرية الذين يكنون لهم كثيراً من الاحترام ، وكأنهم أسراب من العصافير الدورية ، على حين تتصاعد الصلوات من المعبد ذي السقف المدبب ، تحت اغصان اشجار التين الهندي الكثيفة .

العامل الديني :

ولا يعتنق الفيتناميون ديناً واحداً . فقد وضعتهم مصادفات التاريخ بتماس مع ثلاثة مذاهب ذات أساس فلسفي اكثر من اساس عقائدي وهي التوتمية والبوذية والكونفوشيوسية . ودخلت المسيحية الى فيتنام في القرن الخامس عشر بواسطة المبشرين من الاسبان والفرنسيين . وولدت التوتمية عبادات مختلفة اكثرها دلالة هي تقديس بعض الابطال الوطنيين . وتتسم البوذية بالورع الحاد. وتنتشر معابدها المتعددة ، في كل انحاء فيتنام مقدمة انموذجاً عن الجمال الرائع. وتطبع الكونفوشيوسية الفيتنامي بطابعها ، فهي بجوهرها عقيدة اخلاقية صرفة : إذ يدين الخلف بالاحترام التام والولاء للسلف . ان عبادة الأجداد تربط بين الأحياء والأموات ، فتجعل من العائلة الواحدة أداة استقرار واستمرار. وترتضي كل الأديان بهذا التقليد المستقى من الصين الكونفوشيوسية. كما تقبل معظم الاعياد التي تقيم القرى خلالها احتفالات كبرى ، احتراماً للآلهة وتقديساً للقوى السحرية الغامضة التي تحمي الشعب . وللأرز الجديد ،

ولأقمار كل شهر من الاشهر احتفالات خاصة تقام ، إذ يقام للقمر الاول من كل عام حفل كبير ابتهاجاً باليوم الاول من ايام السنة الفيتنامية ، ويمتلىء هـذا الحفل بالصلوات والقرابين والذبائح .

الفنون ، الأدب ، المسرح ، الغناء :

لم يغير الشعب الفيتنامي طباعه عبر القرون التي خلت ، فهو يحتفظ حتى الآن بطرافة الارض التي يسكنها ويحبها الى حد كبير . وربما كانت هذه الارض تعطيه بكثير من المهارة ، حساً ثابتاً عن التناسق والجمـال . ويعبر الفيتناميون عن هذه الأحاسيس بشكل ملموس يبرهن عن تذوق موروث لكل الفنون [١] وبخاصة فنون الهندسة المعمارية ،والنحت ، والتصوير الزيتي ، المستلهمة والمستوحاة من البديعيات الصينية .

ويفسر الأدب والمسرح والغناء في فيتنام هذه الفنون التي تظهر فيهـا آثار الحضارة الصينية [٢] ، عبقرية شعبية كاملة . ويمارس الغرب وبخاصة فرنسا ،

---

(١) ان الأمثلة على ذلك كثيرة ويزخر بها كل مكان. فمعبد كونفوشيوس في هانوي، والقصور والمقابر الامبراطورية في هوي ، والتي دمرها الامريكيون ، مع الأسف، والهيا كل العديدة ذات السقوف المنحنية ، والمزودة بشباك حقيقي من الحجارة ، والفيلة الجميلة بألوانها ونقوشها المتعددة الألوان والمنحوتة على باب الآلهة ، والتنين الشرس المصور على الجدران ، والحدائق الغنـاء المزروعة بنباتات نادرة ، والمليئة بالصخور الاصطناعية ، والمغاور والبحيرات المصغرة ، ان كل هذا يشهد بعبقرية الفنانين الفيتناميين الذين يقطعون حجر الجـاد بدقة رائعة وذوق هائل ، ويرسمون على الحرير أو الأنسجة القطنية أو الكتانية ، ويصنعون أواني الزهور ، والأساور والأواني الخزفية المطلية والمنقوشة ، وصناديق الزينة المنقوشة والمطعمة بالرسوم ، والأواني المعدة لحرق البخور والمنقوشة بشكل حاذق ، والتماثيل الصغيرة ، والمفروشات المصنوعة من الخشب الدقيق والعاج ، واللك الصيني مع تطعيمها بالمينا الأبيض .

(٢) كان المثقفون الفيتناميون يؤلفون انتاجهم الأدبي ، طيلة عشرة قرون من الاحتـلال الصيني ، باللغة الصينية . وكانوا ينهلون مضمونه الأدبي ومواضيعه من الثقـافة الصينية . وفي القرن الثالث عشر ، تشكلت بالتدريج لغـة قومية فيتنامية خاصة « الشونوم » أو الحروف العامية . ومنذ القرن السابـع عشر أتاح استخدام الحروف اللاتينية للنخبة المثقفة وسيلة التماس مع الثقافة الغربية . وقد برهنت هذه المرحلة عن بعث حقيقي في الميدان الأدبي .

نوعاً من التأثير على الأدب الحديث . ويتخذ الشعر مع النثر شكلا بسيطاً يتلاءم ويتطابق مع قلق العصر . وتحتل الرواية مكاناً اهم من الشعر الغنائي . فتقدم تصويراً دقيقاً لعواطف الشعب. ومواضيع القصص الروائية المفضلة هي الطبيعة ، والحرب ، والتعلق بالارض والارتباط بها ، والفضائل الكونفوشيوسية . وينتشر المسرح انتشاراً واسعاً ، ويعتبره الفيتناميون من الاشياء المحببة اليهم ، وهو يبحث عن موضوعات اعماله عبر قصص التاريخ القومي لفيتنـــام . وتمجد المسرحيات التي تمثل وسط « ديكورات تاريخية » تتفق مع العصر الذي جرت فيــه الأحداث ، وتلعب الموسيقى دوراً رئيسياً خلال العروض المسرحية التي تمجد الاعمال الحربية والتقاليد التي تغنت بها الاخلاق الكونفوشيوسية .

ويفسر الفيتنامي الميال بطبعه الى المرح والحبور ، انفعالات النفس والروح ويحولها الى أغان ينشدها ويتغنى بها . وتعكس تركيباته الشعرية مجموعة من العواطف الانسانية . فإذا بأغانيه ذات قوافٍ متوازنة تدل على الجهد الذي يبذله الانسان الفيتنامي وتجعله ينسى هذا الجهد من خلالها . وهي أغان هادئة تنساب ببطء فوق ماء النهر مع مراكب « السامبان » الصينية الخفيفة ، وأغان غرامية تتمازج أبياتها مع اصوات الطبيعة ، وأغان حلوة تسمعها مساء عبر حواجز البامبو الواهية ، عندما تهز الأم الفيتنامية مهد ابنها لكي ينام ، وأغان حربية ذات نبرة قوية ، وإيقاع عنيف تدفع الجماهير في تيار حماسي ، وتدعوها الى الصراع بحثاً عن الحرية ، في كل الأزمان ، وعبر جميع العصور .

الفصل الثاني

المعطيات التاريخيّة

تتحكم الجغرافيا بالتاريخ وتفسره، حتى في ملامحها المشتركة مع علم الاجتماع. وتركز الانتباه على كل ما يصنع وحدة بلد من البلدان ، بصورة حقيقية ، وهو الشعور القومي لشعب من الشعوب ، عند التعبير عنه بمختلف أشكال الوطنية .

منذ التاريخ القديم حتى الاحتلال الفرنسي :

فيتنام بلد يطمح إليه كثير من الغزاة ، وهو نقطة احتكاك عالمين : العالم الهندي والعالم الصيني ، المؤلفان من جماهير ضخمة تصطدم حضاراتها وتتداخل على ارض فيتنام . وفي العصر النيوليتي (عصر الحجر المصقول) ، ولد الشعب الفيتنامي من امتزاج الموبونغ والتايبس والصينيين. وقد نشأ هذا الشعب وروحه ممتزجة دوماً بدم المعارك .

وعبر قرون طويلة، كان الصينيون والمغول والهنود ومن بعدهم الاوربيون، يحاولون إخضاع هذا الشعب لنفوذهم بالقوة . ففي القرن الخامس قبل الميلاد ، خضع هذا الشعب لنفوذ الصينيين . وفي عام ٣٩ ميلادي ، حملت بطلتان هما الشقيقتان ترونغ راية الثورة والتمرد ضد الحكم الصيني الاقطاعي . وبعد طرد

الصينيين من الاراضي الفيتنامية عادوا اليها مرة اخرى بالقوة . وخلال اكثر من عشرة قرون اقاموا فيها حضارتهم بصورة متينة وقوية .

وقامت ضد احتلالهم وتسلطهم من عام ٦١٨ الى عام ٩٠٦ عدة ثورات ، كانت القومية المحلية العامل المحرض فيها . وعندما تحرر الشعب الفيتنامي من قبضة الاحتلال الصيني في عام ٩٣٩ ، أسس دولة أنامية تحت زعامة سلالة نغو (٩٣٩ - ٩٦٨) . وبرهنت هذه الدولة عن شجاعة تفوق شجاعة البشر ، تركزت فيها روح الأبطال ، ونفح القصص القديمة . وأنشد شعراء هذه الدولة الاعمال البطولية لنام ترونغ الذي تراجعت امام بطولته ثلاث غزوات مغولية في عام ١٢٥٧ و ١٢٨٥ و ١٢٨٧ ، وراح الشعراء يتغنون ايضاً بأبطال آخرين مثـــل مي توك لوان ، وتران هونغ داو ولاي تيونغ كييت الذي هز سيفه المنتصر الصين القديمة . ويمثل كل هؤلاء ويرمزون الى المجد العسكري، والتحرر القومي علاوة على كونهم رمزاً لحب الوطن وفدائه .

وفي القرن الخامس عشر ، أعاد الصينيون محاولة إدخال المدنية الصينية الى البلاد مستفيدين من الاضطرابات الداخلية . فطبق نغوين تري حرب العصابات بالتنسيق مع الحرب النظامية ، والكفاح المسلح مع الكفاح السياسي . وبهذا الشكل قامت الدولة الانامية بطرد المحتل من بلادها .

وفي ظل سلالات حاكمة متتابعة ، قام نغوين تري بالتقدم الى الجنوب والى الغرب ، فطرد شعوب الشام والتاي والميو والموي الى المنطقة العاليـــة وأعالي النجود. وفرض إرادته على كل الجزء الشرقي من شبه الجزيرة . ومن القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر ، قامت الحرب بين عائلتين اقطاعيتين هما عائلتا الترينة (في الشمال) ، والنغوين (في الجنوب) . وفي عام ١٧٧٣ تزعم الاخوة الثـلاثة تاي سون ثورة شعبية موجهة ضد أسياد الجنوب الاقطاعيين ، فحققوا عليهم عدة انتصارات ساحقة . وفي الشمال قام أحدهم وهو نغوين هوي بقيادة الثورة الفلاحية لعام ١٧٧١ الى نهايتها ، وأعـاد توحيد البلاد المجزأة في

عام ١٧٨٦ ، وفي عام ١٧٨٩ هزم جيش الغزاة التسنغ الذي كان يضم ٣٠٠٫٠٠٠ جندي ، والذي جاء لمساعدة الملك لي آخر ملوك سلالته .

وغدا نغوين هوي الحاكم المطلق وسيد كل البلاد . ثم وضع أحد أحفاده من بعده حداً للحرب الأهلية . وتلقى هذا الوريث الحفيد الدعم ، الذي لم يكن يتوقعه ، من أحد المبشرين وهو الأسقف بينو دو بيهين ، أسقف ادران . وجند عدداً كبيراً من المتطوعين من بين الضباط والفنيين الفرنسيين العاملين في الشرق الأقصى. وتوج نفسه ملكاً في هوي باسم جيا – لونغ(١٨٠٢–١٨٢٠)، على امبراطورية موحدة ومركزية تمتد من حدود الصين الى خليج سيام ، تضم الارض التي تمثل شمال ووسط وجنوب فيتنام . وتمتع بالدعم الشعبي بفضل التدابير الذكية الماهرة التي اتخذها : كالعفو العام ، والاصلاح الزراعي ، ومراقبة كبار الموظفين، وإنشاء السدود ، وشق الطرقات وبناء القلاع. وبالرغم من صداقته لفرنسا فقد رفض إعطاءها أي امتياز على ارضه ، وبقي متمسكاً باستقلاله الى حد كبير ، إلا أنه طلب المساعدة من الصينيين الذين دعموه وأعطوا بلاده اسم فيتنام .

الاستعمار الفرنسي ، منجزاته وأخطاؤه :

وبعد جيا – لونغ ، كانت سلالة نغوين ترفض الاصلاحات الضرورية للبلاد (بالرغم من كبر الضرائب واستغلال الوجهاء لنفوذهم) . ونتيجة لذلك فقد تمرد الفلاحون البؤساء والمتذمرون من الاوضاع التي كانوا يعانون منها في كثير من الأحيان . كما أن المسيحيين المضطهدين ثاروا في الكوشنشين ، وتدخلت فرنسا لحمايتهم ولتضمن لنفسها موطىء قدم في الهند الصينية . وتنازلت أنام لفرنسا عن الكوشنشين في عام ١٨٦٢ . ووقعت كامبودجيا تحت وصايتها . وتخلت الصين لها عن تونكين في عام ١٨٨٥ واعترفت بوصايتها على الأنام . ومارس الحكام الفرنسيون الادارة المباشرة وحصروا كل السلطات بين أيديهم.

وتعتبر المنجزات الفرنسية في الهند الصينية من اكبر المنجزات وأعمقها

جذوراً، ويشكل التطور الاقتصادي[1] الاستعماري ، والمنجزات الجامعية[2]، والمساعدات الطبية ، والمستشفيات ، ومعاهد باستور أعمال إيجابية لا ريب فيها . ولكن الى جانب هذه المشروعات النافعة لا بد لنا من كشف الاخطاء والاعمال والتصرفات الخرقاء ، والجمود الذي اتصفت به السياسة الاستعمارية العتيقة البائدة .

لقد أساء الاستعمار الى الهند الصينية الى حد كبير . فقد تجنى على الشعب الفيتنامي وأذله ، واستخدم مختلف المبررات والحجج لتأييد موقفه . وارتكب هذا الاستعمار من المظالم ما استثار نقد الرأي العام العلني لفرنسا التي كان يستعمر ابناؤها فيتنام. فكانت هذه الاساءات سبباً في تشويه التاريخ وتحريفه. وأساء الاستعمار ايضاً تقدير قيمة القومية الأنامية ، ورفض بعناد ان يتمتع هذا الشعب بكرامته وسط أفضل شروط العدالة الاجتماعية والمسؤولية الادارية . ولقد وضع المحامون والاطباء والاساتذة والمهندسون الفيتناميون الذين تخرجوا من الجامعات في اعمال تقل عن الوظائف التي يحتلها أقرانهم من الاستعماريين ، فأصبحوا حاقدين متمردين ، وانقلبوا أعداء لنا ايضاً . وكان الموظفون

---

(١) غدت الهند الصينية بفضل انشاء القنوات والسدود والحواجز ، من أكبر البلدان المنتجة للأرز في العالم : كان ٧٠٪ من مساحة الاراضي المزروعة مخصصة لزراعة الارز الذي كان يشكل العنصر الرئيسي في الميزان التجاري . وتطورت، بالتوازي مع تطور زراعة الارز، زراعات اخرى مثل : القنب الهندي (جوت) ، الشاي ، القطن ، التوت ، البن ، شجر المطاط الذي يعطي نسغه وعصارته (الكاوتشوك) المطاط . وضمن استثمار الاحراج وجود انواع مختلفة من اخشاب الأبنوس ، وخاصة خشب التك . واشتهرت الهند الصينية بمنشآتها الكبرى (لديها ٢٨٫٠٠٠ كم٢ من الطرقات ، و ٣٠٠٠ كم من السكك الحديدية تعمل الى ما يتجاوز شبه جزيرة الهند الصينية وخط يونان الحديدي ، كما اشتهرت بمواردها المعدنية الهامة : كالفحم والرصاص والقصدير والتوتياء والذهب وأوكسيد الحديد والآنتيجوان والفوسفات والألومنيوم . ويسمح وجود مثل هذه المعادن باقامة صناعات واسعة : كصناعات التفحيم والورق والاسمنت والآجر والزجاج والمواد المقطرة والسكر والصناعات النسيجية والمعدنية .

(٢) كلية الحقوق ، كلية الطب ، مدرسة اللغات الشرقية، مدرسة الشرق الأقصى الفرنسية.

الفرنسيون، في كثير من الاحيان ، قابعين في مكاتبهم ينعمون بالمراوح الكهربائية وهم يحسبون احتمالات ترفيعهم أو يحسبون أسعار العملات صعوداً وهبوطاً ، على حين ، كان الضيق والتبرم يزدادان في صفوف السكان المحليين ، وفي صفوف الشبيبة بشكل خاص ، وقد وصل هذا الوضع الى حد القلق واليأس .

وفي وضع طبيعي كان من الممكن أن تقضي اصلاحات عادلة واسعة النطاق على هـــذا الضيق والتذمر . إلا ان الأحداث التي تلت الحرب العالمية الثانية سارت بسرعة كبرى . وعرقل مجراها السريع كل عملية جذرية لاعادة تنظيم الجهاز السياسي الفيتنامي . وفتح الاحتلال الياباني وهزيمة عـــام ١٩٤٠ آفاقاً مرعبة للنفوذ الفرنسي ، فهمها ووعاها بعض رجال الدولة والجنرالات البارزين فحاولوا صنع المستحيل لتجنب الحرب ، وبخاصة في مؤتمر فونتينبلو ، الذي تم في يوليو (تموز) ١٩٤٦ ، او خلال المصالحـة الموقتة Modus vivendi في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤٦ . إلا ان فرنسا كانت تملك آنئذ « صقورهـا » المدنيين والعسكريين ، الذين أساءوا تقدير خصمهم الى درجة خطيرة، وعاندوا في سياستهم المستندة الى القوة والهيبة . وصنعوا بهذا الشكل مأساة انسانية من اكثر المآسي ظلماً وإظلاماً في التاريخ الفرنسي [١] ، بل كانت سبباً من أسباب حرب الهند الصينية الثانية ، وما رافقها من التعقيدات الدولية .

فترة ما بين الحربين [٢] :

في ديان بيان فو ، وفي مـــايو (أيار) ١٩٥٤ ، وبجرأة تفوق جرأة

---

(١) راجع مؤلفنا : حروب العصيان والحروب الثورية ،

Les guerres insurrectionnelles et revolutionnaires .

(٢) يقصد بهذا التعبير الفترة الواقعة بين حربي الهند الصينية .

بينلوب [1] وإصرارهـا ورط محاربو الفييت مينه أفضل عناصر فيلق الغزو الفرنسي في جحيم الحرب . ولقد أظهرت هذه العناصر بطولة تفوق طاقة البشر في محاولة يائسة لتلافي النتيجة المحتومة ، ولكن جهودها باءت بالفشل وانتهت الحرب باتفاقيات جنيف .

وقسم **مؤتمر جنيف الدولي** ، يوليو (تموز) ١٩٥٤ فيتنام الى منطقتين، على جانبي خط العرض ١٧ ، تشكلان دولتين جديدتين : جمهورية فيتنام (فيتنام الجنوبية) وجمهورية فيتنام الديمقراطية (فيتنام الشمالية) .

واستلم **نغو دينه ديم** الكاثوليكي رئاسة حكومة فيتنام الجنوبية . فاعتمد على حركة التحالف القومي لأخيه نغو دينه نهو ، لأنـه كان خصماً للطوائف السياسية الدينية [2] ، فخلع الامبراطور باو داي (اكتوبر ١٩٥٥) ونظم استفتاء عاماً ، ونصب نفسه رئيساً للدولة . وأعلن انسحاب بلاده من الاتحاد الفرنسي ، وابتعد عن فرنسا وأخذ يطالبهـا بسحب قواتها من البلاد ابريل (نيسان) ١٩٥٦. وحصل على معونة الولايات المتحدة التي تعهدت بدعم فيتنام الجنوبية ، وانقاذها من ضغوط فيتنـام الشمالية والصين ، وإعادة تنظيم جيشها تحت اشراف مدربين امريكيين. وبالرغم من كل هـذه الضمانات لاقى ديم معارضة متعددة على المستوى السياسي بصورة خاصة : إذ عارضه القوميون غير الشيوعيين والمعادون لنفوذ الولايات المتحدة، وللكاثوليكية، ولديكتاتورية النظـام ، كما عارضه البوذيون الذين اتسموا بالعنف بالاضافة الى الشيوعيين وحلفائهم المتجمعين ضمن اطار جبهة التحرير الوطنيـة F. N. L. المسماة

---

(١) يشير المؤلف هنا الى بينلوب زوجة أوليس وأم تيليماك التي اشتهرت بالصمود الاسطوري لأنها رفضت خلال غياب زوجها الذي دام عشرين عاماً أن تقبل أي طالب من الراغبين بهـا . وكانت تعد المعجبين بها بأنها ستختار واحداً منهم عند انتهـاء السجادة التي تحيكها بيديها . ولكنها كانت تفك في الليل ما تحيكه بالنهار . (المعربان)

(٢) كاودايسم ، هواهاو ، بينه كسوين .

فيتكونغ [١] الـتي تطالب بحق تقرير المصير للفيتناميين الجنوبيين ، وبتحرير الأقطار الثلاثة : الجنوب والوسط والشمال [٢] .

وقد تضمنت اتفاقيـات جنيف الشروط التالية : ينظم الشعب الفيتنامي مشاكله الخاصة بنفسه . ولا يمكن لأية دولة أجنبية ان تقيم على ارض فيتنام أية قاعدة عسكرية . وتجري انتخابات حرة بتصويت سري في يوليو(تموز)١٩٥٦ ، بغية إعادة توحيد البلاد تحت اشراف لجنـة دولية وقد رفض ديم الاعتراف بهذه الاتفاقيـات . ثم تزايدت حدة اتجاهاته المحافظة وميوله الديكتاتورية خلال حكمه الذي دام تسع سنوات وفقد كل رصيده الشعبي ، لأنه كان عاجزاً عن الاحساس بردود الفعل الشعبية ، وغير قادر على التحكم بعائلتـه الخاصة . واتخذت الانقلابات الوطنية العسكرية التي وقعت في(نوفمبر)تشرين ثاني١٩٦٠ ومارس (آذار) ١٩٦٢ طابعاً من العنف الحقيقي في عام ١٩٦٣. وفي ١نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ أدى انقلاب عسكري الى سقوط ديم ومقتله مع أخيه .

وتتالت الانقلابات في سايغون [٣] بعد التخلص من ديم ، فكان المدنيون يتخلصون من العسكريين ويقضون عليهـم ، ثم يأتي العسكريون ليطردوا المدنيين . وفي الحقيقة كانت السلطة في أغلب الاحيان بيد الجنرالات ، الى ان

---

(١) ان تعبير الفيتكونغ يعني ايضاً المنظمة السياسية ـ العسكرية الثورية لفيتنام الجنوبية ، كما يعني جيش التحرير ، أو رجل العصابات الذي يحارب ضمن صفوف هذا الجيش .

(٢) كاي Ky تعني بلد : باك كاي : الشمال (التونكين)
ترونغ كاي : الوسط (الأنـام)
نام كاي : الجنوب(الكوشنشين) المسمى ايضاً نام بو .

(٣) في ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٣ حل الجنرال مينه محل نغوين نغوك ثو . وفي يناير (كانون ثاني) ١٩٦٤ ، خلفه الجنرال خانه . وبعد انقلابين عسكريين في اغسطس (آب) وسبتمبر (ايلول) أعاد سفير الولايات المتحدة ماكسويل تايلر الجنرال خانه الى الحكم . وفي ٢٠ ديسمبر (كانون اول) قلب المجلس الشعبي الاعلى . وعاد خانه بالقوة في ينـاير (كانون ثاني) ١٩٦٥ . وقد اظهر عداء شرساً لماكسويل تايلر . وفي ٢٠ فبراير (شباط) ، استولى الجنرال كاوكي قائد القوات الجوية على السلطة ولا يزال فيها حتى يومنا هذا .

وصل أحدهم اليها وهو الجنرال كاوكي ، الذي يعتبر من سكان فيتنام الشمالية ، ويمتليء قلبه حقداً على الشيوعيين .

وفي عـــام ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ، تمكنت جبهة التحرير الوطنية F. N. L. بالتدريج **من الاشراف المادي والمعنوي على سكان الجنوب** . فطورت حملتهـا ونمتها وزجت بعصابات حقيقية مستفيدة من النخبة المحليـــة المثقفة الذكية ، وقادتهـــا بعناصر سرية . ومنذ عام ١٩٦١ ، زادت الولايات المتحدة عدد مستشاريها العسكريين، وزودت فيتنام الجنوبية بأسلحة لتجهيز جيشها وقدمت لها مساعدات اقتصادية ضخمة . إلا أن كل هذا لم يؤد الى حل أية مشكلة من المشاكل الاساسية : إذ استخدمت هذه المساعدات الاقتصادية لإعادة استيطان اللاجئين ، ولتمويل الميزانيـــة العسكرية (بنسبة ثلاثة أرباع) ، واستيراد البضائع الاستهلاكية . فزادت هذه المساعدات ثروة الوسطاء ، إلا انهـا لم تؤد الى زيادة القوة الانتاجية . وكانت الاهتمامات الاستراتيجية تحـــول النفقات الحكومية من الاستثمار المنتج الى الاستهلاك الذي لا معنى له . وكان **تطور** البنية الاقتصادية الفيتنامية بطيئـاً : إذ بقيت قاعدة هذه البنية زراعية ، لا تحتل الصناعات المنتجة فيها إلا مكاناً ثانوياً . وكانت الفروق بين بؤس اكثرية الشعب وغنى الاقلية المستغلة يزيد باستمرار .

وبتطور معاكس تماماً لتطور فيتنام الجنوبية ، قامت فيتنام الشمالية بانشاء ديموقراطية شعبية . فقد كانت **رئاسة** [١] **اللجنة المركزية** [٢] لحزب العمال [٣] توجه فيها كل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . وغدت كل القرارات الكبرى خاضعة لتوقيع سكرتير اللجنة المركزية ورئيس مجلس الوزراء . وتطبع السياسة كل شيء ابتداء من مسؤول القرية [٤] والمسؤول عن

---

(١) Presidium

(٢) Tung - Bo

(٣) Lao - Dong

(٤) Can - Bo

القسم الى رئيس الجمهورية أو القائد العـــام للجيش الشعبي . ويمارس الجيش الشعبي ، المؤطر بصورة قوية ومتينة نفوذاً أساسيا كأداة للحزب . ويوجـد للمصانع والجمعيات التعاونية ، كما للوحدات العسكرية مفوضون سياسيون ، ولجان سياسية تخلق نوعاً من التنافس الواعي بين العمال .

وبهذا الشكل تعرض اقتصاد فيتنام الشمالية لتحولات عميقة . فقد طبق النظام الجديد في بادىء الامر خطة تنمية مدتها ثلاث سنوات (١٩٥٤ — ١٩٥٧) تشمل مجمل نشاطات الانتاج . وحقق هذا النظـــام الاصلاح الزراعي وقسم الاراضي ، وأمم الصناعة الثقيلة (مناجم الفحم ومعامل الاسمنت ومصـادر الطاقة الكهربائية) ، وخطوط السكك الحديدية ، ومؤسسات النقل في المدن ، وكل تجارة الجملة . وفي نهاية عـام ١٩٦٠ ، كان ٨٠٪ من التجار قد انضموا الى التعاونيات التي تساهم في تنظيمها « البلدان الشقيقة » .

وكانت معونة بلدان الديموقراطيات الشعبية ذات أهميـة خاصة في تعزيز الاقتصاد ودفعه ، وفي تصنيـع البلاد بصفة خاصة . فقد انشأت تشيكوسلوفاكيا مصانع الصلب ، وقدمت هنغاريا الفنيين والمعونة الصحية . وجهزت المانيـا الشرقية المستشفيات والمطابـع ، وبنت المنشآت الهندسية (الجسور والعبّارات والأنفاق .. الخ) لخطوط السكك الحديدية . وقامت الصين بتغذية المدن بالمـاء وساهمت في انشاء الخطوط الحديدية . وأخيراً طوّر الاتحاد السوفييتي مناجم الفحم ، ومعـــامل الاسمنت ، ومصانع تحضير الشاي ومصانع حفظ الاسماك .. الخ .

وللنظام الجديد ملء الحق بأن يعتز بالنتائج والمنجزات التي حققهـا بعد حرب الهند الصينية الاولى التي أنهكت البلاد وأشاعت بين ربوعها الفوضى . وتدين فيتنام الشمالية في تحقيق هذه المكاسب الى المعونة الأجنبية ، إلا انهـا تدين بذلـك ايضاً الى شجاعة شعبها ، وعبقريته الفذة ، وضبطه لأعصابه ، وسيطرته على انفعالاته . ومعنوياته العالية ، وقوة شكيمته ، وتجرد زعمائه الذين كانوا يضربون المثل في كل المناسبات .

وقد تأثر جزء من هذا النجاح ، عندمـا تدخلت الولايات المتحدة بنفسها مباشرة في الصراع بعـــد سلسلة من العمليات التشكيتية في الجنوب . ففي ٤ أغسطس (آب) ١٩٦٤ ، أصدرت واشنطن الاوامر بالقيام **بأول غارة جوية ضد فيتنام الشمالية** . وفي ذلك الوقت ، صور البيت الابيض هذه الغارات على أنها « تدابير انتقامية » [1] . ومنذ ذلك الوقت بدأت الحرب الحقيقية تسير على طريق يزرعه القتلى وتسود فيه التخريبات والآلام .

---

(١) قامت زوارق الطوربيد التابعة لفيتنام الشمالية بالهجوم عـــلى مدمرتين امريكيتين في خليج تونكين ، ولم تصب أية مدمرة منها . ومع ذلك وصفت البيانات الرسمية الامريكية هذا الهجوم بأنه « عدوان متعمد » . وأصدر الكونغرس الامريكي « قرار خليج تونكين » وفوض الرئيس جونسون « باتخاذ كل التدابير الضرورية » .. ولقد وضع هذا القرار الولايات المتحدة في دوامة الحرب . وكان مبرراً لزيادة التعهدات العسكرية الامريكية في فيتنام .

وقد فتح هذا القرار المجال في مارس (اذار) ١٩٦٨ لمناقشات خطيرة بعد تحقيقات لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الامريكي برئاسة السيناتور وليـــام فولبرايت . وتبين بعد تحقيقات هـــذه اللجنة ان مراكب تابعة لفيتنام الجنوبية تحميها المراكب الحربية الامريكية ، خرقت في مناسبات متعددة حرمة المياه الاقليمية لفيتنام الشمالية، قبل تاريخ ٤ أغسطس(آب) ١٩٦٤ . كما تبين طبقاً لبيانات اللجنة ان المدمرتين الامريكيتين اللتين « هاجمتهما » زوارق الطوربيد الفيتنامية الشمالية كانتا تبحران بشكل متعرج على حدود الميـاه الاقليمية لهانوي . وكانت مهمتها كشف جهاز الانذار الفيتنامي الشمالي وابطال مفعوله . وقد اعلنت لجنة الشؤون الخارجية كل هذا على رؤوس الأشهاد .

القسم الثاني

الحرب من جانب الفيتكونغ وفيتنام الشمالية

الفصل الثالث

الاستراتيجية الفيتنامية العامة

العمل الحكومي

تشكل ادارة الحرب من الجانب الفيتنامي الشمالي والفيتكونغ **كلا لا يتجزأ.** فلا وجود هناك لحرب سياسية ، او دبلوماسية ، او حرب نفسية ، او حرب عسكرية . انهـا الحرب فقط . وهناك **استراتيجية شاملة** توحد كل القوى بكاملها تحت اشراف **العمل الحكومي** وبإدارته. وتتجاوز هذه الاستراتيجية كل الاستراتيجيات الخاصة : السياسية والاقتصادية والعسكرية .. الخ وتنسق بينها وتشذبها . وتتجه كل هذه الاستراتيجيات لتحقيق أهداف مشتركة **لجبهة التحرير الوطنية** (F. N. L. أو الفيتكونغ) **وجمهورية فيتنـام الديموقراطية** .

جبهة التحرير الوطنية

تشكيلهـا :

انشئت جبهة التحرير الوطنيـة في ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٠ . وهي الأداة الرئيسية للحرب الشعبية ، والعـامل المحرك لكل القوى السياسية في

فيتنام الشمالية . وترتبط ارتباطاً وثيقاً بدولة فيتنام الشمالية والاتحاد السوفييتي. وتشكل أربعة أحزاب سياسية النواة الأساسية لهذه الجبهة : الحزب الراديكالي الاشتراكي ، الحزب الاشتراكي، الحزب الديموقراطي، والحزب الشعبي الثوري. وبالاضافة الى ذلك ، هناك منظمات ونقابات وتجمعات ممثلة في هذه الجبهة [١] ، وتأخذ الفييتكونغ اتجاهها التقدمي الشيوعي من الحزب الشعبي الثوري P.P.R. وهو اكثر الاحزاب نشاطاً وفاعلية ، ويتسم باتجـاه ماركسي واضح الملامح . ويصف هذا الحزب نفسه بأنـه « رأس الحربة الحقيقية للجبهة » و « المتطوع دوماً للقتال كقطعة من قطعات الصدام » .

منهاجهـــا :

طبعت جبهة التحرير الوطنية منهاجها في مارس (آذار) ١٩٦٢ ، في بيان يتضمن ما يلي : « تحقيق وحدة كل فئـــات الشعب، وكل الطبقات والقوميات والاحزاب والمنظمات ، والمنظمات الدينية والشخصيات الوطنية في فيتنـــام الجنوبية دون تمييز سياسي ، بغية خلق حكومة اتحاد وطني واسعة القاعدة ، ولتحقيق حركة التضامن بين الجنوب والشمال ، والتقدم نحو حـــل مشكلة الارض في اتجاه توزيعها لأولئك الذين يزرعونها ، ولتأمين الديموقراطية في كل مكان . ورفع مستوى حيـاة الشعب ، والسير في اتجاه توحيد الوطن سلمياً ، وانتهاج سياسة خارجية تحقق الاستقلال والسلام والحياد » .

---

(١) ونخص بالذكر « اتحـــاد النقابات » و « منظمة الصحفيين الوطنيين الديموقراطيين » و « لجنة العمل من أجل السلام » ، و « لجنة التضامن الأفرو ـ آسيوي » و « منظمة المعلمين الوطنيين في الجبهة » و« منظمة النساء من أجل التحرير » و« حركة الاستقلال الذاتي لاستقلال النجود العالية » و « منظمة فلاحي جبهة التحرير » و « منظمة قدمـــاء المقاومين الشعبيين » و « طلاب جبهة التحرير » و « اتحاد الشبيبة الشعبية الثورية » و « منظمة البوذيين الوطنيين» مع رئيسهم الجليل تيـــان هاو، والكاوداييين وزعيمهم نغوين فان نغوي ، والـكاثوليك برئاسة جوزيف ـ ماري هوهو ، الاستاذ السابق في المدرسة الاكليركية بجزيرة جيانـــغ ، والرئيس السابق لمنظمة الكاثوليك في مقاطعة لونغ خسيون .

وقد أكمل هـــذا المنهاج السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مناسبات متعددة ، وفي أغسطس (آب) ١٩٦٧ بصورة خاصة . وكان هذا المنهاج يؤكد حينئذ على مسألة إعادة توحيد البلاد قوميـاً ، إذ كانت الشعارات المطروحة على الشكل التالي « فيتنام بلد واحد ، والشعب الفيتنامي شعب واحـد ... وحدة الوطن أمل مقدس لكل شعبنا » . وحدد هذا المنهاج بدقة « أهداف الشعب الفيتنامي الحربية »وهي: إنهاء النزاع ، وانسحاب القوات الامريكية ، والغاء القواعد الامريكية ، وسيادة فيتنام الجنوبية طبقاً لاتفاقيات جنيف . ولقد قدم « تحالف القوى الوطنية الديموقراطية وقوى السلام » وهي منظمة انشئت في ٢١ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ في المناطق التي تشرف عليهـــا جبهة التحرير الوطنية منهاجاً « لبعث جبهة اتحاد وطني ذي قاعدة عريضة متينة ضد المعتدين الامريكيين » وهو برنامج قريب جـداً في كل نقاطه من المنهاج الذي طرحته جبهة التحرير الوطنية .

« البريزيديوم » وزعماؤه الثوريون :

ونـُقل هذا المنهاج ، الذي وضعته **اللجنة المركزية للجبهة** [1] الى « البلدان الشقيقة » التي ارسلت اليها وفود كثيرة على رأسهـــا عدد من أعضاء اللجنة المركزيـــة « لجبهة التحرير » . وحاولت هذه الوفود الحصول على مساعدات مادية . وقبل أن يتحرك أي وفد من الوفود يطالبه « البريزيديوم » الذي يعتبر الجهاز الموجه للجنة المركزية ، بفهم أهمية مهمته ووعيها وعياً كاملاً ، كما يشجعه على تحقيقها .

---

(١) تشتمل اللجنة المركزية للجبهة عـــلى ٥٢ عضواً ، ينتمي خمسة عشر عضواً منهم الى « البريزيديوم » وخمسة أعضاء الى الأمانة العامة ، وثمانيـــة أعضاء الى « الفروع الستة للجنة المركزية » ، تلك الفروع المعتبرة كوزارات المستقبل للدفاع والشؤون الخارجية والتربية والتعليم والصحة .. الخ .

و « البريزيديوم » روح مقاومة الفييتكونغ ، وهو يجسد كل طاقة هذه الجبهة وقوتها . ويمثل كل مطالبها الرئيسية . ولقرارات « البريزيديوم » طابع جماعي . ويشكل أعضاؤه المتفقون على مثل أعلى مشترك واحد ، نخبة مؤلفة من أطباء ومحامين وأساتذة ومهندسين . كما أن شخصياتهم ونفسياتهم الفردية لا تنفصل أبداً عن مزاج وطبع عرقهم وأخلاقه ، ولا عن مناخ بلادهم ، أو وضع مجتمعهم . وترتبط حياتهم كما يرتبط عملهم ارتباطاً وثيقاً بمرحلة من أهم مراحل التاريخ القومي الفيتنامي . ان انكار الصفات المتفوقة الرائعة لهؤلاء الذين أعطوا للحركة الثورية التي تزعموها دفعاً لا يمكن مقاومته ، بعد حمامات الدم والسجون التي تعرضوا لها ، يعني اهمال عامل هام ورئيسي ايضاً في الثورة الفيتنامية [١] .

نغوين هيوثو :

لا يتردد « البريزيديوم » بقيادة رئيسه نغوين هيوثو ، عن تنفيذ الخط المرسوم له . وقد ولد نغوين هيوثو في شولون في عام ١٩١٠ من طبقة بورجوازية كوشنشينية ، وتلقى تعليماً فرنسياً ، إذ درس في المدرسة الثانوية ومعهد الحقوق في ايكس – آن – بروفانس وسجل في نقابة محامي سايغون منذ عام ١٩٣٩ وساعده هذا الامر على أن يكون قاضياً ورئيساً لإحدى محاكم كوشنشين . وكانت آراؤه المتحررة تثير نقمة السلطة وغضبها . وفي عام ١٩٤١ عزله نظام فيشي من منصبه وفرضت عليه السلطات الفرنسية الاقامة الجبرية ووضعته تحت المراقبة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٢ . وسجنه ديم حتى عام ١٩٦١ . وعندما خطفه أحد ثوار الفييتكونغ من السجن، وضع نفسه تحت تصرف الجبهة ، فعينته رئيساً « للبريزيديوم » في مارس (آذار) ١٩٦٢ .

---

(١) للاستزادة حول هذا الموضوع ، راجع الفصل المخصص « للعامل الوسيط » في كتابنا – الحروب التحررية والثورية .

وحصل هذا الرجل العظيم ، بالتماس مع المغامرة الثورية ، على سلطة كبرى ، وهو يملك فكراً لامعاً وعبقرية التماس مع الجماهير والاتصال بهـــا ، وحسن الادراك والتصور والتنظيم . ويتحلى بالاضافة الى مزايا تفوقه الفكري ، بهيبة جسمانية وشجاعة تصمد أمام كل اختبار . وقد ارتفع صيته وعلا شأوه بفضل روح الزعـــامة النامية لديه ، واخلاصه الوطني ، وإحساسه العارم بالمصلحة القومية ، ومعرفته العميقة بالبلاد والرجال . وسمحت له رؤيته الواضحة والدقيقة للوضع السياسي بمواجهة كل الأخطار ، وازدرائها عندمـــا تكون المخاطرة ضرورية ، وباعادة الوئام داخل حركة أخوية بين رجال ما كان ينبغي أن ينقسموا على بعضهم أبداً . وفي فبراير (شباط) ١٩٦٨ كان يذكرهم دوماً « بالهدف الواحد الأسمى لجبهة التحرير الوطنية وهو : انقاذ البلاد ، وبنـــاء فيتنام جنوبية مستقلة مسالمة محايدة يسود فيها الرخاء ، دون نسيان ضرورة إعادة توحيد الوطن الغالي في نهاية المطاف » .

تران نام ترونغ ونغوين تي دينه :

وتمارس شخصيتان هامتان من بين اعضاء « البريزيديوم » وظائف عالية جداً ، وهما : تران نام ترونغ [١]، ومعاونه السيدة نغوين تي دينه .

وقد ولد الجنرال تران نام ترونغ في مقاطعة كوانغ نغاي في عام ١٩١٨ . واشترك في النشاطات الثورية في وقت مبكر ، وسجن في عام ١٩٣٩ ، ثم في عام ١٩٤٤ وفر من السجن في عام ١٩٤٥ والتحق بالفييت مينه . ومن عام ١٩٤٦ الى ١٩٥١ قاد مناطق الفييت مينه العسكرية الأربع في الجنوب . وتعرض لاختبارات قاسية عركت مزاجه وطبعه ، وخشنت جسمه وصلّبت إرادته . وقد تغلب على كل مصاعب ومخاطر هذه الاختبارات بفضل إيمـــانه العارم ، ووضوح

---

(١) السكرتير العـــام للحزب الشعبي الثوري P.P.R. ، والقائد العـام لقوات التحرير المسلحة .

فكره ، وتوازن حكمه ، وكلها صفات تجعل منه انساناً فريداً من نوعه وطرازاً نادراً بين الرجال .. وهو ذو بنية قوية ، عريض المنكبين يتمتع بجبهة عريضة ونظر حاد وملامح قوية . وتشير كل ملامحه الى أن لديه صفات القائد الحربي. ويشغل هذا الرجل منصب معاون رئيس الأركان العامة الذى يرأس في هانوي ، منذ بدء النزاع لجنة الشؤون العسكرية للجنوب التابعة للمكتب المركزي لفيتنام الشمالية [1].

والى جانب هذا القائد العظيم ، نجد امرأة وربة بيت ، هي نغوين تي دينه التي تجسد الفضائل العسكرية المتينة . وليس هناك فضائل عسكرية بدون قتال . والحرب الفيتنامية بالنسبة لهذه السيدة قتال بين الماضي والمستقبل. وقد انضمت الى الحرب بتصميم لا يعرف التردد او الانعطاف ، وبشغف ما بعده شغف . وناضلت وهي فتاة صغيرة داخل المنظمات الشيوعية التابعة لمقاطعة بن تري ، التي ولدت فيها في عام ١٩٢٠ . وأوقفت ثم سجنت في عام ١٩٣٩ ، كما قتل ابنها وزوجها — وهو أحد القادة الشيوعيين — ، ثم أخلي سبيلها في عام ١٩٤٢ . وفي مايو (ايار) ١٩٤٦ ، تجاوبت مع النداء الذي وجهه هوشي‌مينه ، وانضمت الى « الجبهة الوطنية الموحدة » . وانتخبت في « بريزيديوم » جبهة التحرير الوطنية في عام ١٩٦٤ ، كرئيسة « لمنظمة النساء العاملات من اجل التحرير » ومارست بالاضافة الى ذلك ، منذ عام ١٩٦٥ وظائف القائد العام المعاون لقوات التحرير المسلحة [2].

انها لم تتشرف بعد بالوصول لمنصب القائد العام المحفوف بالمخاطر ، غير انها

---

(١) يحدد هذا المكتب، بالارتباط الوثيق معهيئة الاركان العامة لهانوي اطارالاستراتيجية العسكرية المشتركة لقوات الفييتكونغ وشمال فيتنام . ويؤمن وحدة القيادة الضرورية لمجموع هذة القوات ويساهم ايضاً في ادارة عملها وتنسيقه .

(٢) في نوفمبر - تشرين ثاني - ، ترأست وفد جبهة التحرير الوطنية F. N. L. الى مؤتمر باريس .

تتمتع مع ذلك بهيبة كبرى ونفوذ عظيم في صفوف المواطنين الفيتناميين عامة، والمقاتلين من الرجـــال والنساء . وهي سيدة واضحة كل الوضوح، مفعمة بالحماسة والعفوية، والصراحة القاسية . وتتمتع بابتسامة عذبة وحديث حار لاذع ومؤثر أحياناً، إلا انها تتسم دائماً ببساطة متناهية . ولقد حبتها الطبيعة بجسم قوي وأنوثة طاغية وجمال نادر وحساسية مرهفة [١] بالاضافـة الى ذكاء نادر قـــادر على فهم جميع الأمور . وبوسع هذه السيدة ان تقوم بوضع تقدير للموقف يتلاءم مع الوضع في كل المجالات، وهي تبتدىء في تقديرها من الاطار العـــام، لتنتقل بعد ذلك الى التفاصيل، ثم تنطلق من الفكرة الى العمل التنفيذي بكل مهارة وتصميم . وتتمتع بإخلاص لا حد له وتعمل بشكل دائم ومستمر، وهي تنتزع احترام خصومها وتقديرهم، واعجاب قطعاتها، واحترام زملائها رجـــال جمهورية فيتنام الديموقراطية، الذين ضرستهم التجـارب والحروب المريرة .

جمهورية فيتنام الديموقراطية

الحكم الثلاثي الطويل [٢]:

من بين حكام جمهورية فيتنام الديموقراطية رجـــال ثلاثة هم : هوشي مينه وفام فان دونغ وفونغوين جياب . وكان بروز هؤلاء الرجال على المسرح الدولي راجعاً الى انتصارهم بعد نضالهم المرير ضد الفرنسيين، وصمودهم بعد ذلك في كفاحهم الضاري ضد الامريكيين وحلفائهم [٣] رغم جميع المتاعب والصعاب .

---

(١) كانت تستمع الى موسيقى بيتهوفن خلال قتالها مع الثوار.

(٢) بالاضافة الى هؤلاء الحكام الثلاثة لا بد لنا من ذكر بعض« كبار » المسؤولين في النظام مثل : لوديان، السكرتير العام للحزب، وترروونغ شينه رئيس اللجنة الدائمة في المجلس الوطني، ونغوييين ديو ترينه وزير الشؤون الخارجية .

(٣) ان تعبير « الحلفاء » يعني بالنسبة للامريكيين الدول المشتركة في الحرب الفيتنامية ضد الفييتكونغ وفيتنام الشمالية .

ومنذ ربع قرن سنحت لي الظروف بلقائهم عندما كانوا يمسكون زمام السلطة في فيتنام [1]. ولقد تركوا في نفسي آنذاك انطباعاً حسناً لا تزال آثاره باقية حتى الآن . وكانت ابتسامتهم الغامضة وإرادتهم الهادئة التي لا تلين واشعاعهم المؤثر تخلب لبي بشكل عفوي . وفهمت منذ ذلك الوقت ان القوة المادية تبقى عديمة الفاعلية أمام الفكرة السامية التي تشغل افكارهم . كما أن سقوط عدد لا يحصى من زملائهم في ساحة الشرف ، وتعرضهم للاهانات والتعذيب لم يخمدا فيهم تعطشهم الى العدالة ، وحبهم للعيش أحراراً . والآن ، وبعد ان أنضجتهم التجارب وجعلتهم رجالاً عظاماً ، نراهم حول مائدة المفاوضات وجهاً لوجه أمام العملاق الامريكي ، يطبقون فكرة فولتير القائلة : « ان السياسي الحقيقي هو السياسي الذي يناور جيداً ويربح بمرور الزمن » .

هوشي مينه[2]:

يتصف هوشي مينه منذ فجر الثورة الفيتنامية ، بأنه مقامر يربح دائماً . ويلائمه هذا الوصف ملاءمة تامة. ويمثل هوشي مينه اليوم انتصار شعب كامل يكافح من اجل حريته . وسيرمز في المستقبل الى انتصار الشعوب المستعمرة التي قضت على نير « أقوى الدول على وجه الارض » . ولكن من هو إذن هذا الشيخ الأهيف ، ذي العيون المتقدة كالجمر ، وذي اللحية البيضاء والشعر الأشيب ، ومن هو هذا الرجل الذي يمتلىء ذكاء ويشع منه النور ، والذي

---

(١) كانت وظيفتي في المجلس المدني للوزارة الفرنسية لما وراء البحار تجعلني أعمل في مكتب رئيس هذا المجلس ، صديقي اندريه لابروكير ، الاستاذ السابق في معهدي الحقوق في ليون وهانوي . ولقد التقيت في الفترة الواقعةبين يونيو - حزيران - ونوفمبر - تشرين ثاني -١٩٤٦ مع كل من هوشي مينه وفام فان دونغ وجياب وجيام « وكان هذا الاخير وزيراً للشؤون الخارجية وهو يشغل اليوم منصب وزير الزراعة » .

(٢) كلمة هوشي مينه تعني في الفيتنامية « الذي يجلب الأضواء » . ولا أهمية لأسمه الحقيقي فقد عرف في خلال نصف قرن من الزمان عشرين اسماً مزيفاً . ويبقى اسم هوشي مينه بالنسبة اليه الاسم الذي دخل فيه التاريخ .

يتهادى في بزته المهترئة المصنوعة من قماش خفيف ، وقدماه عاريتان في «خفين» من المطاط .

ولد هوشي مينه في عام ١٨٩٠ وسط عائلة من المثقفين المنحدرين من اصل قروي ، تعيش في مدينة نغيتين الواقعة في شمال آنام القديمة (وهي منطقة قدمت لفيتنام كثيراً من العلماء والموظفين وكبار الثوريين) . وفي سن الخامسة عشرة دخل هوشي مينه كلية كوك هوك في هوي . ثم تخلى عن تعليمه ليدرس في بانتييت ، في مدرسة خاصة . وترك التعليم ليتعلم حرفة في سايغون. ولكنه كان يتحرق شوقاً لأن يجوب العالم الواسع « كي يدرس ما يجري في الغرب ويفيد مواطنيه عند عودته » .

وفي عام ١٩١٨ ، أبحر هوشي مينه كمساعد طباخ على ظهر مركب تجاري يحمل عمال شحن البضائع وتفريغها . ووصل فيما بعد الى باريز حيث مارس مدة ستة اعوام مهنة متواضعة هي مهنة عامل رتوش للصور الفوتوغرافية . وانضم في بادىء الامر الى الحزب الاشتراكي ، ثم الى الحزب الشيوعي بعد مؤتمر تور الذي جرى في عام ١٩٢١ . وفي هذا الوقت نشر « الدعوى ضد الاستعمار الفرنسي » وأسس جريدة « الباريا » . وقد اثر رعد ثورة اكتوبر (تشرين اول) البلشفية بصورة قوية على نشاطه السياسي . ولكنه قال فيما بعد : « ومع ذلك فأنا لم أتعلم في موسكو ما هي الثورة ، بل تعلمتها في باريز ، عاصمة الحرية والمساواة والاخاء »[١].

وترك باريز في عام ١٩٢٤ للذهاب الى موسكو ، حيث شارك في المؤتمر الخامس للأممية الشيوعية ، ومؤتمرات الفلاحين الدولية ومؤتمرات الشبيبة والمؤتمرات النسائية الدولية . ووجه قبل سفره ، برقية لمناضلي افريقيا

---

(١)صرح بهذا أثناء مقابلةصحفية أجراهافي ١١ نوفمبر « تشرين ثاني »، بعد اتفاق التعايش لصحفي امريكي . نشر هذا التصريح في كتاب تحت عنوان : Ainsi va la France

المقيمين في فرنسا أشار فيها الى « ضرورة العودة الى البلاد ، والالتحام بالجماهير ، وإيقاظ ضميرها السياسي ، وتنظيمها وتوحيدها ، وتعليمها من اجل الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال » .

وفي العام نفسه ، اتصل في مدينة كانتون الصينية بالتام تام خسا (اتحاد القلوب) ، وهو تنظيم ثوري للمواطنين الفيتناميين المهاجرين ، وأسس معهم الفييت نام تانه ثين كاش مانغ دونغ شي هوي (منظمة الشبيبة الثورية الفيتنامية). وفي الوقت ذاته ، كتب « طريق النصر » لتربية الشبيبة تربية سياسية ، ونظم « اتحاد الشعوب المضطهدة في آسيا الشرقية » .

وفي عام ١٩٣٣ درس في معهد لينين الذي كان زعماء الحزب الشيوعي السوفييتي يُعدّون فيه ... وعند عودته الى الصين في عام ١٩٣٦ ، أقام في يونان ، ثم في كوانغ سي حيث فاجأته الحرب العالمية الثانية . ومن عام ١٩٤١ الى عام ١٩٤٤ كان البوليس يجدّ في أثره داخل تشونغ كينغ ، فكان ينتقل في غالب الاحيان الى شبه جزيرة الهند الصينية . وفي عام ١٩٤١ أسس « الفييت نام دوك لاب دونغ مينه » « عصبة العمل من اجل استقلال فيتنام ، أو جبهة الفييت مينه » . وأنشأ مفارز من العصابات ، وأقام قواعد للثوار ، وأعدّ الثورة المسلحة طبقاً لأساليب ماوتسي تونغ [١] أكبر استراتيجي ثوري عرفته العصور ، والذي يدين هوشي مينه بكل معلوماته العسكرية والسياسية اليه فيما يتعلق : بطرق « الحرب الشعبية » ، والأسلحة والفنون الضرورية لتشكيل القطعات المقاتلة . وكان يجسد روح المقاومة طيلة مدة الحرب ضد الفرنسيين ، إذ كانت صورته معلقة في كل مكان . ثم اختفى في الأدغال ، وتنقل فيها من مخبأ الى مخبأ ، لا يكل ولا يمل فاتناً الجميع بإيمانه الكامل وسلطته المعنوية التي

---

(١) راجع الفصل المخصص « للاستراتيجيه الثورية لماوتسي تونغ » في كتابنا :
« L'epreuve de Culture generale dans l'enseignement militaire Superieur » .

تتصاعد وتنمو . وتعبر إلهاماته أمـام كل المعضلات عن اكثر المظاهر اشعاعاً في ذكائه المتقد الواسع . وكان شعبه يطلق عليـه لقب « الأب الجليل للوطن الفيتنامي » . انه « رجل بين الرجال » حافظ على أمة بكاملها ، بمـا امتاز به من عمق المعرفـة وصفاء الفكر الفلسفي ، الأمر الذي جعله يضرب في كل يوم أمثلة رائعة لشعبه .

وضد **العم سام** ، وقف **العم هو** رابط الجأش ، وأخذ يوجه رجـال شعبه ونساءه وأطفاله في جحيم المعارك . ولقد كان يدعوهم بصوته ذي النغمة التشرشلية الى المقاومة الشاملة قائلاً : « قاتلوا بأسلحتكم ومعاولكم ورفوشكم ، وبالعصي التي تحملونها » . وكان الجميع ، في كل لحظـة ، وفي كل المناسبات مستعدين للتضحية بأنفسهم في أرهب وأخطر كفاح عرفناه حتى الآن .

فام فان دونغ :

كان فام فان دونغ الرفيق الأمين لهوشي مينه منذ عـام ١٩٢٥ ، ويمكن وضعه كهوشي مينه ، في مستوى الأبطال القوميين . وهو رئيس وزراء فيتنام الشمالية منذ عـام ١٩٥٥ ، ويمثل الصورة المجسمة للشعب الفيتنامي وللأرض الفيتنامية التي تمتد ثابتة أمام المأساة التي تحـاول أن تجعل الارض الطيبة مقبرة لأبنائها . وفام فـان دونغ كرفيقه هوشي مينه ، لا يستسلم لأية هزيمة ، وهو يواجه بصمود وحيوية كل الأخطار والنكسات التي تضعف معنويات شخصيات أقل قوة وخبرة منه .

وفام فان دونغ رجل ثابت الجنان ، هادىء الطبع ، يبلغ اليوم من العمر ٦٢ عاماً . ويجهل هذا الرجل الذي كان يدرس التاريخ في الماضي كل اغراءات الثروة والغنى ، ويتصف بتقشف الزاهد الناسك وعزوفه عن متع الحيـاة . ويبقى بالنسبة لشعبه « الصورة الحية للمبادىء الثورية الكبرى » . ويتفانى في عمله ، ويعطي ذاته عطاء كاملاً دون مساومة . وتحت شعره المندفع الى الخلف ،

وجبهته الواسعة ، وملامحه المفتوحـة ، ونظراته المضيئة تشع شخصية رائعة توحي بالثقة والحب .

ان خلف فام فان دونغ ماض طويل من الكفاح والنضال والثورة أنضجته قبل الأوان . فقد شارك في تأسيس الفييت مينه بعد ان سجنه الفرنسيون من عام ١٩٢٩ الى ١٩٣٦ . وسرعان مـا وصل الى الصف الاول من صفوف هذه المنظمة . وألقى الخطاب الافتتاحي في مؤتمر فونتينبلو عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٥٤ ترأس وفد الفييت مينه في جنيف حيث استحق تقدير خصومه القدماء. فقد قدر فيه خصومه حسه السليم ، وذكاءه المتوقد النفـاذ الواعي . فهو لا يترك شيئاً للأقدار . انه يفكر طويلاً قبل اتخاذ اي قرار . وعندمايتخذقراره لا يستطيع أي شيء أن يبدل قناعاته . وهو انساني متفتح ، يتمتع بثقافة واسعة ، وقدرة عجيبة على الهضم والتمثل ، وفضول متوثب ومتيقظ دوماً . ومن منـا لم يتأثر بمشاهدة مقابلاته على شاشة التلفزيون الفرنسي ؟؟ لقد كانت ثقافته الفرنسية تجعله يبدو مرتاحاً لا يحس بأي ضيق ، وكان يتحدث بفرنسية صحيحة ذات نغمة موزونة ، وبمرونة فكرية كبيرة وصدق مؤثر ، وكان يتحدث أحياناً بنوع من الدعابة والنكتة ، مؤكداً بعض الحقائق الأساسية ... منها « ان حماقـات الاستعماريين هي التي خلقت علم الثوريين ... تبقى العدالة التي يطالب بها شعبنا الشرط الوحيد لسعادته ... ان الديموقراطية واحترام الفرد أمران يستحقان أن يموت المرء من اجلهما ... يتأكد النصر ويقـوم على الشعب كله .. ان الجذر العميق يخلق الشجرة المتينة ... ان الحرية هي أعظم الاشياء وأجلها » .

أليست شجرة الحرية هي رمز التحرر والانعتـاق ؟ فلكي تعطي شجرة الحرية كثيراً من الظلال ، فإنها تحتاج الى الوقت والصبر. ولا قيمة للزمن بالنسبة لفام فان دونغ ، فالصبر والاحتمال لديه فضيلة طبيعية تسمح له بأن يعرف كيف ينتظر طويلاً او يسير ببطء وحذر . وقد تتمهل الاشياء وتتباطأ بشكل كبير ولكن ليس هناك ما يمنع خروج « الحرية » الى النور .

فو نغوين جياب :

« ستثبت الوقائع والأحداث قدرتنـــا على التحكم بالقدر ، بفضل الحماسة الجياشة والحقد الثائر اللذان يملكهما شعب كبير ويؤججها ليقوض مصيره السيء ». بهذه الأقوال أعلن جياب القائد العام ووزير الدفاع في فيتنـــام الشمالية عن « ايمانـه المطلق بمستقبل شعبه » . « انني واثق من الانتصار وواثق من اعداد نسغ لتفتح ورود جميلة » . ان مثـــل هذه القناعة لدى رجل من هذه العجينة يبرهن على وجود استراتيجية شاملة .

ولد جياب في عام ١٩١٢ ، في مقاطعة آن كسا الواقعة في شمال فيتنام . وهو ينتمي الى حقول الارز التي تصنع كل الاشياء القوية . وكان مارسيل نير الحاصل على أعلى درجات التعليم في الفلسفة ، والمدير السابق للتربية والتعليم في الهند الصينية ، استاذه في الصف النهائي في مدرسة هانوي الثانوية . وكان يعتبره « طالباً لامعاً ، بهرته دراساته ». وقد اهتم به نير وتدخل بغية إعفائه من مصاريف التعليم الخارجي ، فاصطدم باهمال المدير المتعمد ، و« اتهامه جياب بالعمل السياسي » .. وبعد فترة اخلي سبيله بعد اعتقاله عدة اشهر في السجن ، لأنه نظم اكتتاباً بالتبرعات لصالح الشهداء الانامیين الذين سقطوا في ثورة فينه . وانضم فيما بعد الى الحزب الشيوعي ، ودرس التاريخ الذي كان يحبه ويميل الى دراسته في دورة خاصة ، كي يدفع أقساطه المدرسية في كلية حقوق هانوي . وحرمته حماقة استاذ القانون العام الفرنسي ، في الفحص الشفوي للعام الأخير من الحصول على اجازة الحقوق ، كما حرمته حماقة هذا الاستاذ من الحصول على منحة لتحضير الدكتوراه واعدادها في باريز .

وقد زادت الادارة الفيشية من تأجج حقد جياب إذ ألقت به في السجون لمدة ثلاث سنوات ، مع زوجته التي فقدت ابنها في ظروف مؤلمة ثم ماتت . وانسحب جياب منطوياً على ذاتـــه ، ونفسه مفعمة بالحقد والألم ، وتضرس كفاحه ضد الفرنسيين ، وتضاعفت طاقته . وكان يحس « بحقد متأجج ضد

الاستعمار الفرنسي » . وبعد منع الحزب الشيوعي في الهند الصينية ، سافر الى الصين حيث قابل هوشي مينه . ومن النظرة المتبادلة الاولى فيما بينهما ولدت الصداقة والتفاهم والثقة المطلقة . وأحس جياب باندفاعه في صراع يتعلق به كل مصير بلاده . ونظراً لنهمه الكبير للمعرفة تابع « قراءاته ومطالعاته » . فدرس الفلاسفة الصينيين الكبار ، فدفعته دراستهم الى التأمل والتفكير العميق. وراح يغذي وطنيته من « هذا المستودع المقدس » الذي يشكله تاريخ فيتنام . وكان ينهل الدروس من مطالعاته لأعمدة الحكمة السبعة للكولونيل لورانس الذي عاش في قلب الصحارى العربية ، وهي ملحمة من الملاحم البطولية المشوقة والتي تتوتر عند قراءتها « كل النشاطات النفسية » . وخلال مطالعة كل هذه الاشياء كان جياب يحس بأن عليه ان يحقق اهدافاً واسعة ، ولهذا فإن عليه ان يقوي كل فضائله المعنوية ، وأن يعمق اختصاصاته . فانكب على دراسة الاستراتيجية ، وفسر كتابات كلاوزفيتز وتأمل فيها ملياً ، لأن « نظرياته تشكل أساس كل حرب من الحروب » ... وتطبّع بكل عقيدة الحرب الثورية : لماركس وأنجلس ولينين ، مع الاهتمام بعقيدة ماوتسي تونغ بصورة خاصة . وكان « اساتذته في التفكير » افضل مدرسة سياسية – عسكرية بالنسبة اليه .

وفي ديسمبر (كانون اول) ١٩٤٤ ، عاد جياب الى تونكين . وأسس مع بعض زملائه الآخرين جماعة الفييت مينه . وأخذ يبشر ، لتحرير البلاد. ونظم العصابات الثورية الاولى قرب الحدود الصينية . ووضعت الصين تحت تصرفه ضباطاً وأسلحة ومراكز تدريب ، تخرجت منها الدفعات الاولى لجيش الفييت مينه . وغدا جياب فيما بعد الصانع الرئيسي لكل الاتفاقات التي تمت مع فرنسا في عام ١٩٤٦ كوزير للداخلية ، وكوزير للحرب في حكومة هوشي مينه في عام ١٩٤٥. وبعد فشل هذه الاتفاقات اصبح « رجل المعركة القاسية » . وأعد أسلحة الثورة العامة كرئيس للجنة الدفاع الفييت مينه . وفي عام ١٩٤٧ ، اصبح القائد الاعلى للقوات المسلحة الفيتنامية ، فقاد حتى عام ١٩٥٤ العمليات العسكرية ضد فيلق الغزو الفرنسي . وبعد سنين من الصراع تحولت العصابات الثورية التي

أنشأها الى فرق نظامية . وبذل جياب كل ذكائه في هذا المجال ، وبرهن عن أعلى الصفات والميزات التي يتصف بهـــا القائد والاستراتيجي قبل أن يصبح في عام ١٩٦٠ وزيراً للدفاع في فيتنام الشمالية .

وفي ذروة مجده العسكري، يبدو جياب متمتعاً بقوة هائلة فريدة من نوعها . ويرتدي جياب عادة إما قميصاً ذا ياقة مفتوحة ، مفصلاً بصورة جيدة على بنيته القوية ، أو درّاعة بسيطة مغلقة عند العنق ، وعلى طرفي الياقة تلمع نجوم أربع يحيط بها شريط مذهب . ويغلف جياب عادة جو من الصداقة والدفء بفضل رأسه القوي الذي يحمل شعراً متمرداً ، وجبهته الواسعة التي تتوقد تحتهـــا عينان وقّـادتان ، وحديثه الواثق ذي النغمة المنتظمة ، والذي يتخلله أحياناً مسحة من السخرية .

وتتوتر طاقته الى أقصاهـــا ضد الامريكيين ، ونراه يحيي ويبعث أوسع التصورات والمفاهيم . ان كل ما يقوله واضح تمام الوضوح ، ويدعو الى رضى هيئات الاركان العامة وقبولهـــا الكامل بآرائه . وبالاضافة الى هذا ، فإن أوامره وتوجيهاته تتماشى مع القرارات الجماعية وتطبيقها حرفياً وبدقة . وفي هذا الاتجاه المرسوم بصورة جيدة ، يندفع جياب دون ان يتردد الى الهدف المحدد . فيحكم على الرجال ، ويلهب القطعات بالحماسة ، ويحرض الشعب كله ، بأحاديثه وخطبه الداعيه الى الوطنية الصرفة الخالصة . وعلى الارض ، وبالتماس المباشر مع الحقائق ، يقرر ويحسم المشاكل الصعبة . ويحدث احياناً بالنسبة اليه ، أن يغير خطة عملياته بعقل راجح وتمييز صحيح ، اذا فرضت الضرورة عليه ذلك . ولا شك في ان عبقرية هذا الرجل الكبير نابعة من سرعة إدراكه ، وجرأة تصميمه ، وقوة اقناعه ، التي تبلغ اعلى درجة من الدرجات .

الفصل الرابع

الاستراتيجية السياسية والنفسية والاجتماعية

العوامل المؤثرة على الاستراتيجية الثورية

ان الحرب الفيتنامية حرب تشتيتية وحرب من حروب العصيان تتمتع قبل كل شيء بطابع **عقائدي وشعبي** . إذ يدافع فيها كل الشعب عن مصالحه الخاصة وعن استقلاله وحريته ، تحركه المشاعر الوطنية العنيفة . ويقـــاتل الشعب الفيتنامي فيها بكل موارده في معركة يبقى فيها **العامل الاجتماعي العنصر الحاسم** . وبما ان هذا الشعب هائج وثائر الى أقصى درجات الثورة ، فلا فرق فيه بين الجيش والشعب ، فهو « يعتبر الدفاع عن الوطن دفاعاً عن الحريات . . . وبهذا الشكل يتيح لقيادته مجموعة من **القوى المعنوية** ، من الممكن أن تستند اليها استراتيجية ثورية تبلبل حسابات الخصم وتحبطها »[1] .

---

(1) William Grossin: Les conditions sociales de la strategie, cahiers internationaux de sociologie. N°. XXXIV (Presses universitaires de France.)

وعندما يفحص ماوتسي تونغ « العوامل المؤثرة بشكل ثابت على الاستراتيجية الثورية » يؤكد ان « العامل الاول والأهم من بين كل العوامل » هو **صلابة المؤخرات بفضل التعبئة الشعبية** . « إذ ينبغي أن يكون الشعب الثوري المحيط الكبير الذي يغرق العدو فيه . فكأن الشعب بركة من الماء والجيش الثوري سمكة تسبح فيه » [1] . فبدون الماء لا تستطيع السمكة أن تذهب بعيداً ، وبدون معونة السكان ، يغدو الجيش الثوري مشلولاً وأعمى ، ويتعذر عليه تحقيق النصر في معركته .

الشعب الفيتنامي ، « وسيلة القتال وهدفه » :

تتغذى أفكار جياب من الدرس التالي ، « ان جهدنا الرئيسي يتجه الى الشعب الذي يمثل وسيلة القتال وهدفه . ان علينا أن نربح رضى الشعب ودعمه ومشاركته . وبدون الشعب لن نملك معلومات عن الخصم. وبدونه لا نستطيع كتمان سر عملياتنا ، أو تنفيذ حركاتنا السريعة . فالشعب يقترح الخدع ويقوم بدور الدليل . ويوفر لنا عناصر الارتباط ، ويخفينا ، ويحمي نشاطاتنا ، ويغذينا ويعتني بجرحانا » [2] .

والواقع ان الشعب الفيتنامي يشكل قاعدة مدعمة تستند اليها الحرب . وهو شعب مستعد دوماً للقتال ، ويزود الثورة بعدد لا يحصى من الرصّاد والمراقبين ورجال العصابات والارهابيين وجنود مليشيا الدفاع الذاتي . ويتعبأ الشعب بكامله لتأمين تموين الوحدات المقاتلة : فأرتاله المتعددة التي لا نهاية لها تجوب المسالك والممرات في الغابات نهاراً وليلاً . ويسدل هذا الشعب ستاراً

---

1 Mao Tsé-Toung: Problèmes stratégiques de la guerre revolutionnaire. œuvres choisies, Editions sociales. Paris, 1955
2 Vô Nguyen Giap, Guerre du peuple armée du peuple éd. Maspero, Paris, 1965.

يخفي حركة العصابات الثورية عن أعين الأعداء ، على حين يتيح لقطعات جيشه الثورية رصيداً أساسياً هو : الاستعلام الذي لا تتيحه غرفة التصنت ولا قوة العمليات ذاتها ، بل يجمعه ويعطيه الشعب كله [١] .

جمع المعلومات : هي المساهمة الرئيسية للشعب :

ليس هناك من عميل من العملاء يتسلل الى منطقة صديقة ، ولا من وحدة عسكرية تتقرب منها ، الا وتكون مراقبة ، ويرافقها بعض الأنصار ، بعد ان يعلم عنها وينذر بوجودها أقرب موقع صديق . وتبقى الفاعلية في الرقابة ذاتها في المنطقة المعادية : إذ تسود في كل مكان التعليمات الصارمة التي تدعو الى الصمت التام والى السلبية الكاملة . وبهذا الشكل تعرف قيادة الثوار كل شيء : فالقيادة تعرف الترتيب الحربي للخصم في أدق تفاصيله، وقيمة وحداته، وحركاته المتوقعة ، ومألوف الضباط من العادات ، و « العناصر المتعاونة مع الخصم » التي ينبغي التخلص منها .

ولكن كيف تتوصل القيادة الى مثل هذه النتائج ؟ انها تتوصل الى ذلك لأن ٤٠٪ من الموظفين في المدن ، وفي طول البلاد وعرضها ينتمون الى حركة الفييتكونغ . والى جانب هؤلاء ، هناك عدد كبير من الموظفين يقبلون تعليمات القيادة ، واعتادوا على اللعبة المزدوجة . فهم بهذا يشكلون العمود الفقري للادارة الفيتنامية الجنوبية ، ويستخدمون جهازها ، ويشرفون على موظفيها ، ويجندون عملاءهم لجمع المعلومات عن العدو من صفوف هذه الادارة.

ويتسلل عملاء الفييتكونغ — رجالاً ونساء — الى كل مكان ، وينهلون

---

(١) ان المسؤول عن كل قطيع في كل مدينة او قرية ، يجند المراهقين والاطفال . وقبل ارسالهم الى الغابة المجاورة للقرية أو للقطيع أو المدينة للتدريب، يستخدمهم في « جمع المعلومات» ويعلمهم في بادىء الأمر كيف يقومون بالتصنت في كل الظروف ، وكيف يراقبون حركات الخصم ويرصدونها ، وكيف يمتنعون عن الاجابة على أي سؤال ، كي يشكلوا مصدراً من مصادر المعلومات . ويحتم واجبهم عليهم نقل هذه المعلومات الى المسؤول الذي يرتبطون به .

أخبارهم ومعلوماتهم من أفضل المصادر . وهم يشكلون في المصانع والورشات الامريكية « نواة » الأربعين ألف عامل ، ويثيرون النزاعات ويشجعون على تخريب العتاد . خمسة آلاف خلية – أي ما يعادل فرقة كاملة – يشكلون شبكة كاملة في سايغون ، وينقلون الشعارات ، وموضوعات الدعاية . وتتسلل هذه الخلايا على كل مستويات قيــادة الجيش الفيتنامي الجنوبي ، وبخاصة في أجهزة الاستخبارات والمكاتب المكلفة بالعمليات . انهـا تراقب القواعد الامريكية مراقبة دقيقة حيث يقوم المستخدمون الفيتناميون (السكرتيرون وعمال المقاسم الهاتفية والخدم والسائقون والحراس والطباخون الخ ..) بالقتال ضد الامريكيين بالحيلة والخداع . كما ان عدداً لا يحصى من الفتيات الجميلات والذكيات ، اللواتي يعملن في الملاهي أو الفنادق ، يقدمن معونتهن لشبكة الاستعلامـات الواسعة هذه . فهن كثيراً ما يسرقن أسرار أصدقائهم من الضباط والموظفين الامريكيين الساذجين الذين يمنحون صديقاتهم ثقتهم المطلقة .

العمل السياسي والنفسي . الأثر النسوي :

وتشكل هذه المعركة الحاسمة الدائرة حول الاستعلام إحـــدى مركبات الحرب الثورية . وتجد منبعها في دافع تأصلت جذوره في أعماق الشب الفيتنامي الذي قبـــل دون إكراه **انضباطاً قاسياً** في هذا الموضوع ، لا يمكن بدونه تحقيق أي هدف . وقد توطد هـذا الانضباط بحكمة ودون تميز بين اي من المستويات ، بفضل المراجع العليا للحزب ، التي تضرب أروع المثـل في كل المناسبات . ويقوم الحزب بدور الموجــه السياسي ، وهو الذي يمسك بيده زمام كل الأمور ، ويقود كل النشاطات . وتنظم قيادته الجماعية « المؤتمرات العقائدية » ، وتهتم باعداد وتربية الاطارات الحزبية ، وبدفعهـــا وزخمها ، تنشر التوجيهـــات الحكومية التعليمات وتعبىء الأفكار بفضل إعادة الحق المظلوم ، وإلغاء الامتيازات ، وبالاصلاح الزراعي بصورة خاصـة ، وبتسليح الايدي العاملة ، ومضاعفة قوة الدعاية التي تخترق كل مجال .

ومن القرية البسيطة الى الحكومة المركزية مروراً بالقسم وبالمقاطعة، تتوضح مجموعة من الوظائف المتسلسلة والمركزية ذات المسؤولية الاقليمية . ويتضمن هذا التسلسل الوظائفي، **لجنة للحزب** في كل مستوى . وتعتبر هذه اللجنة روح الحرب الشعبية في كل منطقة . وتتلقى لجنة الحزب الأوامر وموضوعات النقاش والتوجيهات المخصصة للتأثير على الرأي العـــام . وهي تقود الشعب بصورة مباشرة، في المعارك وفي العمل الاجتماعي، بقبضة من المسؤولين–رجالاً ونساء –، وتشرف على جمع الضرائب، وزيادة معدلات الانتـاج، وتنفيذ المهام المرسومة في مختلف قطاعات النشاطات والفعاليات، من أمن وشؤون عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية .. الخ. وتشدد في كل مكان التدابير الخاصة بتقوية المعنويات بواسطة مجموعة من **المنظمات** المركزية من القاعدة الى القمة . وتضم هذه المنظمات الشباب والشيوخ والفلاحين والعمال والبوذيين والمفكرين والمتقاعدين و**النساء** اللواتي يقمن بدور أساسي .

وتقوم لجـــان « المنظمات النسائية »، من المستوى المركزي الى مستوى الأقسام أو المديريات، بتجنيد النساء . وينتمي ٣٠٪ من النساء الى الحزب الذي حررهن من مخلفات النظام القديم بوضعه حداً لعلاقات اجتماعية قديمة بالية : « كفروض الطاعة الثلاث » في العائلة، الطاعة للأب، وبعد الزواج الطـــاعة للزوج، وفي حـــالة الترمل، الطاعة للابن البكر . و « الفضائل الاقطاعية الأربـع » : أعمال التدبير المنزلي، الصيانة، الحديث، السلوك . إذ تتأكد شخصية النساء الآن في المجتمع الجديد دون خوف أو خشية . والنساء ممثلات بصورة إلزامية، في لجان إدارة المشروعات والجمعيات التعاونية . وتحتل في هذه المجالات مكان مساعد المدير أو المدير اذا كان عدد النساء العاملات فيها يتراوح بين ٥٠٪ و ٧٠٪ . وفي كل مكان تضحي النساء بكل شيء في سبيل **المثل الأعلى السياسي**، والذي من أجله يقاتل أزواجهن، واخوتهن وأبناؤهن حتى الموت . ويساهمن بعملهن هذا في إضعاف المنظمات المعـــادية : إذ يشجعن

المواطنين على الفرار من الخدمة [١] في جيش فيتنام الجنوبية ، ويقمن بتخريب مشروع « القضاء على الفتنة الزراعية » من أساسه ، ويقاتلن ضد عملية إعادة جمع المزارعين في القرى الاستراتيجية ، وينظمن الاجتماعات التي ينفجر فيها الغضب والهياج ضد المحتلين الامريكيين . ومن خلال اختلاطهن بالأوساط الطلابية والأوساط الفكرية والدينية ، وأوساط التجـــار ، يطالبن بالسلم والاستقلال الاقتصادي والثقافي ، وتحسين شروط الحياة ، وتطبيق المبادىء الديموقراطية الكبرى .

أهوال الحرب :

بعد ثمانية وعشرين عاماً من الحرب والدمار ، وبعد عمليات القمع العنيفة التي قام بها الاستعماريون ، تظهر فيتنام اليوم وعلى وجهها آثار جراح دامية لا تزال تنزف ، وفي قلبها صحارى واسعة من الخراب والأنقاض. فقد تعرضت البلاد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، الى قنابل النـــابالم ، ووحشية الغارات الجوية العنيفة ، وأغرقت بالفيضانات المرعبة ، فزالت فيها القرى ، واختفت مدن بأكملها [٢]. وفي كل مكان تسود صورة الوحشة المقفرة : فقد

---

(١) ان متوسط معدل الفرار هو على الشكل التالي: ٨٠٠ في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ ١٫٤٠٠ في نوفمبر ١٩٦٦ ، ٢٫٦٠٠ في نوفمبر ١٩٦٧ ، ٤٫٨٠٠ في نوفمبر ١٩٦٨ . وتتضاعف الفتن وأعمال التمرد ايضاً : ففي النـام بو المركزي ، تفجر ٢٥ عصياناً من نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٦ الى ينـــاير (كانون ثاني) ١٩٦٧ كما رفضت أربـع كتائب و ٢٠ سرية القتال .

(٢) لنذكر أهم هذه المدن ، والتي دمرت تدميراً تاماً أو دمر ٨٠٪ من مبانيها (وكان مقدار سكانها في عـام ١٩٦٠ يقدر بآلاف المواطنين) : هوي (١٠٠ آلاف) ، تام دينـه (٩٠ ألف) ، تانه ـ هوا (٨٠ ألف) ، فينه (٧٢ الف) ، بن ترو ، كان ـ نهو ـ ثودوك كما تعرضت عشرات من المدن والقرى أصغر منها الى المصير نفسه .

ومن ناحية أخرى ، تعرضت هانوي لكثير من التدمير ، وفي هايفونغ دمر العـدو ٥٠٪ من المرفأ وأحيـاء السـكن ، إلا ان حيوية النقـل بقيت سليمة فيه ، وتضمد هاتان المدينتـان الآن جراحهما .

تقطعت الاشجار ، وانهارت الجسور ، وأزيلت المعابد والكنائس ، ودمرت المستشفيات والمدارس ، وحل الدمار بالبيوت والمصانع . واجتاحت المحن القاسية هوي المدينة الامبراطورية القديمة « والمركز الكبير للتقاليد والثقافة» في البلاد . وتقع هوي على طول نهر العطور ، وتوحي قصورهـا وجامعتها وقلعتها التي أحاق بهـا الدمار بأحاسيس حزينة ، كما تذكرنا مناطق القتال بشكل سطح القمر وحفره المتناثرة على امتداد البصر . ولقد تعرضت بعض القطاعات لقصف عنيف ، فنبشت ارضها كما نبشت ساحات المعارك في فردان والسوم ، حتى كأن عاصفة هوجاء شقت بطن الارض ، التي يصعد منها الآن صوت الخراب .

قرى اللجوء :

بيد أن صوت الخرائب ، هـذه ، لم يؤثر على هدوء وتصميم شعب بكامله مستعد للحرب الشاملة . بل على العكس ، شد هذا الصوت من إرادته وضاعف طاقته . فالنساء غير المجندات ، والاطفال والشيوخ ، ينسحبون الى مناطق زراعية ابتدائية . وعندما يضطرون الى التخلي عن قراهم ، نراهم يجرون عرباتهم المحملة بالأرز والحصر والدجاج و « الخنازير الصغيرة » ويتوجهون بصمت الى القرى التي عينتها لهم لجان الحزب كملجأ ينسحبون اليه ، تتبعهم كلابهم النحيلة وجواميسهم . وفي هذه القرى يبنون من جديد أكواخ القش في منأى عن الانظار والرصد الجويين . ويقومون بتربيـة أسماك المستنقعات والغدران في حفر القنابل . ويعودون الى اعمالهم في الحدائق وحقول الارز ، التي يتنقلون فيها مع ملاجئهم المتحركة [1]. ويحفرون الارض دون انتظار أو

---

(١) تبنى هـذه الملاجىء المنقولة من قضبان البامبو بشكل ٧ مقلوبة . وتستخدم هذه الملاجىء المضادة للطائرات ، والتي يمكن حملها بسهولة على الأكتاف ، في مكان العمل ، اذ تثبت في الارض وتموه بالأعشاب والوحل . ويوسع ثلاثة الى أربعة أشخاص اللجوء اليها منبطحين.

راحة ، وكأنهم حيوان الخلد ، ويشقون الخنادق، والممرات المؤدية الى الملاجيء والمدارس ومناطق حراسة الغابات ، وملاجيء الاطفـــال [١]، والمستوصف والصيدلية والمخزن المتنقل الذي يجيء اليهم ليبيعهم ما يحتاجون اليه [٢].

وفي حماسة عنيفة صاخبة ، تنتظم القرية . ويتحول كل مواطن الى ثائر ، وكل قطيع الى قلعة وعش حقيقي من أعشاش المقاومة . وتنصب الأفخاخ والمصائد [٣] المموهة في الارض فتملأ كل مكان ، حيث يقع الامريكيون فيها نتيجة غفلتهم وتهورهم . وتنظم الجمعيات التعاونية تشكيلات الدفـاع الذاتي وألوية العمل . ويتخذ المجلس الشعبي المنتخب لعامين كل القرارات المتعلقة بحياة الأقسام وإدارتها . ويدعو العمال الى تطوير وتنمية كفاءتهم المهنية ، ونشاطاتهم الثقافية . ولا يكتفي الشعب برؤية التمثيليات والمشاهد المسرحية،بل يخلق في كل مكان مجموعات فنية ، تؤلف هي بنفسها المشاهد التي ينبغي ان تعرضها . وتنتشر في فيتنام حركة مسرحية في كل مكان، لأن الحاجة للتعبير عن العواطف والحقد والآمال والمطامح التي تسكن في القلوب ، حاجة ملحة ودافعة .

المساهمة الفنية :

أصبح الفن في فيتنام مطلباً حيوياً . ولا ينفصل التعبير المسرحي أبداً عن المعركة . فهو يعكس بصورة صادقة وحيـة مظاهر الحياة المتعددة في المعركة العسكرية ، وفي مجـــال الانتاج . ويترجم الفنان ــ المصور هذه المظاهر

---

(١) عرفت حماية الاطفال في فيتنام تقدماً كبيراً . ولقـد تزايد عدد ملاجيء الاطفـال ورياضهم حتى غدا ضعف عددها في عـام ١٩٦٠ . وهي موجودة في كل مكان : في المصـالح العامة والمشروعات ، ومزارع الدولة ، والتعاونيات الزراعية .

(٢) تنقل امرأة شابة بصورة عامة المواد المعدة للبيـع في اكياس كبيرة من جلود الحيوانات، وتعرضها في ملجأ معروف من قبل الفلاحين .

(٣) مصيدة الرؤوس الحديدية، وحفر مزودة بأوتاد خشبية، والفام ذات أفخاخ، ودبابيس فولاذية ضخمة تعلق في الاشجار .. الخ .

بطريقته الفريدة ، ويطرحها على حقيقتها الملموسة ، بكل مـــا تقدمه للتأمل والتفكير . ويقدم السينمائي بنجاح متزايد أفلاماً قصيرة (الأخبار العالمية ، والمعلومات الوثائقيــة) ، وهو يبرز على الشاشة عمل المقاتل وفتاة المليشيا والعامل والطبيب وأمهات الجنود . وتساعد عدة أفـلام تعرض بقصد تعميم العلم ونشره على فهم الجميع لأوامر معركة الشعب الالزامية في سبيل استقلاله . ويخلـق مصمم الرقص صوراً راقصة جديدة تبعث الرقصـــات الشعبية (الفولكلورية) من جديد ، وتتطابق مع شروط الحرب . ويبدع المغني ألحاناً تتركز على الموضوعات ذاتهـــا : حب الوطن ، الحقد على الامريكي ، احتقار « حكومة العملاء » ، اخاء الجنوب والشمال . ويركّب رجل المسرح ويمثل مشاهد متنوعة ، بدء من الأوبرا والأوبريت والسكتش الى تمثيل العرائس . وبمناسبة تأسيس متحف الفنون الجميلة الذي حفظ فيه عدد هائل من المؤلفات والتحف الفنية ، التي تمثل الفنون المسرحية والتشكيلية الفيتنامية ، ذكّر فام فــان دونغ رئيس مجلس الوزراء بقول فولتير « ان المسرح معلم أفضل من كتاب كبير » عندما لاحظ « تفتح المواهب الشابة في ازدهار حقيقي » . وقد طوّر هذه الفكرة المؤتمر القومي الرابع للكتاب والفنانين الفيتناميين ، الذي انعقد في هانوي ، في نهاية يناير (كانون ثاني)١٩٦٨ ، وأشاد بمختلف موضوعات المؤلفات الأدبية والبدائع الفنية .

ويعالج الرسامون والكتاب « الحرب بأشكالهـــا المتعددة » وتضع ريشة الفنان ، في اطار من الألوان الرائعة ، على قماش أو لوحة من اللوحات ، اكثر التفاصيل الدقيقـة حماسة وانفعالاً في الاشتباك مع العدو . ويرى كثير من العزة والكبرياء في صور هجمات مقاتلي الجبهة . كما ترى العظمة ايضاً في الحياة المتواضعة الأليمـة للفلاح الذي ينحني فوق حقل أرزه ، وبندقيته معلقة على كتفه ، وفي صورة الأم التي تذرف الدموع أمام جثة ابنها الهامدة ، بعد أن مزقتها شظايا القنابل الامريكية وهي تمد ذراعيها لتمسك حمامة السلام. وتعبر

صورة الثـائر الفيتنامي الجريء الكريم الذي يقتحم كل المصاعب عن قسط كبير من الحقيقة [١] .

ويستخدم الكاتب الفيتنامي ، قلمه لزيادة قيمة الكلمات وتحريك الأفكار. وهو يساهم في طبع المختارات الأدبية – من شعر ونثر – في خمسة مجلدات يصل عدد صفحاتها الى ٤٠٠٠صفحة . ويبقى الشعر ميدان الأديب الفيتنامي المفضل، وأكثر الميادين ازدهاراً . أمـا النثر (من نقد ، ومحاولات أدبية ، وصحافة ، ومجموعات ادبية ، ومذكرات) ، فقد عرف ازدهاراً كبيراً، ويستخدم للتعبير في عديد من المؤلفات القيمة ، تكمن قوتها في تعبيرها الصادق عن البطولة الثورية. ويدعو الكاتب المواطنين للقتال والكفاح المسلح والاستشهاد في سبيل الوطن . ويستثير الكاتب حماسة المواطن الفيتنامي ، ويحطّ من قيمة خصمه. ولا تنقصه الموضوعات الضرورية لهذا الغرض . ولم يكن الفكر الفيتنامي اكثر نشاطاً وحيوية مما هو عليه الآن . فالرجال المتواضعون يقصون ببساطة ما فعلوا في الحرب : ذاك هو الموضوع الذي تنصبُّ عليه « رسائل فيتنام الجنوبية »، والتي تتضمن نصوصاً مؤثرة ومؤلمة تملأ بعض اللحظات بقدسية كاملة . وتحكي أرملة من أرامل فيتنام قصة ايامها الاخيرة مع زوجهـا ، البطل نغوين فان تروي ، تحت عنوان « كما كان » أو « عش مثله » ، وقد غدت قصتها عملاً أدبياً رائعاً ، ترجم الى عدة لغات . وأهم مؤلف من هــذه المؤلفات وأكثرها دلالة ، كتاب « بطلات » ، وهو يعـــبر عن الآلام والمتاعب ، وقوة الشخصية ، وعواطف الاثارة الوطنية لامرأتين استشهدتا في سبيل بلدهما والسلاح في أيديهما. والبطلتان

---

(١) أعادت دار النشر « Liberation » في هانوي طباعة أهم اللوحات الفنية. ومن أشهر الرسامين الذين نشرت لوحاتهم : تهاي ها ، ولو هونغ هي ، ونغوين فان كينه ، ولو فان شيونغ، وهيو به فيونغ دونغ .. الخ . وكلها صور مطبوعة على الخشب ، ورسوم مائية ، وصور زيتية.. ويعكس كل هذا الانتـاج شخصية الفنان الفيتنامي ، كما يعكس بصورة أكبر التفـاؤل والروح القتالية ، التي يتسم بها شعب بأكمله .

هما : اوت تيش ، وهي أم لستة أطفال ، ونصيرة قديمة وتاتي كيو الفتاة الشابة التي قامت بأعمال مختلفة من اعمال الثوار ، وضمت حياتها القصيرة آلام طويلة، ومخاطر وأمجاد . ويبرز كل هـذا الأدب المعركة الدائرة بحماس ، والتعذيب الذي يفرضه الامريكيون على الضمير الفيتنامي ، فيسمو بالفضائل وبوحـدة الوحي والالهام ، ويرفع الالتقاء العفوي لجهود شعب بكامله الى اعلى الدرجات. انه علامة عصر من عصور هذا العالم، وعلامة مدرسة الهدوء والرضى والبساطة، ضمن اطار من العظمة والمجد .

مقاومة هانوي :

ونجد المشاعر ذاتها في العاصمة هانوي . فهي عاصمة لامبالية ، عنيدة ، لا تبدر منهـا أية بادرة للضعف أو الخور . فقد عززت آلاف وآلاف الغارات الجوية الامريكية ايمانها واحساسها بالأمن ، بدلاً من أن ترهبها وتزعزع عزيمتها. فلقد توقع الزعماء كل شيء وأعدوا له عدته : « كونوا واثقين ، كل شيء جاهز ، وقد دقت الساعة لتعبئة كل القوى » ، هذا هو النداء الذي وجهه هوشي مينه في يونيو (حزيران) ١٩٦٦ . وكان سكان المدينة وعددهم مليون نسمة قد تناقصوا مع أهوال السنين الى ٤٠٠٫٠٠٠ نسمة . فتمركزت قيادات الحزب العليا في المقاطعة القريبة ، حتى لا يتعرض جميع المسؤولين لقنبلة واحدة قـد تودي بزعماء البلاد كلهم . ونقلت أثمن التحف الفنية في المتاحف ، وأهم المؤلفات من المكاتب ، وأهم المجموعات الجراحية من المستشفيات، وكل الأجهزة الوزارية، فيما عدا رئاسة مجلس الوزراء ، ووزارة الخارجية ، ووضعت كلها في مكان آخر ، وتمركزت في المنطقة الوسطى . وأعدت بعض القرى لتكون ملاجيء تستقبل اللاجئين ، والاطفـــال منهم بصورة خاصة . وأدرك كثيرمن هؤلاء الاطفال المأساة التي يعانونها من خلال دموع أمهاتهم . فأعادت اليهم المعلمات الثقة بأنفسهم ، واستخلصت من آلامهم كل الدفـع الذي تحتاجه فيتنام لتبعث من جديد .

وتستمر الحياة اليومية في هانوي . وتندفع الجماهير الى المقاهي ودور السينما التي تعرض الأفلام السوفييتية والصينية . وتمتلىء الشوارع أحياناً بسيل صامت ومتواصل من الدراجات [١] . وعلى البحيرة الصغيرة تمد اشجار اللوتس اوراقها الملونة بألوان قوس قزح ، وكأنها فراشات تنتحب . وفي الحدائق يغني صرصار الاشجار دون نهـــاية ، على حين تقوم موظفات البلدية بجز العشب الأخضر وتهذيبه ، وتقوم بائعات الورد بعرض ورودهن للمارة .

ومع ذلك ، فان صور السلم هذه لا تمحو حالة الحرب . وتتضاعف الملاجىء الفردية [٢] وتتعدد على طول الطرقات ، وعلى الارصفة ، وفي الساحات . وعلى عمق ستة أمتـــار او ثمانية تحت الارض ، يجد المواطنون الملاجىء الجماعية التي يبلغ تعدادها المئات في الأحياء الشعبية . فقد حققت مصالح الدفـاع السلبي معجزات حقيقية ، إذ تقف العربات الصحية وعربات اطفاء الحريق السريعة دائمـاً على أهبة الاستعداد في أكثر الأماكن تعرضاً للغارات الجوية . كما يعمل الرجال والنساء في رفع الأنقاض ، وتنتصب الرشاشات المضادة للطائرات فوق أسطحة المنازل ... وحول البحيرة الكبيرة ، وعلى طول النهر أُنشئت عدة جسور عائمة [٣] لتحل محـل جسر **دوميه وجسر دي رابيد** ، اللذين دمرهما القصف . ومن قلب حزم اشجـار الجوافة والموز تتجه آلاف المدافع المضادة للطائرات نحو السماء . فهي ترمي بغضب مجنون لدى اول اشارة تتلقاهـــا من

---

(١) الدراجات هي وسيلة الانتقال الوحيدة المستخدمة في فيتنام ، حتى بالنسبة للشخصيات الكبرى .

(٢) تتألف هذه الملاجىء من أنبوب من الاسمنت المسلح يغرس في الارض . وله غطاء مزود بفتحتين لتمرير الأيدي يسد مدخل الملجأ بسهولة .

(٣) توضع جسور المراكب كل مساء . ويتم نقل العتاد بصورة خاصة طيلة الليل على اكثر من ١٥٠٠ متر من الأرضية الخشبية . ويستخدم الأسلوب ذاته في كل أنحاء البلاد ، حيث يبرهن اكثر من ٥٠٠ جسر عائم أو معلق على حيوية مصلحة الجسور الفيتنامية ونشاطها.

الرادارات . وعندئذ يسود صخب غير طبيعي ، ويختلط فيه أزيز الطائرات النفاثة بانفجار القنابل ورشات الرشاشات ورشقات المدافع الخفيفة وهدير المدافع الثقيلة وصوت انفجار مقذوف صاروخي في سماء امتلأت بخطوط متعددة من آثار انفجار المقذوفات ، يتخللها أحياناً لهيب طائرة تهوى محترقة.

التعليم والثقافة :

لم تبطء الحرب الجوية الامريكية ضد فيتنام تطور التعليم ، أو الحركة الثقافية فيها . ويستند التعليم ، الذي يعتبر كجبهة من جبهات المعارك ، على صيغة واضحة ومؤثرة: « **ان التعليم يعني المقاومة!** » وتحدد التعليمات الرسمية، الصادرة بتعابير واضحة ، طابعه الاجمالي بالشكل التالي : « ينبغي ان يكون التعليم **كاملا** ، أي بدنياً وفكرياً وأخلاقياً وفنياً » . ولا يتحدد هذا التعليم بصورة مجردة،بل يتحدد واقعياً بارتباط وثيق مع مطالب الحرب واحتياجاتها. وينمي التعليم النشاط الانتاجي ، بارتباط وثيق مع تنمية الشعور الوطني . ويوطد اركان وحدة شعب بكامله ، عن طريق مثل واحد أعلى سياسي هو : « الماركسية ، التي يتعلم الجميع مبادئها الاولية لتجعل مطامح الشعب وآماله ملموسة وسهلة الادراك . **وتستخدم الماركسية اللغة القومية.** فقد صدر مرسوم في عام ١٩٤٥ جعل اللغة الفيتنامية لغة التخاطب الرسمية . وهناك لجان متخصصة تضع تعابير جديدة في كل المجالات ، وبخاصة في ميدان العلوم، وتعد المعاجم ، وتؤلف الكتيبات ، والدروس المتطابقة مع كل أشكال التعليم ، ابتداء من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة التي « تتربى الشبيبة فيها وتتغذى بمثل أعلى سامٍ مكون من اجمل العواطف والافكار كما تجسد أنبلها في عصرنا هذا . وتجسد البطولة في اعلى درجاتها كما تجسد الذكاء والفكر الخلاق لشعبنا وثورتنا ، اللذين تمنحهما شبيبتنا حباً وإيماناً وإخلاصاً بلا حدود ... ان الحرب تجعلها تكتشف ذاتها ... فهي تساعدها على تفجير كل طاقاتها وخصائصها وصفاتها . وبعد حد مادي معيّن تفقد الاشياء قيمتها وتتركز الحياة على

مظاهرها الثقافية والاخلاقية . اننـا نريد ان تكون حياتنا حياة كاملة ، متعددة الجوانب ... حياة يحقق فيها الانسان **تفتحه الكامل** . وهذا ما يصنع قيمة الحياة ، ويشكل قيمة شعب من الشعوب »[١].

ومما لا شك فيه ان صعوبات تحقيق مثل هذا الهدف كبيرة جداً . ولكن إرادة الاعتماد على النفس في بادىء الامر ، والافـــادة من كل الظروف ، والانكباب على التعلم المستمر المشاركة في المعركة بصورة افضل تبدو اكبر من هذه الصعوبات بكثير .

وفي كل مكان ، يدفع المناخ العام الى التنافس ، والى الجهد المكابر العنيد . ولكل قسم من الاقسام روضة أطفاله ، ومدرسته الابتدائية ، ومدرسته للتعليم الأولي . وتتلقى المدرسة الاطفال من سن السادسة الى الحادية عشرة . وتملك ثلاثة ارباع الأقسام مدرسة لتعليم الدرجة الثانية ، كما تملك كل مقاطعة عدة مدارس لتعليم الدرجة الثالثة [٢] . ويدوم تعليم الدرجة الثانية والثالثة ثلاث سنوات لكل منها . ويشتمل كلاهما على دروس في التعليم العام وفي الاشغال العملية ، تُطعّم باعداد سياسي أساسي . ويتخصص الطلاب في التعليم الثانوي

---

(١) جاك دوكورنوا : في مقابلة صحفية مع فام فان دونغ ، في le monde ٥ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ .

(٢) تسمى دورات التعليم هـــذه ايضاً ، الدرجة الأولى والثانية والثالثة ، ويمكن مقارنة الدرجة الثانية والثالثة الى حد ما بالقسم الاول والثاني من الدرجة الثانية الفرنسية .

وفي عام ١٩٦٨ كان عدد الطلاب في فيتنام الشمالية يعادل ثلاثة أمثال عددهم في عام ١٩٥٨ . ويبلغ تعداد طلاب تعليم الدرجة الثانية والثالثة ٢٠٠,٠٠٠ تلميذ ، وهذا رقم يعـادل أربعة أضعاف رقم عـام ١٩٦٥ . ومن اصل كل عشرة تلاميذ يوجـد ستة من الذكور وأربـع من الفتيات .

لكي يتدارك المسؤولون احتياجاتهم من الفنيين في الجيش ، والاشغـال العامة والزراعة [1] .

وتلحق المدارس في غالب الاحيان السكان الذين جلوا عن قراهم . فتتوزع في الجبال ، وتحت الغابات ، وفي المساتر الطبيعية ، ووسط المغاور المحفورة في الصخور ، كي تتوارى عن الغارات الجويـة ، وعن رمي الطائرات . وتغطي اكواخ القش المسقوفة بالخيزران المكاتب ، والمهاجع ، والمنـاهل ، وقاعات الدراسة . وتقوم الخنادق كممرات بين صفوف الاسرة ، والمقاعد، والطاولات. وهنـاك ملاجىء ، وجدران من التراب مخصصة للحماية ضد قنابل المنثار وكراتها الفولاذية . ويلبس التلاميذ قبعات سميكة واقية من الشظايا ، مصنوعة من الألياف . وفي كل مكان ، يتمتع الجهـاز التعليمي بسلوك نموذجي : فعند الانذار بالغارة الجوية ، يقود المعلمون والمعلمات تلاميذهم بهدوء وشجاعة الى الملاجىء . وينظمون التدابير الاولى للتخلص من اي وضـع صعب . ويملك التلاميذ كأساتذتهم حقائب الاسعاف، ويعرفون اسلوب توقيف النزيف الدموي، والقيام بالحقن والاسعافات الاولية في حالة الاصابة برضوض او كسور او اختناق. ويقوم المعلمون مع تلاميذهم الكبـار بالرمي ضد الطائرات، ويشاركون في ترميم الطرقات والسدود ، وفي تحسين الورش ومراكز تربية المواشي ، والاعتناء بحدائق المدارس . وفي قطاعات اخرى ، يظهر المعلمون والمعلمات كثيراً من المهارة والبراعة . فهم يستخدمون احياناً مد الانهار لا للسقاية وإرواء الارض فحسب ، بل لانتاج الطاقة الكهربائية اللازمة لأمكنة إقامتهم . فهل هناك عمل افضل من هذه المشاركة في تقدم البلاد ؟

ويمارس الجهاز التعليمي في فيتنـام علاقات وثيقة مع الجماهير الشعبية التي

---

(١) بهذا الشكل نجد المدرسة الثانوية الزراعية توجه طلابها في ثلاث طرق مختلفـة، موافقة لثلاثة أقسام هي : الاقتصاد والزراعة وتربية المواشي. ويسمح هذا الاعداد بحل مشاكل التسيير والتسويق ، وتنمية مردود الارض واستخدام كل مواردها .

يتمتع في صفوفها بسمعة وهيبة ، كما كرّم النظام السياسي هذا الجهـاز الى حد كبير . فمدارس اعـــداد المعلمين والجامعات ومعهد التربية ، تشكل هؤلاء المعلمين وتعدهم [١] ، وهم يحاولون بعد ذلك رفـــع مستواهم وتحسين معلوماتهم ذاتياً .

وينطلق الوجدان الثوري الفيتنامي دوماً من حقائق واقعيــة . فهو لا يفصل الحرب والاقتصاد عن تطور العـلم والفن . وتنظم دورات تكميلية [٢] للاطارات . ويستمر تعليم الانكليزية بإيقاع متزايد ، بغية الافادة من التجربة التكنولوجية للبلاد الانجلو سكسونية . ولا يأتي الخبراء من البلدان الاشتراكية ليعملوا ، بـل ليساعدوا اطارات التعليم الفيتنامية في ميدان التعليم العالي . وأخيراً يعود في كل عام الى البلاد ، بعد إقامة طويلة في الاتحاد السوفييتي، وفي دول اوروبا الشرقية او الصين ، فيتناميون يشكلون نواة الاساتذة والبحاثين والمهندسين من اعلى المستويات [٣] . بعد ان درسوا العلوم بلغة اجنبية ، وقاموا

---

(١) تشتمل المناهج التربوية على :

- عامي دراسة لمعلمي الدرجة الاولى (بعد سبع سنوات من التعليم العام) .
- عامي دراسة لمعلمي الدرجة الثانية (بعد عشر سنوات من التعليم العام) .
- أربع سنوات دراسة لمعلمي الدرجة الثالثة (بعد عشر سنوات من التعليم العام) .

(٢) وهي دورات منتظمة في المدارس العليا والجامعات ودورات مسائية، ودورات بالمراسلة.

(٣) بهذا الشكل تلقى اثناعشر ألف شاب فيتنامي ، في عام ١٩٦٨ تدريباً فنياً وعلمياً عالياً . وقد أفرز مركز دوبنـــا السوفييتي اثنين منهم الى فرنسا لدراسة الأبحاث في الفيزياء الذرية ، في عملية التبادل الثقافي الفرنسي ـ الروسي .

ومن بين هؤلاء الفيتناميين الشباب المدربين في روسيا، عدد من الطلاب الطيارين الدارسين في قاعدة باتيسك الجوية ، على مقربة من بحر آزوف . ويتضمن تعليم هؤلاء الطيارين اللغـة الروسية بالاضافة الى الرياضيات والفيزياء والاليكترونيات .

بجهد هائل لكتابة الدروس باللغــة القومية [1] .

وتسمح مجموعة من هذه التدابير بإعداد نخبة قادرة على تحسين مستوى الثقافة القومية ، ودفع البحث العلمي في طريق التقدم ، وتطوير التعليم العالي ، الذي يمثل تحوله المفاجىء « الوثبة الجديدة الى الامام » ، هذه الوثبة التي أعلن عنها فام فان دونغ رئيس الوزراء منذ بدء التصعيد. ومن عام ١٩٦٥ الى عام١٩٦٨، بلغ عدد الجامعات والمدارس العليا (طب ، صيدلة ، علم الحيـاة ، كيمياء ، فيزياء ، اليكترونيات ، ميكانيك ، جغرافيا ، جيولوجيا .. الخ) ٤٥ معهداً وجامعة بعد ان كان عددهـا ١٨ فقط . وفي الفترة ذاتها ، قفز عدد الطلاب المتفرغين تفرغاً تاماً من ٢٣٫٠٠٠ الى ٥٢٫٠٠٠ طالب ، امـــا عدد الطلاب الذين يتفرغون جزئياً ، فقد قفز من ١٧٫٠٠٠ الى ٤٤٫٠٠٠ طالب .

وتتمتع المعاهد ، والمدارس العليـــا ، كمؤسسات التعليم للدرجة الاولى والثانية والموزعة في كل البلاد بقسط كبير من المبادرة والمسؤولية . وبرغم كل الصعوبات ، فإن لامركزيتها لم تعطل تطورها . ويتلقى الطلاب ، التعليم الضروري ، حتى وهم في الجبهة او في مناطق العصابات ، لأنهم يخضعون فيما بعد لانتقـــاء قاسٍ . ويسير المعلمون أحياناً مئات الكيلومترات على دراجاتهم لتكرار درس من الدروس ، وتصحيح الواجبات المدرسية ، وإجراء الامتحانات للطلاب ، وللمزج بصورة رائعـــة بين الثقافة الفكرية والصفاء الأخلاقي .

وتجسد مدرسة « البوليتكنيك » في هانوي هذه الجدارة في اعلى درجاتها . فنقلها الى قلب الغابات بالدراجات والعربات التي تجرها الأبقار ، مغامرة لا مثيل لها . وتملك هذه المدرسة التي بنيت في العاصمة بفضل المساعدة السوفييتية

---

(١) لقد خلقوا باقامة هذه الدورات ، لغة فنية في كل النشاطات ، تتضمن اكثر من ٦٠٠٫٠٠٠ تعبير جديد ، يتم بفضلها طبع عشرين مجلة علمية بصورة منتظمة ، وطبع ١٧ مليون كتيب مدرسي سنوياً .

مبان كبرى متعددة الطوابق ، لهــا نوافذ زجاجية واسعة وتجهيزات ومنشآت من كل الأنواع ، وهي من أحدث المنشآت وأكثرها عصرية . وكانت تستقبل في بادىء الأمر ٨٧٥ طالباً . وبعد اثني عشر عاماً ، وفي قلب الغابة نراها تضم ٨٠٠ مدرساً و ٦٢٠٠ طالباً ، وتوزع الدروس المسائية والتعليم بالمراسلة لـ ٢٥٠٠ طالبــاً آخرين . وتطبع ٦٨٧ درساً « مطبوعــاً على الرونيتيب » ، وثمانين كتاباً تعليمياً ، باللغة الفيتنامية القومية . وفيها خمسون مخبراً تتبع ستة أقسام تسمى جامعات ايضاً [١] . ويتضمن منهاجها الموزع على خمس سنوات ٣٩٠٠ ساعة دراسة [٢] . وهنـاك اكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ كتاب تشكل مكتبة تغنى بالكتب باضطراد مستمر ، وتعير الكتب الضرورية مجاناً.

وللحصول على الدرجــة الجامعية لطلبة الدكتوراه في العلوم ، يجتاز المرشحون امتحانات ويقدمون أطروحة معينة في اختصاصهم . ولطلاب الدكتوراه مطلق الحرية لتحضير وعرض أطروحة الدكتوراه بصورة عامة بعد إقامة في البلاد الأجنبية .

ولا نبالغ إذن في الحديث عن تحول جذري في التعليم العــالي في فيتنام الشمالية . ويجتاز التعليم العالي كالتعليم العـام، مرحلة هامة من مراحل تطوره. ويزود القطاعات المدنية والعسكرية بالعدد المطلوب من الأخصائيين الحائزين على

---

(١) الميكانيك والتعدين ـ الكهرباء والراديو ـ منشآت جسور وطرق والهيدروليك ـ مناجم وجيولوجيا ـ التكنوكيمياء ـ دورات مسائية وبالمراسلة مع ٤٥ فرع و ٢٥٠ اختصاص مختلف.

(٢) ٢٥٪ للدراسات النظرية الأساسية (الرياضيــات ، الفيزياء ، الكيمياء ، الميكانيك النظري ، مقاومة المادة) .

٣٠ ٪ للتكنولوجيا الأساسية
٢٠ ٪ للاختصاصات
١٠ ٪ للغات الأجنبية
١٠ ٪ للدراسات السياسية
٥ ٪ للتربية البدنية .

درجة عاليـــة من الكفاءة في الفروع التقنية الجديدة الخاصة بصنع العتاد والاليكترونات ، والميكانيك ، وآلية الانتاج ، والصحة العامة التي تحسن طرق الوقاية وعلاج الامراض والجروح بصورة رائعة .

الصحة العامة في الجيوش وفي المؤخرة :

يرتدي التعليم العـالي في فيتنام الشمالية ، بالاضافة الى طابعه الاقتصادي — العسكري أهمية طبية واضحة . فقد انشأت بإيقـاع متسارع كليات طب المقاطعات ، مع مكاتبهـا وأجهزة البحث والتعليم فيها في المنطقة العالية على مقربة من معاهد البحث والتنقيب . وضاعفت من عام ١٩٦٥ الى ١٩٦٨ عشرين مرة ملاكات الأطباء، كما ضاعفت ستين مرة أعداد ضباط الصحة في الجيش . وفي عـــام ١٩٥٥ ، كانت فيتنام تستخدم طبيباً واحداً لكل ١٥٠٫٠٠٠ مواطن ، وطبيباً مساعداً واحداً لكل١٠٠٫٠٠٠ مواطن. أما في عام ١٩٦٨ فإن فيتنام تملك طبيباً لكل ستة آلاف مواطن، وطبيباً مساعداً لكل١٦٠٠ مواطن . ويتضمن الجهاز الطبي اليوم ٣٠٪ من النساء الطبيبات و ٨٠٪ من ضباط الصحة النساء . وستتضاعف نسبة النساء الطبيبات من الآن وحتى عام ١٩٧٢ . إذ ينفتح أمام النساء حقل من حقول التجارب ، كالحقول المفتوحة امام الجهـــاز الطبي كله ، والذي يتضاعف ضمن اطاره بشكل هائل عدد الجراحين ومساعديهم .

وفي حقل المعركة ، وخلال الفترة الدفاعية بصفة خاصة ، تملك كل وحدة ، من الكتيبة الى الفرقة [١] مستشفاهـــا الموجود تحت الارض ، والمقسم الى « قطيعـات » (من قطيعين الى ستة قطيعات) مفصولة بممرات . والمستشفى « خفيف » الى حد ما ، ومن الممكن فكه في حالة الهجوم بسرعة . وهو يملك

---

(١) تنقسم المجموعة الصحية في الفرقة بسهولة : وتتوزع عناصرهـا بين جمهرات الفرق المختلفـة .

تجهيزات قليلة إلا انهـا كافية وتتضمن أدوات للمعالجة الجراحية ومعالجة الاسنان ، منضدة عمليات تضاء أحيـاناً بواسطة مصباح سيارة يغذيه محرك صغير (دينامو) ، بلازما محفوظة في جو بارد وتستخدم في معالجـة حالات النزيف ، والحروق الواسعة والانعاش . وأخيراً يحتوي المستشفى على الأدوية : كينين ، هيدروكورتيزون ، مضادات حيويـة أساسية ، تأتي من الصين ومن الولايات المتحدة الامريكية على حد سواء ، ومن أوروبا وروسيا السوفييتية بصورة خاصة .

ومنذ عام ١٩٦٧ ، قدم الاتحـاد السوفييتي معونات لا تنكر الى الصحة العسكرية في فيتنام . وأرسل الى فيتنام الشمالية عدة مستشفيات ميدانية . يشتمل كل مستشفى منهـا على ستين سريراً ، ويزن ١٥ طناً ، ويضم بصورة رئيسية غرفـة عمليات متنقلة مصنوعة مسبقاً ومزودة بأحدث التحسينات ، خيام للمنشآت الراديولوجية ، والمعمل ، وإسعافات ما بعد العملية (الانعاش) ، والجهاز الطبي والعتاد . ويسمح مولد كهربائي ومحطة لتنقية المـاء بتشغيل المستشفى بصورة مستقلة عن الظروف المحيطة به .

وفي المؤخرة [١] تقاد المعركة ضد المرض والجروح من كل الانواع بنجاح تام بفضل الاستخدام العقلاني للأطباء ، ونظراً لاعداد اطارات كثيرة مساعدة ، ووجود شبكة طبيـة كثيفة ولامركزية . وتحتل الوقاية من الامراض مكاناً اساسياً . وتؤدي اللقاحات [٢] منذ عام ١٩٥٧ الى زوال الكوليرا والتيتانوس

---

(١) ضمن الحد الذي يمكن فيه استخدام هذا التعبير ، اذ لا يوجد في فيتنام مؤخرة وجبهة أمامية . فكل البلاد معرضة للخطر . وقد صرح الاستاذ الطبيب تاش ان « هناك جرحى من بين المدنيين اكثر من الجرحى في صفوف العسكريين » ، ولكنه اضاف قائلاً : « ان معدلات الوفاة في جروح المدنيين التي سببها القصف الجوي الامريكي أقل من معدلات وفـاة جرحى القطعات الامريكية طيلة الحرب الكورية » .

(٢) يلقح المواطنون ، ويخضعون لفحوص طبية دورية بصورة اعتياديـة ضد : الكوليرا (كل ستة اشهر) ، وضد التيتانوس ، وضد الحمى التيفوئيدية (كل عام) ، وضد السل (كل عام) ويلقح كل البالغين دون استثناء . ويتلقى الاطفال اللقاح المضاد للجدري ، والمضاد للشلل.

والجدري وشلل الاطفال . وفي كل مكان يتراجع السل والجذام والتراخوما والالتهابات المعوية امام تقدم الحالة الصحية ، وفي كل مكان من فيتنام ايضاً تتحسن المستويات الغذائية ، وتحافظ على نسبة ملائمة ، ويتحسن تنظيم الدفاع السلبي وسير حركته بصورة ثابتة . كما ان مجموعة تدابير الحماية التي اتبعت جماعياً من قبل المواطنين ، وطبقت بحذافيرها لحمايتهم من الهجمات الجوية ، قللت عدد القتلى او الجرحى بصورة هائلة . وقدر الاستاذ الطبيب تاش وزير الصحة في فيتنام الشمالية « ان ٩٠ ٪ منهم أصيبوا وهم خارج ملاجئهم »[١] . وهو يعتبر « ان الوقاية مفتاح جميع الاعمال » ويقصد بالوقاية : الوقاية من أخطار الحرب وخاصة القصف الجوي ومن الخطر البيولوجي (الأوبئة)[٢] . وتعتمد الوقاية على « سلسلة » طبية كاملة تربط الجمعية التعاونية والقرية بالقسم وبالمقاطعة ، طبقاً لخطة مطابقة لمطامح الشعب وآماله ، ومطابقة لاحتياجاته وموارده .

وتملك ٨٠ ٪ من الجمعيات التعاونية الزراعية مجموعة صحية تسهر على صحة الفلاحين ، وتنشر مفاهيم الصحة الوقائية . وتعطي الاسعافات الفورية للجرحى . وللقرية مصلحتها الصحية ، ومركز الولادة التابع لها ، مع وجود

---

(١) أحاديث وأقوال التقطها الاستاذ اسكوفييه لامبيوت ونشرها تحت عنوان : « مقاومة الانسان لانقضاض التقنية » في le monde عدد ٢٥ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ .

قام الاستاذ الطبيب تاش ، وهو في الاصل من فيتنام الجنوبية ، بدراساته الطبية في هانوي ثم في باريس حيث تخصص في الامراض الصدرية (السل) . وقد مارس المهنة بصورة عملية من عام ١٩٣٦ الى ١٩٤٥ . وانتسب الى الحزب الشيوعي وهو شاب يافع ، وساهم في انشاء الفييت مينه في الجنوب . وارتبط بالصداقة مع هوشي مينه وأصبح طبيبه الخاص . وكان أول وزير للصحة في الحكومة المؤقتة عام ١٩٤٥ ، ثم اصبح فيما بعد سكرتيراً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء . وفي عام ١٩٥٤ أقام نهائياً في فيتنام الشمالية ، وأصبح عام ١٩٥٨ وزيراً للصحة . وهو استاذ كلية الطب في هانوي ، ويمارس بالاضافة الى ذلك ادارة المعهد القومي لمكافحة السل. وتعيش زوجته الفرنسية ، في الري ـ سور ـ سين .

(٢) المرجع نفسه .

طبيب في غالب الاحيان ، وطبيب مساعد بصورة دائمة ، وممرضة ، وقابلة . وفي غرفة العمليات الواقعة تحت الارض ، يمارس الطبيب العمليات العادية . أما الطبيب المساعد فهو قادر على ممارسة كل العمليات الجراحية البسيطة (كسور وجروح للأجزاء اللينة من الجسم) والانعاش (العلاج بالصدمة للجرحى جروحاً خطيرة) [1] . وفي وسع الطبيب المساعد القيام بعملية نقل الدم او البلازما - هذه العملية التي لم يكن يقم بها إلا الاطباء - كما ان بوسعه معالجة التراخوم جراحياً ، وهي عملية بقيت حتى عام ١٩٥٩ وقفاً على الاختصاصيين في هانوي . وتؤمن اضاءة غرفة العمليات بمحركين يغذيان مصباحين متصلين بدراجة [2] بواسطة سلك موصل . ويوجه المرضى والجرحى الخطرين ، بعد اسعافهم الاسعاف الأولي من قبل افراد المركز الصحي في القرية الى مستشفى القسم .

وعلى مستوى القسم ، نجد كثيراً من التحسينات في المستشفى ومائة سرير ، وجراحاً أو جراحين وحوالي عشرين طبيباً مساعداً . وبالاضافة الى أقسام الأنف والأذن والحنجرة ، والامراض النسائية ، وأشعة إكس ، هناك مخبر تجري فيه التحاليل التي كانت تتم منذ زمن قصير في مستشفى المقاطعة فقط ، وهناك فرع جراحي في حالة نشاط دائم يقوم بالاعمال التالية : عمليات البتر ، عمليات المداخلة الجراحية الداخلية ، تجبير الكسور .. الخ ، بالاضافة الى

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) منذ مطلع عام ١٩٦٨ ، أنتجت شركة فرنسية على نطاق واسع « دراجة فيتنام » الملائمة لمطالب الجهاز الطبي الفيتنامي ، وبحجم أقل من حجم الدراجات الفرنسية ، وتشتمل على ركيزة تسمح بالحفاظ على العجلة الخلفية للدراجة مرتفعة قليلاً . وعلى هذه العجلة محركان (دينامو) يغذيان بصورة فورية مصباحين من المكن فكهما ، يتصلان بالدراجة بسلك موصل ، ويزودان بالمنابع الضوئية التي تسمح باضاءة منطقة العمليات الجراحية . وهناك حقيبة مثبتة على جسم الدراجة ، تحتوي اداة انعاش ، وحقيبة جراحية ، وأدوية الاسعاف الاولي . وتكلف كل دراجة مجهزة بهذا الشكل ٦٠٠ فرنك .

عمليات جراحية لا علاقة للحرب بها ، كاستئصال الزائدة الدودية ، وعمليات الرحم والمعدة .. الخ . ويعتني بكل جروح الحرب في القسم ، فيما عدا الجروح التي تصيب القفص الصدري (الرئة والقلب) وهي عمليات من اختصاص مستشفى المقاطعة ، وعناصر طبية اكثر اختصاصاً .

وفي كل مكان ، قادت الحاجة الفيتناميين الى استخدام موارد البحث في تركيب الادوية الفيتنامية الشعبية [1] . إذ سمح هذا البحث بتوليد أو اكتشاف فنون خاصة ، وبخاصة في حالات حروق الرأس ، وبالتوصل الى مواد جديدة « كعصية الباسيلوس سوبتيليس ، وهو دواء علاجي رائع للالتهاب ومسكّن شاف في التئام الحروق والجروح » [2] . ومنذ وقت قصير كان الرجل المحروق معرضاً للموت اذا تجاوزت حروقه ثلث جسمه . ولكن مصلحة الصحة الفيتنامية تنقذ هذا الجريح بصورة عادية ، حتى ولو كانت حروقه قد تجاوزت نصف جسمه [3] . وهم يعالجون مثل هذا الجريح « بالطرق التقليدية : مقاومة الصدمة ، الاجتفاف ، بواسطة التحليل الكهربائي ، وبالضمادات السادّة ، والمضادات الحيوية ، وبالباسيلوس سوبتيليس » . ويخشى الاستاذ الطبيب تاش مع ذلك ان تجد فيتنام نفسها « امام مشكلات خطيرة في إعادة التأهيل البدني

---

(١) يقول الاستاذ الطبيب تاش : « ان هذه الموارد أمنت الحصول على نتائج مماثلة لنتائج تركيب الادوية التقليدية في الالتهابات المعوية والروماتيزمية ، وتصلب الشرايين ، وبعض اضطرابات الكبد . وقد استخرجت المواد المستخدمة من النباتات ، وبخاصة فيما يتعلق بمعالجة رضوض الجروح » .

(٢) الدكتور اسكوفييه لاميوت ـ المرجع السابق ـ تملك عصية الباسيلوس سوبتيليس خاصة تدمير بعض الجراثيم ، التي تسبب الالتهابات المعوية بصورة خاصة ، وبالاضافة الى هذا تقاوم كثيراً من المضادات الحيوية . وتستخدم في الغرب أساساً لمقاومة الالتهابات المعوية ، وكمتمم للعلاج بالمضادات الحيوية . وتبدو النتائج التي حصلت عليها فيتنام مهمة جداً . ويروي الدكتور اسكوفييه لاميوت ، ان من الضروري متابعة الابحاث في هذا الصدد للوصول الى نتائج افضل وأكثر فائدة للانسانية .

(٣) نلاحظ هنا ان ٥ ـ ١٠ ٪ من الجرحى هم المصابون بحروق النابالم .

لمن يتعرضون للجراحة التجميلية. وذلك بسبب التشوهات الخطيرة،والأعراض الوظيفية الهامة التي تسببها هذه الحروق » . وستكون هذه المشكلة « إحدى المشكلات الرئيسية لما بعد الحرب » ، والتي تضاف اليهـــا مشكلة « التأهيل البدني والنفسي والعصبي » [1] .

وبهذا الشكل نجد ان لهذه المسائل التي عرضناهـــا بسرعة تعاليم ودروس ثمينة ، تشكل ثمرة تجربة طويلةفي الباثولوجيا الطبية والجراحية في زمن الحرب. فقد عرفت فيتنام الشمالية كيف تتصرف أمام كل الامور الالزامية القاهرة : فقد تمكنت في بادىء الأمر من استدراك الفقر في الاطباء ، والمساعدين الصحيين الذين دربوا بصورة سريعة ، وغدوا قادرين على معالجة كل العمليات العاجلة في « الوحدات » الطبية لمختلف الأنساق . ثم وضعت فيما بعد مجموعة من الفنون ، وطرق التطبيب ، والتدخلات العلاجية التي سمحت بمعالجة الجروح والامراض وسط ظروف افضل . وزادت الحرب موارد فكرها الخلاق في كل الميادين الى حد كبير .

---

(١) الدكتور اسكوفييه لامبيوت ـ المرجع السابق .

الفصل الخامس

الاستراتيجية الاقتصادية

وهناك نجاحات أخرى لا تقل أهمية عن النجاحات السياسية ، تشبه المعجزات تحققت في المجال الاقتصادي. فقد ظهرت في هذا المجال الطاقة المبدعة للشعب الفيتنامي في مد تحرر من كل القيود والسدود . وبعثت هذه الطاقة الخلاقة الثورة الفنية والعملية ، التي شملت كل قطاعات الانتاج ، وأمنت التوسع العام في كل المجالات ، بالرغم من الاضرار الجسيمة التي سببتها الحرب ، وذلك بفضل خطط متلائمة مع كل مقاطعة من المقاطعات .

السياسة الحكومية والتخطيط :

ان السياسة الحكومية « تلبي بأفضلية أولى المطالب الأساسية للمقاتلين وللشعب العامل النشيط ،مع ضمان تأمين الاحتياجات الاساسية للشعب بكامله» . وضمن اطار الفقر العام ، يفرض المسؤولون وكبار الموظفين على أنفسهم نظاماً قائماً على التقشف . وهم يتوجهون في أحاديثهم الى القلب والى العقل ، واثقين من أن الجماهير تفهمهم وتسير وراءهم ، ويوفقون ما بين المصلحة العامة والمصلحة الفردية . وبواسطة لجان الدولة ، يمنحون الاقتصاد القومي دفعاً وزخماً هائلين:

اذ يضاعفون الورش الصناعية ، التي تسبب بالتالي تقدماً للفنون والانتاج الزراعيين يبشر بالخير والرفاه . فهناك خطتان خمسيتان ، للفترة من عام ١٩٦١ — ١٩٧٠ تفتح أمامهم آفاقاً واسعة .

وقد حققت الخطة الخمسية الاولى (١٩٦١ — ١٩٦٥) أهدافها التالية : تزويد مناجم الفحم في هونغ كاي بتجهيزات جديدة ، وتوسيع معامل الاسمنت ومصانع البناء البحري في هايفونغ ، وإنعاش معامل غزل نام دينه ، وورشات التصليح الميكانيكية ، وورشات سكك حديد جيا لام ، وإقامة مشروعات جديدة ، وبخاصة إقامة مصنع بناء الآلات ومصنع الخشب المعاكس في هانوي وإنشاء مسابك القصدير في كاو — بانغ ، وإقامة المقاسم الكهربائية في فينه ولاو — كاي . ان بناء مشروعات ضخمة يضع أسس صناعة ثقيلة[1] ، ويدفع الى خلق مناطق صناعية[2] وتطوير الفروع الأساسية[3] .

وتترجم هذه المنجزات في ارتفاع هام في الانتاج . فقد بلغ انتاج الصلب الذي كان يعتبر صناعة غير قائمة في عام ١٩٦٠ ، ٢٢٥٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٦ . وبلغ انتاج الكهرباء ٦٨٠ كيلو واط ، أي بزيادة قدرها ١٦٢ ٪ عن عام ١٩٦٠ . وبلغ انتاج الفحم ٥٫٢ مليون طن ، أي ما يعادل ضعف انتاج عام ١٩٦٠ ، كما بلغ انتاج النسيج ١٢٥ مليون متر من الأنسجة القطنية تقابل ٧٦ مليون متر في عام ١٩٦٠ .

---

(١) الوحدة الصناعية لاستخراج الحديد والصلب وصبه في تاي نغيين (بلغ انتاج الصلب فيها في عام ١٩٦٥ ٢٠٠٫٠٠٠ طن) ، والمواد الكيميائية في فييت تري ، والسوبر فوسفات في فوتو ، والسماد الآزوتي في هاباك ، والمقسم الهيدرو - كهربائي في تاك با ، والمقاسم الترمو - كهربائية في فييت تري وتاي نغيين وايونغ بي . . الخ .

(٢) تشكل عدد معين من المناطق الصناعية في هانوي وهايفونغ وهونغ - كوانغ وتاي نغيين وفييت تري .. الخ .

(٣) منشآت ميكانيكية ، وصب المعادن وتحويلها ، والسماد ، والادوات الكيميائية ، ومواد البناء .

وينصب الاهتمام أساساً على **تطوير هذه الصناعة الثقيلة** ، إلا ان الجهود تنصب أيضاً على **الصناعات الخفيفة** وعلى زيادة عدد الوحدات الاقتصادية المحلية ، الأمر الذي جعل من ١ر٥ مليون من السكان قادرين على الاكتفاء ذاتياً على المستويين الاقتصادي والعسكري بفضل صناعاتهم ، واستثماراتهم الزراعية ، والميزانيات المالية المخصصة لهم وأسواقهم الخاصة . وتبني كل منطقة من المناطق ، وكل مقاطعة مركبها الصناعي الذي ترتبط بنيته بالخصائص المحلية : اليد العاملة ، المواد الاولية ، منابع الطاقة .. الخ والمشروعات التي يبنونهاهي بصورة عامة مشروعات متواضعة ، مجهزة ببعض المحركات والآلات الصغيرة. وتصنع هذه المناطق الآلات الزراعية اللازمة لها (من محركات ومضخات ومنافض ومساحق وأدوات الحرث والسماد .. الخ) ووسائط النقل (المعديات والقوارب المسطحة لنقل البضائع والزوارق .. الخ) . وتعطي هذه المناطق أيضاً دفعاً قوياً لانتاج المواد الغذائية . والمواد الرئيسية : كالسكر والطحين والشعيرية (التي تستخلص من الارز ، والبطاطس الحلوة أو المنيهوت)، والبيرة وشراب الليمون والبرتقال ، والتبغ ولفافات التبغ والخيوط والصابون ، وكل المصنوعات القطنية والثياب ، وتصل الى المستهلك في أقل مهلة زمنية ممكنة ، محملة على الدراجات النارية أو مراكب « السامبان » .

الانتشار الاقتصادي :

يتطلب مثل هذا الدفع الاقتصادي تطوراً نامياً في طرق المواصلات [١] ، وتوزع وانتشار معظم المصانع . ولولا التدابير الملائمة التي اتخذتها السلطات الفيتنامية الشمالية ، لأمكن للعدو القضاء على هذا التطور بغاراته الجوية المستمرة .

---

(١) تقدمت طرق المواصلات البرية والنهرية الى حد كبير . فقد شقت طرق جديدة ، واستخدمت وسائل بناء جديدة في شق الطرق ، وترميمها ، وبناء الجسور ، ومراكب النقل والموانىء .

وتقود سياسة « الانتشار الاقتصادي » المنفذة طبقاً لخطط موضوعة مقدماً الى تبديل مستودعات المحروقات الضخمة الموجودة على مقربـــة من هانوي وهايفونغ بمستودعات صغيرة ومموهة مدفونة في الارض . ومن ثم تشتمل هذه السياسة على فك المصانع ، وإخلاء آلاف وآلاف الأطنان من الآلات والأجهزة المختلفة على ظهور الرجـــال ، أو على عربات تجرها الأبقار ، تحت إشراف المختصين ، ثم إقامتها من جديد في ورش مموهة ، وفي مغاور هائلة تحت الربى الرملية والكلسية التي تحيط بالنهر الأحمر .

وكانت القاعدة الأساسية في كل شبر من فيتنام الشمالية هي اللامركزية : فالمصانع تكلف مشروعات الصناعة الحرفية بأعمال تقوم بهـا لحسابها . وقد حافظ الفيتناميون على معدلات الانتــاج ، وزادوا نسبتها بفضل جهود عجيبة بذلوها ، وتحت وطأة الغارات الجوية العنيفة أحست فيتنام بأنهـــا مهددة بالموت والدمار . وكان مثل هذا الوضع يتطلب علاجاً شافياً ، وتدابير سلامة عامة . فأتاح لها جمع المعادن ، وبقايا الحديد (من آلات وسكك مدمَّرة ، وقنـــابل وطائرات أُسقطت على أرضهم) ، الحصول على الفولاذ الضروري لصنع السلاح. وزودها استثمار المواد الممزوجة بأملاح البارود ، وصنع الأحماض وكلورات البوتاس بالوسيلة اللازمة لصناعة البارود والمتفجرات .

معونة الدول الاشتراكية :

كان من الممكن أن تفشل كل هذه المبادرات ، وتصبح عديمة الجدوى ، في حرب شاملة يخوضها بلد صغير محدود الموارد ضد قوة عاتية كبيرة ، لولا المساعدات التي يتلقاها من الدول الاشتراكية . فقد تبين ان هذه المعونة اكبر بكثير من التدميرات التي أحدثتهـــا الغارات الجوية ، منذ أن ابتدأت هذه الغارات ، طبقاً لتقدير الخبراء الامريكيين . وقد أثارت هذه المساعدات نوعاً من التنافس بين بكين وموسكو .

ومن عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٨ ، زاد حجم المساعدات السوفييتية المقدمة

الى فيتنام الشمالية زيادة هائلة [1] ، وبشكل خاص ، زادت المساعدات المقدمة « كمساهمة في القتال ». فقد تضاعفت القيمة الشاملة لشحنات الأسلحة والذخائر، خلال هذه الفترة ، ثلاثين مرة : من ٤٠ مليون دولار في عام ١٩٦٤ ، الى ٥٥٠ مليون في عام ١٩٦٥ [2] ، و ٧٠٠ مليون في عام ١٩٦٦ ، و ٨٥٠ مليون في عام ١٩٦٧ ، ١١٥٠ مليون في عام ١٩٦٨ [3] .

يضاف الى هذه المساعدات العسكرية الصرفة المساعدات الاقتصادية : (مؤن ، أدوية ، عتاد للأشغال العامة .. الخ) الذي زاد من ٣٦٤ مليون دولار في عام ١٩٦٥ الى ما يقارب مليار دولار في عام ١٩٦٨ . وقد أدت هذه المساعدات الى دعم هائل لصناعة فيتنام الشمالية الفتية : مصانع أسلحة، صناعات كيمياوية ، صناعات غذائية ، مقاسم كهربائية ، إنشاءات ميكانيكية ، مصانع صلب ، مصانع اسمنت . . الخ . وقد نظم البروتوكول الصيني — السوفييتي ، الذي وقـّع في بكين في ابريل (نيسان) ١٩٦٧ مرور الأسلحة

---

(١) كانت فيتنام الشمالية تتلقى هذه المساعدات وتوزعها طبقاً للاحتياجات والمطالب ، الى ثوار الجنوب . وهي تفي بهذا الشكل بواجبها القومي الذي أعلنت عنه رسمياً باسم المبدأ التالي « فيتنام بلد واحد ».

(٢) تجسدت هذه المساعدة بصورة خاصة بعد رحلة رئيس مجلس الوزراء السوفييتي كوسيجين في فبراير (شباط) ١٩٦٥ الى جنوب شرق آسيا .

(٣) تعهد الاتحاد السوفييتي ، بموجب أحكام اتفاقية وقعت في موسكو، في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ ، بتقديم جهد مستمر طويل الأمد في المجالين الاقتصادي والعسكري . وقد ترجم هذا الجهد اعتباراً من عام ١٩٦٨ ، في بادىء الامر « بتطور التعاون الاقتصادي ، وتنميته وتقويته » ثم ترجم فيما بعد « بتزويد فيتنام الشمالية مجاناً بالعتاد العسكري والمواد الاستراتيجية المخصصة لتعزيز الطاقة الدفاعية . وتنص الاتفاقية ، في الفصل المتعلق « بالمعونة المجانية » على أنواع العتاد أو المواد التي يقدمها الاتحاد السوفييتي : طائرات وأسلحة مضادة للطائرات ومدافع وأسلحة خفيفة وذخائر وتجهيزات مختلفة ووسائل نقل ومواد بترولية وبضائع أخرى ضرورية لاستمرار نمو الطاقة الدفاعية وتطور الجمهورية » .

والعتاد السوفييتيين عبر الصين . ويستلم الفيتناميون هـذا العتاد بأنفسهم على حدود الاتحاد السوفييتي . ويؤمنون فيما بعد نقله على الارض الصينية. وبالرغم من التوتر الصيني – السوفييتي ، فقد سمح هذا الاتفـاق بحركة نقل هامة ، وخاصة بعـــد مايو (أيار) ١٩٦٧ . ولكن النقل البحري بصورة خاصة هو الذي عزز هذا المخفر الأمامي للمعسكر الاشتراكي في جنوب شرق آسيا ، في حركة ذهاب واياب تقوم بها عشرات المراكب السوفييتية . وبشكل عام ، فإن القوافل البحرية والبرية تصل الى نقاط وصولها بسلام وبنسبة كبيرة . فقد نقلت هذه القوافل منذ نهاية عام ١٩٦٥ عتاداً حديثـاً جداً : طائرات ميغ وصواريخ سام التي كانت تسقط الطائرات الامريكية .

وقد وضعت الصين بدون شك ، تحت تصرف طائرات الميغ قواعد الصيانة والمراجعة لديها . وأخذت على عاتقهـا ، إقامة كل القوام الجوي في فيتنام : من مدارج إقلاع وهبوط ، ومساحات تمركز . وأخذت على عاتقها ، بالاضافة الى ذلـك ، وبمساعدة الفيتناميين ، صيانة الطرق المؤدية الى المنطقة المجردة من السلاح ، والطرق الفرعية التي كدست على امتداداتهـــا خزانات المحروقات ، وأخيراً طريق لاووس الاستراتيجي [1] الذي كانت تمر عليه يومياً أعداد لا تحصى من سيارات النقل ، تحمل الى الجنوب الرجـال والمؤن والاسلحـة والذخائر . وهناك ٢٠٠٠٠٠ر٢٠٠ عامل [2] و ٤٠٠٠٠ر٤٠ خبير وفني

---

(١) يمر على هذا الطريق الذي تخربه القنـــابل باستمرار من ٢٠٠٠ر٢ الى ٣٠٠٠ر٣ سيارة نقل يومياً ، وهي تحمل وسطياً ٢٠٠ رجل و ٢٠٠٠ر٢ طن من العتـاد . وليس على الادارة الفيتنامية أن تتوقع اعداد الرجال وكميات العتاد الضروريين فحسب ، بل ان عليها أيضاً أن تضع جدولاً زمنياً محدداً ينظم حركة النقل الضرورية للقطعات المتمركزة في الجنوب .

(٢) وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، اقترحت بكين عـــلى هانوي ارسال ٣٠٠٠٠٠ر٣٠٠ عامل ، بالاضافة الى الـ ٢٠٠٠٠٠ر٢٠٠ الموجودين سابقاً . الا ان رئيس الوزراء فام فان دونغ رفض هذا العرض .

صيني ، متمركزون بصورة خاصة على طول النهر الاحمر ، مهمتهم القيام بإصلاح الخطين الحديديين الكبيرين هانوي ـ لانغسون ، وهانوي ـ لاو ـ كاي ليلا ونهاراً ، لأنهما يتعرضان للهجوم الجوي بصورة دائمة ، ويربطان هانوي بالصين . وبتأمين حسن سير حركة النقل عليهما ، كان الصينيون يسمحون بجريان حركة النقـل القادمة من الدول الاشتراكية الاوربية أولاً ، كما يسمحون بحرية جريان المساعدات الصينية بالاسلحة والذخائر . وقد أفادت هذه الخطوط الحديدية ايضاً في تسهيل حركة الافراد (فهناك ٥٠٫٠٠٠ ضابط فيتنامي شمالي ومن قوات الفييتكونغ دربوا في الكليات العسكرية الصينية) ، وفي نقل الآلات (المضخات خاصة) ، والاسمدة ومواد مكافحة الدودة والآفات الزراعية التي تستخدمها الزراعة الفيتنامية .

الزراعة الفيتنامية :

تشكل الزراعة **فرعاً أساسياً من فروع الاقتصاد الفيتنامي** . وتحتـل مكاناً هاماً في حياة الشعب زمن الحرب . وتخلق للحكومة الفيتنامية مشكلة رئيسية تتمثل في محاولة البحث عن زيادة الموارد الزراعية مهما كان الثمن . ويتلخص الحـل الأمثل لهذه المشكلة كما يلي : « ينبغي ان لا يبقى في الارض شبر واحـــد غير مزروع » ، وقد أوضح الرئيس هوشي مينه لكل أفراد الشعب وللفلاحين بصورة خاصة ، ان حل هذه المشكلة يكمن في تعبئة كل الطاقات . ويضرب الجيش ، حتى في حالة العمليات العسكرية المثل على تنفيذ هذا التوجيه : إذ يزرع كل الاجزاء الجاهزة من الارض للزراعة ، ويربي البط والأوز في البرك ، كما يربي الدجـــاج وكل أنواع الطيور والماعز والخنازير في المعسكرات . وفي داخل البلاد ، يحسن البحاثة باستمرار الانتاج النبـاتي والحيواني بفضل دراسات المخابر ومراكز البحث . وتقوم **نخبة من المحرضين مؤلفة من اطارات فنية ومهنية** ، بمهمتها في هذا الميدان ، معتمدة على التجربة

القديمة للفلاحين . ويؤدي هذا العمل الى تزويد البلاد بالمواد الاساسية الغذائية في ظروف صعبة جداً .

فكيف توصلت هـــذه النخبة الى ذلك ؟ لقد توصلت الى ذلك **بالاصلاح الزراعي** وبالقضاء على الاسلوب الاستعماري ، وهي وسائل مؤكدة في غزو النفوس وتملكها ، إذ سمحت بتحرير الطاقة الضخمة للجماهير الفلاحية ،وزادت متانة التعاون الزراعي ، ووسعت مزارع الدولة وعززتها ، ومنحت الازدهار للمناطق الجبلية ، وطورت ونمّت الزراعـــات الصناعية (كالقطن وقصب السكر) ، والزراعات الغذائية وتربية المواشي والدواجن ، وقامت بتحسين الفنون الزراعيـــة وذلك بتسميد الاراضي (استخدام محلول الكلس) ، ودملها بغزارة ، وتحسين إمكانات صرف المياه والسقاية بفضل أعمال ري متعددة [1] . ولقد قضت هذه الأعمال على الجفـاف ، وحولت المساحات القابلة للزراعة تدريجياً الى حقول للأرز . وأفسحت المجال أمام بناء سدود لا تستخدم لانتاج الطاقة فحسب ، بل تستخدم أيضاً في تربية الاسماك ، وزرع الاشجار ، وتوسيع زراعة الخضار [2] .

---

(١) ففي خلال عشر سنوات ، من عـام ١٩٥٧ الى ١٩٦٧ ، اشتملت الاعمـــال الهيدروليكية على ما يلي : ٩٢٧ مليون يوم – عمـل ، ١٢٠٠ مليون متر مكعب من أعمال التسوية ، ٢٫٣ مليون متر مكعب من الاحجار ، ٤٦٢٫٠٠٠ متر مكعب من الاسمنت المسلح. وبلغت المساحات المروية بهذا الشكل (في عـام ١٩٦٧) ٧٨٪ ، من أصل المساحـة الشاملة المزروعة بعد أن كانت ٥٣٫٥٪ (في عـــام ١٩٦٤) ، وزادت من ٦٠٫٥ ٪ الى ٨٢٫٣٪ بالنسبة للأرز وزادت من ٢٨٫٤ ٪ الى ٣٩٫٧ ٪ بالنسبة للزراعات الصناعية .

(٢) بلغت المساحات المخصصة لزراعة الخضار ٧٧٫٨٠٠ هكتار في عـام ١٩٦٧ بعد أن كانت ١٤٫٨٠٠ هكتاراً في عام ١٩٥٧ ، وعرفت زراعة الأناناس تطوراً واسعـــاً . وهي تتركز في مزارع كبرى .

ويزيد المردود الوسطي للهكتار من الارز غــير المقشر [١] ، من سنة الى اخرى . وتتقدم المنتوجـات الغذائية (البطاطس الحلوة والمينهوت والذرة الصفراء والفاصوليا) تقدماً هائلاً [٢] . ويرتبط استهلاك الفرد منهـا بالزيادة التي حققتهـا وهي ١٠٩ ٪ . كما ان عمليات تربية المواشي والدواجن تتقدم باضطراد مستمر [٣] . وتساهم التعاونيات الزراعية ، ومزارع الدولة بصورة

---

(١) زاد المردود المتوسط السنوي للأرز غير المقشر (يعطي كيلو الارز غــير المقشر في المتوسط ٦٥٠ر٠ كغ من الارز) في الهكتار الواحد ٧ر٢ ٪ بالنسبة لعام ١٩٦٠ و٢ر١٨٪ و ٢ر٤٥ ٪ بالنسبة لعام ١٩٥٥ و ١٩٣٩ . وذلك في عـام ١٩٦٥ وهو العام الاخـير من الخطة الخمسية الاولى ١٩٦١ - ١٩٦٥ ، والعام الأول للغارات الجوية العنيفة على فيتنام . وقد حافظ الفيتناميون على هذه الزيادة . واستمرت الحملة التي بدأت في عام ١٩٦٣ ودعت الى انتاج (٥ أطنان من الارز في الهكتار الواحد) سنوياً مــع محصول مزدوج ، وبالرغم من الحرب ، وفي عام ١٩٦٥ حققت ٦٨٠ تعاونيةزراعية و ١٦٢ كومونة و٧أقسام هذا الهدف. وفي‌عام ١٩٦٧ ، تجاوزت ٢٥٠٠ تعاونية هذا الهدف الى حد كبير ، ونجحت ٤٠٠ تعاونية زراعية اخرى في التوصل الى محصول يبلغ من ٦ الى ٨ أطنان في الهكتار الواحد .

ويسمح انتاج فيتنام الشمالية من الارز بمساعدة الجنوبيين من آن الى آخر . ولقــد تلقى الجنوبيون ٠٠٠ر٥٠ طن « كهدية » في مارس (آذار) ١٩٦٨ .

(٢)

	الانتاج (بملايين الأطنان)			المساحات المزروعة (بآلاف الهكتارات)		
	١٩٣٩	١٩٥٧	١٩٦٧	١٩٣٩	١٩٥٧	١٩٦٧
البطاطس الحلوه	١٥٦	٥٤٠ر٤	١٤٢٩ر٣	٦٨	١٠٥ر٢	٢٥٨ر٢
الـذرة	١٤٠	١٩٧	٢٧٢	١١٩	١٧٤ر٣	٢٨٧ر١
المينهوت		١٨٦ر٢	٩٦٤	٢٦ر٤	١٨ر٩	١٤٠
الفاصولياء	٨ر٩	٢١	١٦ر٤	٤١ر٨	٦٤ر٦	٤١

(٣)

	بالآلاف		
	١٩٣٩	١٩٥٧	١٩٦٧
العجول	٧٨٨	١٢٣٨	١٦٦٩
الأبقار	٥٦٣	٩٠٦	٧٩٨

←

أساسية في تموين المواطنين عن طريق مراكز تربية الدواجن الجماعية فيها . ولقد زاد استهلاك الفرد من اللحوم والدواجن والبيض بنسبة ٣٨ ٪ في خلال عشر سنوات . ونمت تربية الاسماك [1] أيضـــاً في (المستنقعات والبرك الصغيرة وحقول الارز) . وهناك آلاف الاطنان من الاسماك تحسن غذاء الشعب الآن .

يعزز هذا التموين بالمواد الغذائية ، الموجّه أساساً نحو الضرورات الملحـة للحرب، قيمة المقاتل الجسمية . ويسير جنباً الى جنب مع العوامل المادية الاخرى – المرتبطة كلهـا بالانتاج – والتي تتبدل بفضلها المعنويات وتتطور . وبهذا الشكل يؤمن الاقتصاد الشامل للشعب الفيتنامي استمرار الفاعلية العسكرية وتحقيق العدالة الاجتماعية . ويستمد هذا الاقتصاد دفعـــه واستمرار نموه من القوى الحية للبلاد ، وفنونها الحديثة ومعداتهـا الجديدة ، ومن الدعم الذي تتلقاه من الدول الاشتراكية . ويحمل جهدها الهائل في داخله شاهداً من أهم الشواهد على انتصار الشعب الفيتنامي .

←			
الخنازير	٢٢٥٥	٢٩٥٠	٥٨٩٠
الأغنام		٢ر٣	٢١
الماعز		٤٨ر٨	٩٥ر٧
الدواجن		٤٧٤٦٩	٦٨٦٨٣

(١)

	١٩٥٧	١٩٦٧
المساحات المخصصة لتربية الأسماك (هكتار)	١٦٦٩٠	١٨٧٠٠٠
انتاج الأسماك (بالأطنان)	١٨٣٠٠	١٠٥٠٠٠

الفصل السادس

الاستراتيجيّة والتكتيك العسكريين

الاداة الاستراتيجية

التسليح والعتاد :

كان هذا الجهد العجيب علامة لافتتاح مرحلة جديدة في الميدان العسكري. فقد وحّد جيشا الفييتكونغ وفيتنام الشمالية بصورة متينة وتقـدم متواز تسليحهما وعتادهما وطرق قتالهما ، التي كانت تتبادل التأثير والتفاعل في ما بينهما . وأتاحت الزيادة التدريجية للقوة النارية مثلاً رائعاً في التطور السريع للتقدم التقني فيهما . وبدلت هذه الزيادة طابع النزاع الذي أصبح مميتاً وقاتلاً للخصم أكثر مما كان .

كان الفييتكونغ يحاربون في مطلع النزاع بكل ما يجدونه من سلاح . فقد تلقوا من مستودعات جيش فيتنام الشمالية سلاحاً من صنع فرنسي أو امريكي، مصدره حرب الهند الصينية الاولى أو الحرب الكورية . ثم فيما بعد تم تجهيز الفييتكونغ بسرعة كبيرة على حساب الامريكيين : إذ أنهم استولوا على مخازن

سلاح كثيرة،وذخائر وعتاد من كل الانواع. وحصلوا اخيراً على عتاد وسلاح حديثين [١] بكميات هائلة من دول اشتراكية كثيرة. وهذه هي النماذج الرئيسية للسلاح والعتاد :

الأسلحة الرئيسية والعتاد

الأسلحة الفردية (آ) :

يشتمل التسليح الأساسي على سبعة نماذج من الأسلحة الخفيفة والآلية ، تستخدم كلها ذخائر ٧٫٦٢ مم :

البندقية موزر .G. W. E عيار K ٣٨ ، م ش . البندقية القناصة المزودة بمنظار ص أو س . البندقية الآلية A K 47 ص (ب) . البندقية الآلية

(١) وصل تعداد السلاح في جيش الفييتكونغ ، من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٨ حوالي ٣ ملايين بندقية ورشيشة حديثة من أصل صيني وروسي وتشيكي والماني شرقي. وفي هذا الجيش أيضاً عشرات الألوف من الأسلحة الثقيلة : كالرشاشات والهاونات وقاذفات الصواريخ والمدافع المضادة للدبابات ، وأكثر من ٨٠٠٠ مدفع ميدان و ١٠٫٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات مع رادارات الرمي و ٥٠ جماعة صواريخ أرض – جو سام و ٢٫٠٠٠ رادار متمركزة في الارض ضمن اطار الدفاع الجوي وعشرات الألوف من أطنان الذخائر والمتفجرات من كل الأنواع. ومن المناسب أن يضاف اليها وسائل النقل والقتال البري والجوي والبحري. و ١٢٫٠٠٠ سيارة نقل ، و ٣٠٫٠٠٠ سيارة خفيفة ، و ٢٠٠ دبابة ، و ٥٠ طائرة هيليكوبتر ، و ٦٠٠ طائرة ، و ٥٠ زورق قتال (كومار) .

(آ) المصطلحات : ص : صيني
م ش : المانيا الشرقية ، س : سوفييتي
ت : تشيكوسلوفاكي ، م / ط : مضاد للطائرات
م / د : مضاد للدبابات .

(ب) أكثر النماذج شيوعاً ، تصميم سوفييتي ، متين ويزن ٥ كغ ، ويطلق عشر طلقات في الثانية .

البندقية موسان ناكان، س أو ص مستوحاة من هذا النموذج. A U 50 (ج) .
الرشيشة 50 K ت و 43 A K و 47 A K و 50 A K ص .
البندقية الآلية كالاشنكوف س أو ص مستوحاة من النموذج نفسه .
رشيشه U. S. (د) . مسدس ت أو ص . مسدس آلي توكاريف س .

الأسلحة الجماعية :

رشاش خفيف ٧٫٦٢ مم ، برنو ، ت . رشاش خفيف ٧٫٦٢ مم ، ص .
رشاش خفيف ٧٫٩٢ مم ، ص. الرشاش الخفيف ٧٫٩٢ مم ، م ش .
الرشاش الثقيل M 634 عيار ٧٫٩٢ مم م / ط م ش .
الرشاش الثقيل ١٢٫٧ مم م / ط ص .
الرشاش الثقيل ماكسيم ٧٫٩٢ ٨مم م ش م /ط. الرشاش المتوسط غورينوف س
هاونات ٦٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٢٠ مم ص (هـ) . قاذفات اللهب LPO ص .
مدفع RPG-7 م / د س (و) .
قاذفات قنابل CCX ٤٠ و ٥٠ مم م / د ص .
قاذفات صواريخ B. 40 م / د ص (ز) . بازوكا ٩٠ مم م / د ، ص.
مدافع ٣٧ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ١٠٠ مم م / ط ص .

(ج) يوازي الامريكي

(د) ذو أخمص من البلاستيك. استولوا عليه بالقتال أو دخل الى فيتنام تهريباً (عن طريق سنغافوره أو بانكوك) أو أسلحة الفارون من جيش فيتنام الجنوبية، أو اشتري من جنود هذا الجيش (يساوي ثمن الرشيشة من هذا النوع ٩٠٠ فرنك فرنسي) .

(هـ) أسلحة تتمتع بمرونة هائلة وسهلة الحمل. يزن الهاون ٨٢ مم ٥٦ كغ ، ويكفي رجلان لنقله وحمله . وهو يرمي الى مسافة ٣ كم قنبلة تزن ٣٫٥ كغ . وتتراوح سرعة الرمي بين ٢٠ و ٢٥ قذيفة في الدقيقة .

(و) سلاح م / د رهيب ، لا تستطيع الدبابات الامريكية مقاومته وبشكل خاص .

(ز) حديث جداً ويذكر بالبانزرفوست الالماني .

مدافع ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٥٢ مم س (ح) . قاذفات - روكيت ١٠٩مم ص.
قاذفات – روكيت ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٧٥ مم س (ط) .
ألغام ، بنكالور ، كل الذخائر وقوالب المتفجرات – ص ، س (ي).
دبابات P.T. 76 و T. 34 س (ك) .
صواريخ أرض – جو سام – ٢ ، س .
طائرات عمودية خفيفة وثقيلة ، س (ل) .
طائرات ميغ ١٧ ، ١٩ ، ٢١ س (م) .

القوة النارية للمدفعية ، التنظيم الدفاعي :

تابع الفييتكونغ تدريجيـــاً توحيد عيارات عتادهم . وزودوا وحداتهم النظامية ، منذ مطلع عام ١٩٦٧ ، بتسليح موحد ، من صنع الصينيين أحياناً ،

(ح) يزن المدفع عيار١٥٢ مم٧ أطنان.

(ط) عتاد مختلف من الروكيت ، والصواريخ والهاونات تبعاً للبيانات الامريكية . وهذه المدفعية خفيفة وسهلة الاستعمال، فالمدفع ١٢٢مم قابل للفك الى٣عناصر ووزن كل عنصر منها حوالي ٢٥ كغ ، ومن الممكن حمله على ظهر رجل واحد ، ويرمي على مدى ١٤ كم مقذوفاً صاروخياً طوله ٢ م ووزنه ٤٨ كغ ، وليس هناك أية وسيلة لكشفه بالرادار ويسبب أضراراً هائلة لقواعد الامريكيين وطائراتهم ، وطائراتهم العامودية بصورة خاصة .

(ي) تشكل الألغام والمتفجرات سلاحاً فعالاً بشكل خاص . وتستخدم في الهجوموفي الدفاع ضد العتاد وضد الأشخاص . وتبقى هذه الوسائل الأداة الاولى للتخريب بشتى أشكاله .

(ك) ظهرت هذه الدبابات للمرة الاولى في ٧ و ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٨ أثناء الهجوم على لانغ في نقطة استناد خيه سانه . وكانت أجهزة الاستخبارات الامريكية تقدر آنئذ أن لدى الفيتناميين فوجين مدرعين، أي حوالي ٩٠ دبابة .

(ل) بوسع الطـــائرات العامودية الثقيلة المصنوعة في الاتحاد السوفييتي نقـــل ٢٠ جندياً وصواريخ أرض ـ جو . وهي تساعد في عمليات النقل الهامة كنقل صواريخ سام ، التي ينبغي أن تنقل دوماً من أمكنتها خشية تعليم هذه الاماكن من قبل الخصم .

(م) راجع الفصل المتعلق بالدفاع الجوي .

منقولاً عن الأسلحة السوفييتية . وقد دفعهم نفوذ الاتحـاد السوفييتي ، الذي لعبت المدفعيـة في جيوشه دوراً أساسياً ، والذكرى القريبـة لمعركة ديان بيان – فو الى تطوير مدافعهم وإكثارهـا : فقد زادوا عدد المدافع والصواريخ من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ الى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ [١] بمقدار أربعة أمثال . وأعطوا للمدفع والصاروخ مكاناً راجحاً في المعركة . وأنشأوا مدفعية قوية تغطي المنطقة التي ينبغي ضربها بدقة كبيرة . وجربوا منذ نهاية صيف عام ١٩٦٧ كل مجموعة المدافع والهاونات وقاذفات الصواريخ السوفييتية الاصل . وردت العيارات الضخمة ، ومدافـع ١٥٢ ملم بصورة خاصة ، بنجاح على رمايات المدفعية المعادية . وتجاوبت قاذفات الصواريخ من عيار ١٢٢ و ١٤٠ و ١٧٥ مم ، المتلائمة جيداً مع مهماتهـا ، مع كل الآمال المعقودة عليها . نظراً لأنها أسلحة خفيفة وفعـالة ودقيقة [٢] تصيب الهدف من مسافة ١٢ الى ١٥ كم .

وهناك آلاف المدافع الفيتنامية الشمالية المتمتعة بحركية بالغة ، والمموهة تمويهاً تاماً في مغاور محصنة ضد الغارات الجوية . وتقصف هذه المدافع ليـلاً ونهـاراً القواعد والمرافىء الامريكية على طول جبهة خط العرض ١٧ [٣] . وحول خيه سانه بصورة خاصة ، وعلى التلال المحيطة بالقاعدة الامريكية ،

---

(١) بعد أن كان عدد المدافع التي سلمها الاتحاد السوفييتي يعادل ١٥٠٠ مدفع ، ارتفع هذا العدد بين سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ وسبتمبر ١٩٦٦ حتى بلغ ٥٠٠٠ مدفع .

(٢) تمتد مساحـة التناثر على نصف قطر ١٠٠ م . الا أن المسددين الفييتكونغ يصححون رميهم بسرعة بواسطة المنظار . ويملكون بالاضافة الى هذه الوسيلة معلومـات مجفرة (كودية) ينقلها اليهم المواطنون المتعاونون معهم في داخل القاعدة الامريكية ، وبفضلها تسقط القذائف دوماً على أكبر تجمع للعتاد وفي أصغر مساحة ممكنة.

(٣)وبصورة خاصة خيهسانه،جيو لينه، دونغها ، كام لو،فو لوك، كون تيان، كامب كارول.

أنشأ مهندسو ثلاث فرق فيتنامية شمالية [١] بدأب وصبر شرقيين ، شبكة هائلة من الأنفاق ، وأبراجـــاً مسلحة وحصوناً صغيرة . وتمتد هذه الشبكة على عدة كيلومترات في العمق . وهم يتبعون على وجــه التقريب ست دوائر متحدة المركز ، توافق المواقف الدفاعيــة المتتابعة [٢] . وتختلف عيارات المدافع ، ابتداء من مدفع ٣٧ مم حتى ١٥٢ مم . وبهذا تحصل قيادة مدفعية الفرقة المركزة على درجة عالية من المرونة في الرمي وتركيز النيران .

الدفاع المضاد للطائرات :

وزاد تركيز نيران مدفعية الفييتكون من قوتهـــا بصورة هائلة . وتقوم المدفعية المضادة للطائرات بكل انواعها بخلق سدود نارية كثيفة امام المقاتلات – القاذفات الامريكية ، ويساعدهـا في ذلك الرشاشات الثقيلة ، والأسلحة الفردية أحياناً .

---

(١) كانت كل فرقة من الفرق مزودة بقوة نارية كبيرة . وتشتمل الفرقة على ثلاثة ألويــة من المشاة ، ولواء من المدفعية الخفيفة، ولواء من المدفعية الثقيلة ، ومجموعة مدفعية مضادةللدبابات ، ومجموعة مدفعية م / ط ، وكتائب متخصصة(هندسة ، اشارة ، نقل ، تموين ، صحة). ويشتمل كل لواء مشاة على ٣ أو ٤ كتائب ، وثماني بطاريات وسرايا دعم : مدفعية متوسطة وخفيفـة ، مدفعية م / ط ، قاذفات صواريخ ، اشارة ، نقل وتموين، استعلام، صحة، اخصائيين كيميائيين. وفي كل لواء من الألوية الثلاثـــة كتيبتان مزودتان بصواريخ ١٢٢ مم . وهناك كتيبة مسلحة بصواريخ ١٤٠ مم تتقارب قوتها النارية من القوة النارية للواء من ألوية المدفعيـة . وكان لواء المدفعية الثقيلة يشتمل على ٤ كتائب تضم كل كتيبة منها ثلاث بطاريات (بطاريتين ١٥٢ مم وبطارية ١٠٥ مم) وخلافـــاً لمدفعية الفرقة ، كان تعداد الاحتياط العام للمدفعية ٦ ألوية من المدفعية الثقيلـة و ٨ألوية من المدفعية الخفيفة .

(٢) كانت القطاعات ووسائل النيران (التي تؤمن القيادة التنسيق الوثيق والشامل فيما بينها، بفضل شبكة لاسلكية حديثة جداً) موزعة علىهذه المواقع بصورة اريبة ، ولم تكنمنسقة تبعاً للأرض والعدو فحسب ، بل تبعاً للمهمة التي كانت تحتفظ دوماً بطابـع هجومي .
وكان الموقع الاول يتضمن مجموعات الانقضاض التي تصل الى هذه المواقع بواسطة ممرات غير مرئية ، على مسافة مائةمتر تقريباً أو أقلمن المخافر الامامية الاميركية. وكانوا يقتربون كثيراً ←

وكان الوضع على هـذا الشكل ، على كل الارض الفيتنامية الشمالية [1] .

فقد كان الدفـــاع الجوي عن البلاد يملك في المناطق الحساسة من فيتنام في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ عشرة آلاف مدفع م/ط و ٣٢ مجموعـة مزودة بصواريخ سام مداها ٢٠ كم ، وموزعة على حوالي ٢٠٠ قاعدة . وقد بدأت هذه الصواريخ تصل الى هانوي في نهاية شتاء ١٩٦٥. ومن سبتمبر (ايلول) ١٩٦٦ الى سبتمبر ١٩٦٨ ، وبعـد ان قضت هانوي على التشويش الامريكي لشبكات الرادار ، زادت العاصمة قوتهـــا النارية الى عشرة أمثال . وقد استلمت من سبتمبر ١٩٦٥ الى سبتمبر ١٩٦٦ ، ١٥٠ طائرة ميغ ١٧ و ٨٠ مقاتلة ميغ ١٩ نهارية وليلية ، ثم استلمت على مدى العامين التاليين ١٠ قاذفات انتونوف ــ ١٢ و ٥٠ هليكوبتر ، و ١٣٠ طائرة ميغ ٢١ (سرعتهـــا تعادل ضعف سرعة الصوت ، مزودة بصواريخ جو ــ جو) . وأخيراً استلمت ١٢٠ ميغ ٢٣ حديثة جداً . وقد نقلت هذه الطائرات في قطع غير مركبة على مراكب سوفييتية ، ثم ركّبها في فيتنـــام ألفان من المهندسين السوفييت . وقد عزز مائة من الطيارين الكوريين الشماليين ملاك جيش فيتنام الشمالية الجوي. وكانت المطارات مزودة بمواقف للطائرات محمية ضد الهجمات الجوية .

وقد تعرضت هـــذه الهجمات الجوية الامريكية ، بالاضافة الى المدفعية المضادة للطائرات الى الطيران المقاتل في فيتنام الشمالية، إذ توبعت حركات

= من « الرماة البحارة» الامريكيين لدرجة يسيطرون بها على نهاية مدارج الهبوط في المطارات. ويتضمن الموقعان الآخران مجموعات الدعم. ويضم الموقع التالي القطعات المخصصة لاستثمار النصر. اما الموقعين الاخيرين فقد كانا مخصصين للقطعات الاحتياطية التي تقف على أهبة الاستعداد لمجابهة كل طارىء .

وهكذا نجد ان التكتيك الفيتنامي لا يتسم بالجمود ، حتى عندما يقتصر مؤقتاً على الدفاع . ويرى الفيتناميون أنه لا يمكن الحصول على الانتصار الا بالهجوم،

وقد تصرف الفيتناميون على هذا الشكل في ديان ـ بيان ـ فو ، في عام ١٩٥٤ ، قبل ان يشنوا انقضاضهم على المعسكر الفرنسي .

( ) اسقطت فيتنام الشمالية فوق أراضيها أكثر من ١٢٠٠ طائرة امريكية ثمنهـــا يوازي مليارين من الدولارات .

الطيران الامريكي وكشفت بدقـــة متزايدة ، وراحت تصطدم باستمرار بالمقاتلات الفيتنامية . وكانت هذه المقاتلات تعمل مع قوى الدفاع الارضي الذي كان يزداد قوة يوماً بعد يوم لتجعل الغارات الجوية المعـادية محفوفة بالمخاطر . وكان تكتيك الأسلحة المضادة وتركيزها يستهدف منع القاذفات من تحقيق مهمتها اكثر من تحطيم الطائرات المغيرة . إذ كانت هذه القاذفات الامريكية تهاجم قبل ان تبلغ هدفها ، فتضطر الى تخفيف حمولتهـا فتسقط قنابلها بعيداً عن الهدف كي تدافع عن نفسها [١] .

التمويه وعمليات الخداع :

وفي الوقت الذي يمنع الفيتناميون فيه غارات الامريكيين بهذا الشكل ، تصطدم العمليات الامريكية بعمليات تمويه وخداع تقودها (سرايا التمويه) بشكل رائع . وهـــذه السرايا مسؤولة عن إدارة زمر مهرت في استعمال وصيانة عتاد مصنوع خصيصاً للخداع . وقد برهنت كثرة من هذه السرايا على مهارة سمحت في غالب الاحيان بالتواري عن الهجمات الجوية . وطبقت هذه السرايا ، بالاضافة الى استخدام شبكات التمويه ، واستخدام الأنسجة التي تتفق ألوانها مع ألوان البيئة ، طلاءات مبرقشة ، وسلسلة من الاجراءات التي تجعل نتائج الاستطلاعات الجوية مخيبة للآمـــال . إذ كانت تنشىء مصاطب ومدافع وآليات مزيفة تشبه مواقع المدفعية المضادة للطائرات . وقد حلت مستودعات محروقات مزيفة ، ومرائب تموين مزيفة مكان المستودعات والمرائب الحقيقية في مناطق الهجوم. وكان هذا العتاد المزيف ، وحوله الطرق الطبيعية التي تؤدي اليه وتتصل به ، تخلق انطباعاً بوجود الحياة ، وتشيع وهماً كاملاً بالحقيقة .

---

(١) اضطرت القيادة الامريكية الى حماية قاذفاتها بمقاتلات مجهزة بصواريخ خاصة جو - جو وذات مدى كاف لمرافقة القاذفات ومواكبتها .

وقد أسقطت المقاتلات الفيتنامية الشمالية خمسين طائرة معادية في القتـال الجوي . ويعزى القسم الاكبر من الخسائر الامريكية الى الدفاع المضاد للطائرات ، الذي يبقى أكثر الاسلحة فتكاً بالطائرات الامريكية . وقد تمكنت الرشاشات الثقيلة ، والرشيشات التي كانت ترمى ضد الطائرات المضطرة الى التحليق والطيران على ارتفاع منخفض من اسقاط ثلث الطائرات التي تم اسقاطها .

عتاد الجسور ، والنقل على الطرق، والمعركة الادارية (اللوجيستية) :

ولكي يزرع الفيتناميون الوهم في صفوف الامريكيين ، كان آلاف من الرجال والنساء يعملون ليلاً دون كلل ولا ملل . فهم يصنعون الجسور من شجر البامبو الموجود في كل مكان ، وينتجون منه القدر الذي يحتاجون اليه من الجسور . وتفك هذه الجسور وتموه كل صباح قبل الفجر كي تتوارى عن الرصد الجوي في النهار ، ثم تعاد الى حالتها الطبيعية في الليل لتستخدمها القوافل وآليات التموين [1] . وتتمتع هذه الجسور بمتانة حسنة – إذ يمر على سطحها بآن واحد ٨ سيارات نقل حمولة كل منهـا عشرة أطنان – وقد سمحت هذه الجسور للقوافل باجتياز اكثر المناطق تعرضاً للأخطار، كطريق هوشي مينه الذي يخترق الأدغال والغابات على طول مئات الكيلومترات . وقد حصل سائقو القوافل على مهارة استثنائية في فن التلاؤم مع البيئة التي يسيرون عبرها ، إذ ان آلياتهم المتخفية والمموهة تحت أغصان الأشجار تشبه أحراجاً حقيقية متنقلة .

ولم تنقطع حركة النقل لديهم ولم تتوقف ابداً بسبب الغارات الجوية . فاذا قطع لهم طريق من الطرق استخدموا طريقاً آخر جاهزاً لاستقبال تحركاتهم . واذا أعوزتهم آليات النقل وافتقروا الى عدد منها استخدموا الدراجات والعربات المجرورة بالرواحل . وتلعب الدراجة لديهم دوراً أساسياً كما في ديان بيان فو ، وهي مزودة بجهاز خاص [2] ، وتنقل على دروب تمر

---

(١) ينبغي أن نلاحظ أن الفييتكونغ استخدموا كل أنواع الجسور العائمة أو المعابر. فكانوا ينشئون جسوراً موضوعة على عربات أو صناديق صغيرة من الصفيح ، وعلى حزم من البامبو وعلى مراكب تجمع عند غروب الشمس ، وتفك عند انبلاج الفجر ، ومعابر تحركها المجاذيف فقط ، أو تحركها المحركات، أو محركات سيارة، واطواف متحركة يمكن تحريكها بواسطة سلك، وجسور مغمورة يبقي سطحها تحت المـاء طيلة النهار كي يموه موقع الجسر ويتوارى عن الرصد الجوي .

(٢) تشكل حزم البامبو الركيزة التي تقوي هيكل الدراجة وتتحمل الحمولة التي ينبغي نقلها . وهناك قضيبان آخران من البـامبو عمدان المقود الذي يوجه باليد اليسرى ، ويدفع أنبوب المقعد باليد اليمنى بهذا الشكل.

عبر كل أنواع الاراضي حمولة ٣٠٠ كغ الى مسافة يومية وسطية تعادل ٣٠ كيلومتراً . وبهذا الشكل تقوم ١٢ دراجة بالدور الذي تقوم به سيارة نقل في يوم واحد . وهناك اكثر من مليون سائق دراجة حافظوا على الارتباط مع المقاتلين . وتستطيع مجموعة من سائقي الدراجات أخذ محل حركة النقل على الآليات . وهم يعبرون الحواجز ، ويتجنبون التدميرات ، ويسيرون في معظم الاحيان على طرق مموهة ، لا يمكن أن تستخدمها الوسائط الآلية .

وإذا فكرنا بالمشاكل المعقدة التي خلقتها المسافات الكبرى على طرق مقطوعة [١] ، كانت غير صالحة للمسير أحياناً ، عرفنا انه لم يكن بوسع الفيتناميين ان ينتصروا في معركتهم **الادارية** لولا الجهود الجبارة التي بذلوها في هذا المضمار . ولو حسبنا الكميات الهائلة من المؤن والأدوية والملابس والعتاد والسلاح والذخائر والمحروقات التي كان من الضروري انتاجها او استيرادها وتخزينها ونقلها ، لوقفنا مبهورين أمام العمل الجبار الذي حققوه بهذا الشكل. ويمكن تفسير هذه الظاهرة التي لا تصدق بالقوة النفسية لشعب بكامله ملتحم التحاماً تاماً مع جيشه .

الملاكات والقوى المعنوية :

لقد كان الفيتناميون الجنوبيون يعملون في صفوف قوات الفيتكونغ في مطلع الصراع المسلح ، وكانوا قد قاتلوا الفرنسيين في صفوف الفييت مينه من قبل . لذا فإن هذا الخزان الهائل من الجنود الذي ضمر تدريجياً عاد ليتجدد ويتوسع باستمرار ، بالرغم من الخسائر الفادحة ، وذلك بمعونة الجنود المحليين والتسللات الفيتنامية الشمالية . أما الجيش الفيتنامي الشمالي ، فقد كان يجمع

---

(١) ينبغي أن نلاحظ أيضاً ان مفارز من الهندسة كانت ترافق كل رتل مهم . وتلك هذه المفارز مجموعة من الآلات والجسور الخفيفة (المؤلفة من البامبو، والأخشاب ، والمراكب)التي تنصب خلال ثلاث ساعات لتمر عليها سيارات النقل الثقيلة. وتشتمل هذه الجسور الموقتةوالتي يمكن جمعها عناصر من الممكن وصلها مع بعضها ، ومن الممكن فكها وحملها بالأيدي، ويتطلب تخزينها وتحميلها الحد الادنى من الازدحام .

باستمرار عـدداً كبيراً من الافراد ، على مستوى عال من الكفاءة . وكانت الأفضلية فيه للقوى البرية ، دون ان يهمل القوات الجويـة او البحرية ، التي منحها ، بعد مضي وقت قصير أهمية كبيرة . وقد تقدم هذا الجيش الى الامام بتصميم رائع بفضل مجموعة من الصفات والخصائص لا سابقة لها في التاريخ.

وبهذا الشكل ، ومثل زحف الكتل الثلجية الجارفـــة ، تقوت وتعززت جيوش الفييتكونغ تبعاً لتطور مشابه لتطور جيش فيتنام الشمالية .

التعداد (الملاكات) :

كانت جبهة الفييتكونغ تجند أفرادها بصورة خاصة من دلتا نهر الميكونغ نظراً لأن تنظيمها السري منتشر في هذه المنطقة اكثر من اي مكان آخر [١] . ثم أضافت الى ملاكاتهـــا من الجنود الفيتناميين الشماليين ١٢ لواء في اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ . وتضاعف هذا العدد ثلاث مرات بعد سنتين . وفي هذه الفترة بلغ مجموع قطعات الفييتكونغ المقاتلة، في فيتنام الجنوبية ٢٢٠ كتيبة. وكانت القوات الفيتنامية الشمالية النظامية موزعة فيها بصورة عامـة على فرق بنسبة أعلى بكثير من نسبة القطعات الجنوبية [٢] .

---

(١) كان التوزيـع الجغرافي للقوات في اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ هو كما يلي(بالآلاف):

ـ المنطقة العسكرية الاولى (دانانغ وهوي)	٥٦
ـ المنطقة العسكرية الثانية (المنطقة المركزية والساحلية والنجود العالية)	٦٧
ـ المنطقة العسكريةالثالثة (حول سايغون)	٦٣
ـ الدلتـــا	٨١

(٢) كانت الفرقة تشتمل من ٠٠٠ر١٠ الى ٠٠٠ر١٢ جندي .

وخلافاً للتشكيلات الفرقية ، هناك قرعات فيتنامية شمالية تتضمن ضباطـــاً وضباط صف واخصائيين ، تدخل نظامياً الى فيتنام الجنوبية .

طبيعة القوات	الملاكات بالآلاف											
	الفيتكونغ				فيتنام الشمالية				تسللات فيتنامية شمالية الى فيتنام الجنوبية			
	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
الجيش البري												
القوات النظامية	٤٥	٨٢	١٣٢	١٦٠	١٥٠	١٨٠	٢٣٠	٢٦٠	٢٣	٣٠	٧٥	٨٠
القوات المحلية	٤٨	٦٧	٨٥	١٣٠	٩٠	١٣٠	١٨٠	٢١٠				
قوات الأمن	٢٥	٢٩	٤١	٠٥٠	٢٠	٢٥	٣٢	٠٤٥				
القوات المساعدة (ثوار ومليشيا)												
البحرية					٣	٤	٥	٧				
الطيران					٨ر	٣	٨	١٣				
المجموع	١١٨	١٧٨	٢٥٨	٣٤٠	٢٦٣ر٨	٣٤٢	٤٥٥	٥٣٥	٢٣	٣٠	٧٥	٨٠

التنظيم :

كان الشمال والجنوب يتمتعان بتنظيم موحد ، مع بعض الفروق البسيطة ، ويتضمن التنظيم في الأساس ، **الثوار وقوات الامن الاضافية** . فقد كانت هذه القوات مكلفة بالدفاع الذاتي ، وتشكل بصورة عامة فصائل تتألف كل فصيلة منها من ثلاثين مقاتلاً ، مسلحين ببنادق نصف – آلية ومسدسات رشاشة وهاونات وبازوكا . وكانت تجابه في مناطقها الأساسية بشكل خاص ، « إخماد الفتنة الزراعية » التي تقوم بها الحكومة العميلة، فتهاجم زمر التطور الثوري[1]، وتستولي على أسلحتها وعتادها . وتستعين هذه القوات بالهياج الشعبي ، وتثير حقد الشعب ضد « الامريكي المحتل وجيشه المأجور ». وتنظم اغارات الكر والفر ضد المخازن المعادية. وتغلق الطرق ، وتضع الألغام ، وتباغت القوافل. وبهذا الشكل تنفجر مستودعات الذخائر ، ويسقط جنود الأعداء في الكمائن ، وتنقطع المواصلات ويسود عدم الامن في كل مكان .

وتنسق **القوات المحلية والقوات النظامية** مهماتها أحياناً مع مهمات القوات المساعدة . وهذه القوات وحدات متحركة قوية ، مزودة بأسلحة دعم ذات قوة نارية كبرى . وتتميز في قتال العصابات، وفي أشكال المعارك التقليدية أيضاً . وتضرب العدو على كل الجبهات في محيط قواعده وفي قلب هذه القواعد . ويشمل هجومها الميدانين العسكري والسياسي . وتلعب دوراً رئيسياً من الناحية التكتيكية والاستراتيجية .

المساهمة النسوية :

وتضم كل هذه القوات المساعدة المحلية والنظامية داخل صفوفها عدداً من

---

(١) « التطور الثوري » تسمية رسمية لمفارز تهدئة وإخماد ثورة الفلاحين في فيتنام التي استخدمتها قوات فيتنام الجنوبية العميلة بالتعاون مع الجيش الامريكي .

النساء يعادل ١٠٪ من التعداد العام . وترتدي المرأة لباس الجنود ، وتخوض قتالاً مليئاً بالمصاعب والمخاطر بشجاعة وبساطة . وتساهم في جلب المعلومات ، وتأمين الاتصالات . وتعمل كطبيبة ومساعدة طبيبـــة وممرضة وطباخة . وتستخدم السلاح على مختلف أنواعه ، بمهارة لا يمكن إنكارها ، وتستعمل البندقية والرمانات اليدويـــة . وتنظم مطاردة الجواسيس الذين تسقطهم طائرات الهليكوبتر ، أو ينزلهم الامريكيون بالمظلات . وتأسر الطيارين الذين تحطمت طائراتهم في الجبال . وتحتل مكاناً مشرفـاً في وحدات الصدام ، وفي قتال القناصة ، الذي تبرهن فيه عن فداء رائع .

الخسائر :

يضحي كل جندي من جنود الفييتكونغ بنفسه في سبيل وطنه . فالحرب تزرع الموت في كل مكان . ومن عـــام ١٩٦٢ الى ١٩٦٨ ، خسر الفييتكونغ ٤٠٠ر٠٠٠ مقاتل . وانطلقت وحدات كاملة ، في داك تو في نوفمبر (تشرين ثاني) وديسمبر (كانون أول) ١٩٦٧ ، وفي خيه سانه في مايو (ايار) ١٩٦٧ وفبراير (شباط) ١٩٦٨ للانقضاض على الحصون المليئة بالرشاشات والمدافع . وبلغت خسائرها أحياناً ما يعادل ٧٠ ٪ من تعدادها . وأثناء الهجوم العام في فبراير (شباط) ١٩٦٨ خسر الفييتكونغ ٣٩ر٨٠٠ قتيلاً ، وما يعادل ثلاثة أمثال هذا العدد من الجرحى . ويسقط في هـذه الحرب أعداد كبيرة من المدنيين . وتبلغ خسارة المدنيين أكثر من ٨٠٠ر٠٠٠ قتيـــل ، بينهم ٥٥ ٪ من النساء و ٢٨ ٪ من القاصرين . ولقد قضت هذه الحرب على ٢٠٠ر٠٠٠ طفل ، وحرقت أو شوهت تشويهاً خطيراً ٧٢٠ر٠٠٠ فيتنامي . وقد تقلق هذه الخسائر كثيراً من الناس ، ولكنها لم تفسد شجاعة المقـاتل الفيتنامي وتصميمه الذي لا يؤثر فيه الخوف من الموت . ومما لا شك فيه ان هذا المقاتل يحس بالحاجة الى الراحة الفكرية ، والى الترويح عن النفس لكي يخفف آلامه ، كما يحس بالحاجـة الى التعلق بمثل أعلى يمثل بالنسبة لحياته ما تمثله الارض للجذور .

التسلية واللهو :

يجد مقاتل الفييتكونغ في الفن الراحة التي تحـافظ على سلامة واستمرار وداعته الطبيعية . فعندما يحتل مخفراً من مخافر العدو ، لا ينسى ان يأخذ من غنيمة هـــذا المخفر قيثارة أو آلة موسيقية (اكورديون) ليرسلها هدية الى الفنانين الفييتكونغ . ويصنع هذا المقاتل بحطـام طائرات الهليكوبتر وقطع المظلات بعض الآلات الموسيقية والزخرفة المسرحية للمجموعات الفنية .

ويتنقل الفنانون الفييتكونغ بجماعات مؤلفـــة من خمسة أو سبعة أشخاص خلف القطعات في مسيرها ، مع آلاتهم الموسيقية وأسلحتهم وحاجاتهم الشخصية ، ويتبعون الثوار الى مواقع قتالهم . وبين عرضين فنيين ، يعيش الفنانون حياة الجنود ، ويحفرون الملاجىء ، ويهتمون بالجرحى . ان الموسيقى التي يعزفونهـا تخدر القلق ، وتخلق لغة جديدة « وحديثاً يمثل أعمق ما في النفس » يحس المقاتل بقوته وحلاوته في الوقت ذاته . وتشكل مجموعات الموسيقيين والفنانين « قطعات صدام فنية » حقيقية ، عندما تسمح الظروف بذلك . انها تشكل – مسرح الجيش – المؤلف من ٥٠ الى ٧٠ فناناً يتنقلون ومعهم برنامج منوعات ، وديكورات مسرحهم محمولة على ظهورهم ، كي يقوموا بأدوارهم ، في المساء داخل ملاجىء الجنود . ويحس المرء بكثير من الابداع داخل الجهـد الذي يبذلونه ، وفي إشاراتهم الحماسية المتسمة بالتصميم ، وفي أدوارهم الناجحة في غالب الاحيان ، والتي يختلط فيها الأدب الهزلي وأدب المداعبة والمزاح بالتمثيل المؤثر الداعي لمقاومة الاحتلال ، وتقديس الحرية والموت في سبيلها .

ويعيش الكتاب والمؤلفون الدراميون والرسامون والسينمائيون والمطربون والممثلون ، حياة الكفاح والنضال ، ويحاولون جهدهم الالتصاق بحقائق القتال التصاقاً أقرب ما يكون الى الواقع . ويؤلف الجميع الأغاني والرقصات التي تتضمن توجيهات سياسية ، وتؤجج الحقد والحماسة . ان النفحة نفسها توجههم

وتحركهم . فهم يتغذون من المنبع ذاته وهو الشعب . ويطيعون مثـلا أعلى واحداً يوقظ في قلوبهم كل المشاعر الحربية .

العمل العقائدي والمفوضون السياسيون :

يفسر الجنرال جياب ، الذي يمارس أثقـل المسؤوليات على رأس الجيش ، هذه المشاعر الحربية باستشهادات تاريخيـة و « بالسيل الايديولوجي » الذي يستخدمه في أحاديثه . وهو يقول محدثاً الفرنسي : « تذكروا ڤالمي، والجنود المجهزين بصورة سيئة في مواجهة الجيش البروسي ، وكيف انتصر هؤلاء الجنود رغم كل شيء . فلكي نتفاهم معاً ، تذكروا هذه الساعات المأثورة لشعبكم ... فالشعب الذي يحارب من أجـل حريته يحقق بطولات اسطورية ... وبوسعه الانتصار على أي معتد أثيم »[1] . « ان تصميم جنودنا على القتال حتى النهاية ، ينبع من طبيعة جيشنا الثورية ، ومن العمل الرائع والمنتج في مجـال الإعداد والتربية الذي قـام به حزبنا على اكمل وجه . ولكي نحافظ على المعنويات ، ينبغي أن نقوم بعمل ايديولوجي وسياسي دائم »[2] . « ان مصدر كل نجاح في القتال هو هذا المبدأ الأساسي : التمسك بخط الحزب لأن قوة الاجماع السياسي قوة لا تقهر »[3] .

بهذا الشكل تبقى السياسة مسيطرة أثناء الحرب الثورية . ويبقى نفوذها ثابتاً من جراء طبيعة النزاع ذاتهـا ، وتفجر القوى التي يحركها . ويصبح الفن العسكري ، في أقصى نقطة من نقاط تطوره ، عملا سياسيا « وسلاحاً للسياسة »

---

(١) « ساعتان مع الجنرال فونغوين جيـاب » جاك دوكورنوا جريدة le monde ٨ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٦ .

(٢) فونغوين جياب : « حرب الشعب ، جيش الشعب » .

(٣) تصريحات الجنرال فان تيان دونغ، رئيس أركان الجيش في فيتنام الشمالية le monde ١٢ فبراير (شباط) ١٩٦٧ .

حسب رأي كلاوزفيتز . وقد أوضح جيش الفييتكونغ الذي بني أساساً على قاعدة سياسية ، هذه المبادىء الكبرى وأبرزهـا بشكل جلي . ويقوم فيها « حزب العمال » بالدور الأول. إذ يوجه الجيش الذي يمثل فيه الاتجاه الوحدوي. وتأخذ الحكومة على عاتقها دوماً تنفيذقرارات اللجنة المركزية للحزب. وتعين هــذه اللجنة **الوفد المركزي للحزب** على مستوى القيادة العليا التي تشكل نواة متينة من الشيوعيين المتمرسين . ويختار **الوفد المركزي للحزب** بدوره مندوبي الحزب على مستوى الفرقة [1] واللواء . ويشكل أعضاء الحزب ، في السرية الخلية الأساسية . ونظراً لأنهم مسيّسون ومتعصبون ، فانهم يحولون قناعتهم الماركسية الى عمل عسكري . ويسجلون على سجل وقـائع الأحداث أخطاءهم ، ونقاط الضعف فيهم ، تحدوهم وتوجههم إرادة واضحة المعالم ، تبعاً للتحليل السياسي للوضع الراهن . ويقوم الضابط الذي لا يحمل رتبته أمامهم بنقد ذاتي ، بكل مـــا يعني هذا النقد من صرامة وقسوة ، بحضور المفوض السياسي الذي انتخبته السرية . ويمارس هذا المفوض ، الذي يوضع تحت إدارة المندوب السياسي للواء ، تأثيراً هـائلاً على الاعداد المعنوي والسياسي للضباط والمقاتلين . ويتتبع الحالة الفكرية لجميع الأفراد ، ويصلح نقـــاط الضعف ، ويقرر كل إجراء يمكن أن يرفع المعنويات . وفي القتال يظهر في غالب الأحيان استهتاراً مطلقاً بالحيـاة وتثير تدخلاته الحماسة و « إرادة القتال الشرسة التي تتأجج وتتضاعف بالتقائهـا مع إرادات اخرى . وتحرض أيضاً روح الإبداع لدى الضباط والجنود ، وتتيح العفوية والمبادرات في أعمالهم » [2] وهذا مـا يؤدي الى تطوير أسلوبهم في الدفـــاع الذاتي ، ويوسع باستمرار امكانياتهم

---

(١) يتضمن وفد الحزب فيالفرقة، والذي يرأسه« المندوب السياسي في الفرقة » قائد الفرقة ومعاونه ، ورئيس أركانه .

(٢) ويليام غروسان .

التكتيكية والاستراتيجية. ويؤثر بصورة وثيقة على قيمتهم وفاعليتهم القتالية، التي تشكل مفتاح البناء المعنوي .

القيادة العليا ، الاطارات والقطعة :

يملك القادة ، في المستويات العليا للقيادة ، كل الصفات التي تصنع عزة جيش ثوري وعنفوانه ، هـذه الصفات هي : الاخلاص والايمان السياسيين ، والمعرفة والذكاء التركيبيين ، والطاقة والشجاعة التي تجابه كل اختبـار ، وروح القرار والحس بالمسؤوليات النامية الى أعلى درجة من الدرجات . وهؤلاء القـــادة مقاتلون ضرستهم حرب الهند الصينية الاولى ، واجتازوا بقوة سواعدهم كل مراحل التسلسل العسكري . وتلقوا في بعض الاحيان تدريباً عسكرياً عالياً في الاكاديميات العسكرية السوفييتية الصينية ، لا يتضمن دراسة الفن العسكري فحسب (الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك) ، بل يتضمن ايضاً بعض المسائل العليا من العسكرية (سياسية واقتصادية ومعنوية) ، وعالجوهـا أثناء دراستهم من وجهـــة نظر ماركسية . ويسمح لهم علمهم ومهارتهم ومرونتهم والمواهب الاستثنائية التي يتحلون بها بالقيام بواجبهم على أتم وجـه ، وحل المسائل العسكرية البـالغة التعقيد . وكانت انتصاراتهم الجزاء العادل لكفاءة القائد الذي يشجع جهد التخيل والتلاؤم المطلوب من المرؤوسين .

ويشكل الضباط في القطعة قاعدة متينة من الاطارات المدربة تدريباً رائعاً. فقد تميزوا وبرزوا وسط نيران المعارك ، وخلقوا بالقوة أفضل مشاة في العالم . ويساعدهم من الناحية البدنية أصلهم الفلاحي في غالب الأحيان، وطريقة حياتهم. ويتلقى هؤلاء الضباط في مدارس الأسلحة في فيتنـــام ، وفي مدارس الدول الشقيقة تعليماً كاملاً ، سياسياً وعسكرياً . ويعطيهم هذا التعليم وعياً كاملاً بدورهم في الدولة الشيوعية . ويمتد هذا الوعي الى فهم الماضي البطولي للشعب الفيتنامي والى فهم العناصر الأساسية في الماركسية ــ اللينينية . ولا يهملون

ابداً المظهر السياسي للمنهاج الذي ينبغي تطبيقه في الوحدات . ويخضع ضباط المستقبل الى تدريب قاس يكيّفهم مع ضرورات القتال الثوري ومطالبه : عمل العصابات ، التمويه ، التنقل عبر اراض صعبة ، الارتجال والابداع في اكثر الشروط تنوعاً واختلافاً ، وفي الليل بصورة خاصة . ويهيئهم هذا التعليم للعمل في اختصاصهم مع أخذ التقنية المتقدمة والنامية باستمرار بعين الاعتبار ، وازدياد تعقيد العتاد وتنوعه . ويوسع هـذا التعليم معلوماتهم التكتيكية في كل صنوف الأسلحة والتعاون والتنسيق فيما بينهـا ، فيجعلهم قادرين بسرعة كبيرة على قيادة جمهرات من كل صنوف الاسلحة ، مشاة ومدفعية بصورة خاصة ، وذلك بعد اتباعهم دورات عملية في مراكز التدريب [1] ، وتتم هذه الدورات بشكل خاص عند الترفيع الى رتبة أعلى .

وبهذا الشكل يملك ضابط الفييتكونغ كل صفات الرجل الفني . ولكنه قادر في الوقت نفسه على قيادة الرجال . والرجل بالنسبة اليه غاية في حدذاته . فهو يحترم كبرياءه وعزته ، ويعامله حقيقة كرجل ، ويقاسمه حياته ، ويكون حاضراً مثله في كل مكان ، وينام على حصيرة من الحصر أو على الارض ، ويأكل معه من طبق الارز ذاته ، ويردد معه الأغاني الثورية ذاتها . وينقل اليه إيمانه

---

(١) ان مراكز التدريب الرئيسية هي التالية :

- مركز تدريب الجيوش المشتركة في كسوان ـ مي (ها ـ دونغ) .
- المركز السياسي لهوا ـ بينه .
- المركز التقني في سون ـ تاي للمدفعية (التقليدية والصاروخية) والهندسة .
- المركز التقني في تون (سون ـ تاي) للاليكترونات ، والاتصالات البعيدة .
- المركز التقني في باك ـ نينه للمدفعية م / ط .
- معسكر كاو ـ بانغ للمدرعات .
- مركز الصحة العسكرية في تاي ـ نغيين للادارة .. الخ .

ويجري اعداد الطيارين المقاتلين في الاتحاد السوفييتي . راجع القسم المخصص للتعليم العالي في فصل : الاستراتيجية السياسية والاجتماعية والنفسية .

واندفاعه ، كما ينقل اليه هذا التجرد المتشبع بأقصى درجات الانضباط الدقيق . ولا يفكر اي انسان منهم في مخالفة هذا الانضباط . فقد قبله الجميع كشكل من أشكال القبول الجماعي ، وأدى هذا الانضباط الى الآلية البشرية، والى درجة سامية من العمل التلقائي الذي يرتفع فيه الجسم عن رقابة الفكر وإشرافه . ويوحد هذا الانضباط الرجال مع ضباطهم ليجعلهم كتلة واحدة بواسطة حقيقة عليا . وفي اللحظة الحاسمة يقودهم هذا الضابط داخل أتون المعركة بحزم ووضوح ، وبروح مركزة مضطرمة ، وبرغبة قوية للسيطرة على العدو .

ويتمتع جندي الفييتكونغ بكل صفات سلفه جندي الفييت مينه . فقد تلقى مثله ، في بادىء الامر ، تدريب رجل العصابات [١] . انه ديناميكي ، غير متوتر ، ومليء بالشجاعة ، ويعي أسباب كفاحه ، ويمسك بأقوى الرافعات المعنوية وأشدها بأساً : وتنبع كل هذه الصفات من ايمانه الثوري الذي يتضمن التجرد ونكران الذات قبل كل شيء . ويبقى مخلصاً وأميناً « لقسم الشرف» الذي يعالج عدة نقاط بما فيه علاقاته مع المدنيين [٢] .

ويوحي مظهر جندي الفييتكونغ بأنه ضعيف الجسم واهي القوى ، إلا انه يتمتع مع ذلك بحيوية بدنية كبرى . فهو قادر على المسير اثني عشرة ساعة بحمولة ٥٠ كغ نظراً للتدريب القاسي الذي مارسه عبر الادغال وحقول الارز.

---

(١) هناك مراكز تدريب متعددة مخصصة لتدريب العصابات في الشمال والجنوب . وأهم هذه المراكز هي مراكز مينه ـ خاي وبن ـ كوانغ (فينه ـ لينه) .

(٢) لا يدخل جندي الفييتكونغ البيوت دون أن يدعى الى دخولها. وينظف الأماكن التي أقام فيها ، ولا يقبل الطعام من السكان اذا كان الطعام الذي سيقدم اليه سيفرض الحرمان على المواطنين. ويحفر مرحاضه الميداني بعيداً عن اماكن السكن كي لا يسبب أي ازعاج للمواطنين.. الخ

وهو يتنقل على قدميه ، حاملاً على ظهره كل ما يحتاج اليه[1] ، ويرتدي بنطالاً قصيراً،وسترة من الكاكي ، وينتعل خفـّين من المطاط او البلاستيك، وسلاحه معلق على كتفه، وكنانة الذخيرة حول صدره ، وكيس الارز على كتفه. ان تقشفه الذي يضرب به المثل يسمح له بالحياة عدة اسابيع بقليل من الارز والسمك المجفف .

وتجعل هذه الصفات الاستثنائية من جندي الفييتكونغ النصير المثالي . فهو دقيق ، ومحافظ جداً ، يقدر الوضع بسرعة ولا ينخدع ابداً . ان جرأته وحبه للمخاطرة ، وإحساسه الموروث بالقتال ، وسرعة تنفيذه وإرادته التي لا تنهار ابداً ، تدهش اكثر خصومه تجربة وممارسة . ويملك جندي الفييتكونغ فن التمويه بصورة جيدة . فالاغصان ذات الأوراق الكثيفة تحجب جسمه وقبعته المصنوعة من القش. ويغدو غير مرئي ، لأنه يذوب في المنظر الطبيعي العام ذوباناً تاماً ، ويسعى جهده للوصول الى الكمال في هذا المجال . ويوجه انتباهاً خاصاً الى قتل العناصر المختارة من خصومه : كالضباط ، والطيارين ، وسائقي الآلات الميكانيكية ، والمدفعيين والفنيين . . الخ ولا يترك شيئاً يتوارى عن نظره في هذه الطبيعة المعادية التي يعرفها جيداً ، ويملك فيها نقاط العلام الدالة له . فهو لا يضل فيها ولا يتيه .

ويقارن الرئيس هوشي مينه جندي الفييتكونغ بنمر ما زال ضالاً في غابات

---

(١) تشتمل تجهيزاته الفردية : بندقية وأرجوحة للنوم وبزتين من الكاكي وثلاثة مجموعات من الألبسة الداخلية السوداء وبزة عمل ذات أكمام طويلة ومشمع مطرى من النايلون ومطرة مع غلافها وحزام واحد وثلاثة أزواج من الجوارب وعمرة من الكاكي وزوج من الأحذية المطاطية، وكيس يمكن أن يحتوي على ٧ كغ من الارز، وبيجاما سوداء ، وساطور،وأدوية للاسعاف الأولي.

ولا يصل وزن احتياجاته الادارية الى اكثر من ٢ كغ يومياً أي : مؤن ١ كغ ، تجهيزات ٣٢٠ غرام ، ذخائر ٦٥٠ غرام . هذه الأرقام صغيرة جداً اذا ما قورنت بالأرقام التي تعبر عن احتياجات الجندي الامريكي : ١٨٫٧ كيلوغرام يومياً موزعة كالآتي : مؤن ٤٫٨ كغ ، تجهيزات ٢٫٥ ، محروقات وزيوت ٢٫٣ ، ذخائر ٩٫١ .

وادغال فيتنام . فكيف لا يميل المرء الى الاستعانة بمثل هذه الصورة الشعبية هناك ، والاشارة الى التشابه في السلوك ووسائل قتال الاثنين ؟ فالنمر المختبىء في عرينه « يغلق العرين على نفسه بفن وبصمت رائع » . انه صمت الخطوة التي يقوم بها ، حينما ينطلق للبحث عن فريسته ، بقدم كأنها محشوة باللباد ،واحدى عينيه نصف مغلقة . وهو يلتزم بصمت مطبق عندما يتربص بالظلام ، خلف ثنية من ثنايا الارض ، يراقب فريسته اثناء مرورها . انه يزحف نحوها ، وينقض عليها بلا رحمة ، ويمزقها قبل ان تتمكن من التفكير بالفرار. ويحافظ على الصمت والسكون ايضاً عندما يجرح او يقع في فخ او مكيدة ، ويجتهد بكل قواه لاستعادة حريته ليزرع الرعب والخوف من جديد . ان اي حيوان لا يمكن ان يتوارى عن نظره ، او يقاومه . ويتوصل احياناً الى القضاء على الفيل . فقد قال الرئيس هوشي مينه « اذا توقف النمر ، فان الفيل (الجندي الامريكي) سيطعنه طعنات نافذة بدقاعاته القوية » . ويضيف الرئيس هوشي مينه قائلاً : « إلا ان النمر لا يتوقف ابداً .. انه يندفع نحو الفيل ويحيل ظهره مزقاً ، ثم يختفي من جديد في الادغال المعتمة . وببطء يموت الفيل من الانهاك والنزيف » [1] . ان هذه الصورة الرمزية تمثل الحركة الدائبة ، التي يبدو ان جندي الفييتكونغ قد تدرب عليها تدريباً طويلاً .

---

(١) تؤثر هذه الصورة على الخيال الشعبي . ففي العصور القديمة ، وخاصة في ايام حروب الاسكندر المقدوني ، استخدم الفرس الفيل كدبابة حربية . وكانوا يدربونه للقضاء على جنود الأعداء وتمزيق صفوفهم . بيد ان لكل سلاح تدبير مضاد يستطيع ايقافه . ولقد قال فولتير في هذا الصدد « ليس هناك مقاتل مهما كان مسلحاً وقوياً الا ويملك نقطة ضعف في درعه » . ولقد وجد جنود الاسكندر الوسيلة الفعالة لمقاومة الفيلة والانتصار عليها . واكتشفوا أن النار ترهبها ، وأن المناجل الطويلة الحادة تقطع خراطيمها ، كما ان بوسع المقاتلين طعنها بالحراب تحت ذيولها في أمكنة يكون الجلد فيها أقل صلابة من أي مكان آخر . واعتاد هؤلاء الجنود مع الزمن رؤية الفيلة ومجابهتها حتى صاروا يجرأون على الوقوف تحتها وضرب بطونها بالسيوف القصيرة أو قطع سيقانها بالفؤوس .

اقامة القوات المحلية والنظامية :

ينتسب جندي الفييتكونغ الى قوات المنـاطق والى القوات النظامية . وينبغي ان تكون هذه القوات قادرة « على المسير مسافة طويلة وتتحمل أعباء ثقيلة ، والوصول كاملة الى النقاط المحددة لها ، مع القدرة الكاملة على الاشتباك في القتال بسرعة ، والقتال دون انقطاع مهما كانت طبيعة الارض والوقت » وذلك تبعاً لتوجيهات القيادة العليا . وتعيش هذه القوات في مخابئهـا المموهة في حقول الارز ، منتشرة في الجبال ، ووسط الغابات التي لا يمكن اختراقها باشجارها الباسقة والكثيفة التي لا نهاية لهـا ، وأقواس الخضرة التي تشكلها والتي تستخدمها هذه القوات كمسكن وملجأ . وتنصب هذه القوات المكائد والمصائد في كل مكان . أوتاد حديدية مسمومة ، قنابل مفخخة ، ألغـام مضادة للدبابات ، حفر مغطـاة بالأعشاب والأغصان كانت تستخدم في الماضي لصيد الظباء . وعندما يسقط عدد من الجنود في هذه الحفر يجدوا أنفسهم وقد استقروا فوق خوازيق مسمومة غاصت في أجسامهم ، شبـاك من البامبو ذو شفرات حـادة يعلق في الاشجار وتنغرس رؤوسه الحادة والقاطعة في أجسام أفراد الدوريات الامريكية التي غامرت في تقدمها اكثر ممـا يجب . ولتكميل هذه الدفاعات الثانوية المنتشرة ، يتوزع الرماة القناصة في كل مكان، ويختبئون داخل الاشجار وبين الاغصان ليكتشفوا بلمحة عين الهدف الذي لا بد من أن تصيبه كل رصاصة من رصاصات بنادقهم .

ان ترتيب الأمن هذا ، الذي يستخدمه الفيتناميون ، والذي تتنافس فيه المهارة والمكيدة هو الدرع الذي يحتمي وراءه الضعيف من ضربات القوي . ويضاعف من أهميته تنظيم استمر سنوات من العمل المرهق والقاسي . وهناك خنادق للاتصال تحت الارض مؤلفة من براميل محروقات فارغة وضعت طرفاً الى طرف ، تشكل من خمسة الى ستة طوابق وبين ١٥ الى ٢٠ متراً في العمق شبكة معقدة من الأنفاق تمتد على عدة كيلومترات . فعندما يقوم الامريكيون

بهجوم كثيف ومباغت تسمح هذه الشبكة الممتدة في الاعماق للمدافعين بالظهور الى ساحة المعركة في المكان الذي لا يتوقعه المهاجمون . وتتصل هذه الخنادق، طبقاً لمسالك مؤشرة بأسهم ودلالات ، بملاجيء محصنة ، ومستودعات سلاح وذخائر ومؤن ، ومطابخ ، وورش ، ومستوصفات ، وملاجيء يتم فيها التدريب والراحة ايضاً . وتتيح هذه الخلية المحمية بصورة رائعة [١] والمموهة مع جهاز للانذار الفوري ، وممرات اتصال وتموين مؤمنة الى أقصى الحدود ، كل ميزات شؤون ادارية موزعة وضرورية لتكتيك واستراتيجية ثوريين.

التصميات والمنجزات التكتيكية

المبادىء الأساسية :

يُغني جياب بصورة مستمرة تكتيك الحرب الثورية واستراتيجيتها . ولا تتبدل أهدافه ابداً وهي : القضاء على إرادة القتال لدى الخصم ، وتدمير قواه الحية قدر المستطاع . ولكي يحققها ، يحترم جياب بعض المبادىء العامة والثابتة التي يطبقها دون انقطاع مع كثير من المهارة والمرونة .

وقد كتب الجنرال جياب ما يلي : « ينبغي على القائد العام ان يملك **المبادأة** على خصمه دائماً ، في مجال العمليات العسكرية ، في حرب العصابات كما في المعارك الكبرى .. وتعني المبادأة التفتيش دوماً عن التماس مع العدو دون ان ننتظر وصوله الى مواقعنا . فإذا أراد أن يسرع في عملياته ، أجبرناه على التمهل فيها . وإذا أراد ان يخلد الى الراحة والهدوء ، اضطررناه الى القتال ، والى الخروج من خنادقه ، وأجبرناه على تشتيت قواته وإطالة ترتيبه ، والمحافظة على قواته المتحركة بنسبة ضئيلة إذا ما قورنت بتعداد قواته العام .. ويكون

---

(١) تقاوم هذه الخلية بصورة عامة القنبلة الثقيلة التي قد تسقط مباشرة عليها. ولا تستطيع قاذفات القنابل ب ٥٢ ان تدمر منها الا بعض الأقسام .

النجاح من نصيب القائد الذي يسيطر سيطرة كاملة على ساحة المعركة ، ويقاتل في الزمـان والمكان الذي يريده، وبأقصى **سرية** ممكنة ، وينتصر على خصمه **بالسرعة** والمفاجأة »[١] .

« وينبغي أن نسعى جهدنا للعمل المفاجيء ، المجدي الى أقصى الحدود وعلى كل المستويات . ولكن ينبغي ، في باديء الأمر ان نتوقع ونتنبأ بهذا العمـل وننظمه . ويستند العمل عندئذ الى التقدير الصحيح لقـــوانا الخاصة ، وقوى العدو ، والتطورات التي تطرأ على كلا القوتين بالتبادل . ان **معرفة قوتنـا الذاتية** ، **ومعرفة العدو** ، وجمع المعلومات عنه ، وإحباط كل توقعاته، وتوقع نواياه ، واكتشاف قوانينه وإمكاناته ، ووضعه تحت منظار مكبر دقيق من كل النواحي ، ومنعه من الاستعلام عن قواتنا بغية انقاص مردود قطاعاته وفاعلية عملياته . تلك هي الحقيقة التي ينبغي ان تطبق على كل المستويات »[٢] .

ويتطلب هذا العمل كثيراً من الارادة . « فالارادة هي قوة تتغلب على كل المصاعب عندما تكون موجهة **بذكاء**. ويتضمن الذكاء ضرب العدو في الشروط التي نريدها نحن ، وفي تجنب نقاطه القوية كي لا نهاجم سوى نقاطه الضعيفة ، وتحقيق **حشد** للوسائل لا يمكن مقاومته ، وفي النقطة الحاسمة .. فلا وجود لخصم ، مهما كان قوياً ، لا يتمتع بنقاط ضعيفة في ترتيبه ... وستكون قطعاتنا متفوقة على قطعاته فيما لو تحشدت في المكان الملائم ، وبدقة متناهية »[٣] .

وتسير طريقة السيطرة على خصوم أقوياء جنباً الى جنب ، وبصورة كاملة مع **تعشق الهجوم والمناورة**. ومـا لا ريب فيه ان الدفاع المستند الى قوة

---

(١) جياب « حرب الشعب ، جيش الشعب » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

النيران ، والى شن هجمات معاكسة مباغتة وكثيفة ، يفرض ذاتـــه في بعض اللحظات ، بسبب عدم تكافؤ القوات ، وشروط الارض وتكون مهمته عندئذ ربح الوقت واحتواء العدو في منطقة من المناطق ، في حين يُهيأ الهجوم أو يُنفذ في منطقة اخرى . و لكن ينبغي ان لا ننقطع عن النشاط المستمر ، وذلـك بغية منع العدو من فرض مبادأته . فليس في وسع أي طرف من الاطراف ان يهزم الطرف الآخر اذا اكتفى بمجابهة ضرباته او تحاشيهـــا . إذن فينبغي على الطرف الذي يريد القضاء على الطرف الآخر ان يضربه حتى يتوصل الى قهره والانتصار عليه .

وعندما يتوقف الهجوم عنـــد الفيتناميين يلجأون الى **اندفاعات عنيفة** ومتتابعة ، على محاور محددة بدقة . وتتقدم قطعات الصدام من مركزهاوتقضي على الحواجز القائمة على جناحيها مسبوقة أحياناً بتمهيد هائل للمدفعية . وتتم **مناورة الكماشة** الفيتنامية دائماً بسرعة صاعقة ، فتجزىء المقـاومة المعادية ، وتحاصرها بسرعة وتتجاوزها . وتنفذ هذه المناورة **ليلا** او مع ظهور **الفجر**. ويستخدم الليـــل والفجر لحشد القطعات وإعادة **تجميعها** ، وتنفيذ التملص ، والقيام بالأعمال التأخيرية .

وفي كل الحالات ، يحضر القـائد على المستوى الذي يقوده من القطعات ، **خطة مناورته** ، التي ينفذها بدقة تامة . ويحدد هدف العملية بوضوح . ويقدر وسائل العدو ومقاوماته . ويستند الى معرفة تامة بجنوده والظروف المحيطة به وطبيعة الارض . ويتوقع النجـــاح ليستغله ويستثمره ، ويتوقع العثرات والصعوبات ليجابهها . ويستبق بالتالي كل مناورات العدو ، ويهيء كل الوسائل لاحباطها . ولا يتسرع القائد في أي شيء ، وهو يسابق العدو للحصول على النصر ويفكر دائماً وبعمق في ابعاد قراراته وفي ظروف اتخاذها .

ان الحركات ذات الامتداد الاستراتيجي ، **والهجمات التي تجري كجريان**

مياه الشلالات العنيفة ، لا تترك للعدو ابـداً الوقت الكافي ليلتقط أنفاسه . وعندما يفقد هجوم مـــا سرعته ويجذب قوات العدو الاحتياطية الى نقطة محددة ، يشن جياب هجوماً جديداً أقوى من الهجمات السابقة في قطاع آخر. ويتخذ كل التدابير لكي تملك فرقه الوقت للتـململ بمفارز صغيرة في منطقة بعيدة أحياناً . ويحرص كل الحرص على الاحتفاظ بإمكانات التعـاون بين العمليات التقليدية الكبرى وعمليات العصابات . انه تلميذ متحمس من تلاميذ **حرب الحركة** ، يتحدث عنهـا قائلاً : « بدون حرب الحركة ، تبلغ العصابات نقطة ذروة حرجة ، فلا تتجاوزها ابداً ». وينسق جياب تنقلاته السريعة ،وحركات التفافه ، مع **تآمر واشتراك** المواطنين الفيتناميين بصورة فاعلة ونشيطة. وبهذا الشكل ينقـل **الحرب الشعبية** الى أعلى درجة ، فهي حرب « كل الشعب ، الشاملة لكل الميادين » . وتليها **حرب الأعصاب** كظلها . ودون ان يعطي خصمه اي هدنة فيما بين الحربين ، فإن حرب الاعصاب التي يشنها تقصم وتهدم روح المقاومة لدى الخصم .

واذا مـا قام جياب **بتراجع استراتيجي** ، لا يتوارى عن ضغط الخصم فحسب ، بل انه يضطره الى إطالة خطوط مواصلاته ، والى اللهاث من التعب قبل ان يتعلق بالارض ويعزز موقعه . عندئذ يعود رجـــال العصابات الى نشاطاتهم لازعاج الخصم قبل ان يملك زمام نفسه . ويهيء الجنود النظاميون بمنتهى الحماس هجومهم المعاكس ثم يندفعون بعنف ، فتذعن القوات المعـادية المهاجمة من كل الجهات أمام **استراتيجية التطويق** التي وصل فيها جياب الى مستوى الكمال .

من حرب العصابات الى الحرب التقليدية :

تلعب العصابات دوراً هاماً في هذه الاستراتيجية. ونظراً لأنها السند الأخير للضعيف ، فانهـــا تثبت ان الضعيف قادر على الصمود في وجه عدو أقوى

وأحسن تنظيماً منه . انهـا تذكر بلا شك بأسلوب قتال الساموراثيين [1] وبقتال الجيوجيتسو ، وبفضله ينتصر الصفاء الفكري والمهارة والخفة على القوة الطاغية الشرسة . وقد صرحت السيدة نغوين تي دينه ، مساعدة القائد العام لقوات الفييتكونغ في ٢٥ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٦ في مقابلة مـع اذاعة صوت جبهة التحرير الوطنية قائلة ما يلي : « ينبغي ان يكون المرء ماهراً جداً عندما لا يكون قوياً جداً . وقد حصلت الفييتكونغ تعاونها المليشيا ووحدات الدفاع الذاتي ، في هذا المجال ، على تجربة قيمة » وأضافت تقول : « ان عصاباتنا تتوسع وتكبر باستمرار وتزداد قوة وبأساً . انهـا العقدة التي تطوق عنق الخصم » ، والمعاون الضروري لكل جيش ثوري .

ان العصابات تتلاءم مع كل الاوضاع . وتعطي انطبـاع وجودها في كل مكان في الوقت ذاته . انهـا تضرب مؤخرات وأجنحة الترتيب المعادي ، كما تضرب قلبه . وتناور في داخل هذا الترتيب ، وتتحشد وتتوزع في أقسام ، وتذوب وتختفي وسط المواطنين المتضامنين والمتآمرين معهـا ضد خصمهم ، مستفيدة من الظلام الدامس . ويتخذ عملها شكل عمليات متقطعة من ازعاج المخافر والقواعد ، ونصب الكمائن ، او القيام باغارات الكر والفر لمطـاردة العدو ومتابعته ، وتحطيمه تدريجياً ومنع تموينه من الوصول ، ونهب مخازنه ومستودعاته ، وتدمير قوافله ، وقطع خطوط مواصلاته .

وتعد عمليات العصابات التي تقوم بها العصابات مستقلة أو منسقة مع اعمال الوحدات النظامية بعشرات الألوف من العمليات في كل مكان ، وفي المناطق الجبلية الشمالية كما في دلتـا الميكونغ . وتشكل **طرق المواصلات هدفاً للهجمات المستمرة** ، وينتشر جنود العصابات ، بمفارز مؤلفـة من ١٥ الى ٢٠

---

(١) طبقة المقاتلين في اليابان في عام ١٨٦٨ ، الذين يلجأون الى القتـال الفردي والمصارعة اليابانية بمختلف أنواعها . (المعربان) .

جندياً في الطبيعة ، فيدمرون محطات الفرز ، ويقطعون الطرق والجسور . ولن نذكر هنا سوى مثلاً واحداً على ذلك : في لحظـة من اللحظات الحرجة ، وخلال ليلة ٢٨ / ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٦٧ ، نسف الثوار ثمانية جسور ، يقع سبعة منها على الطريق الوطني رقم ١ ، تنفيذاً لتعليمات القيـادة العامة . فعزلوا بهذا الشكل قاعدة دانانغ عزلاً كاملاً . وكانت هذه العملية هزيمة مهينة « لرماة البحرية الامريكيين » .

وتزرع **الكمائن** الاضطراب احياناً في صفوف الأرتال الامريكية ، المزدحمة بعتادهـــا الهائل . وكان نجاح الفيتناميين في هذه العمليات يتطلب اعداداً دقيقاً ، ووحدات حسنة القيادة وعلى درجة عالية من المهارة في المناورة . وكان ترتيبهم موزعاً في غالب الاحيان في ثلاثة أنساق : نسق يكلف بمراقبة العدو ورصد حركاته ، ونسق آخر مكلف بالهجوم ، أمـــا النسق الثالث فمكلف بدعم النسقين الأولين وتأمين انسحاب القوات بكاملها بعد العملية .

ولا تتبدل ميكانيكية هذه العملية ابداً . فعلى طريق ضيق محفوف بجوانب منحدرة تقوم النواة المهاجمة بالتهيؤ للعمل اعـــتماداً على الانذار الذي تعطيه عناصر المراقبة . وفي اللحظة الدقيقة التي تصل فيها الآ ليات المعادية الى الجزء الخطر من الطريق ، تنفجر الألغـام التي تقاد من مسافة بعيدة ، بإشارة من القائد ، وفي عدة نقاط من الرتل . وتتسمر الآ ليات في الارض بنار محكمة توجهها الهاونات والأسلحة الآ لية ، وتتجزأ الى مجموعات صغيرة. وليستفيد المهاجمون الفيتناميون من الفوضى والارتباك ومن الخسائر التي أحدثوها ، يتسللون بسرعة البرق في الفواصل التي قامت بين قافلة الرتل . ويتجابه الخصمان وجهاً لوجه ويلتحمان جسماً الى جسم . ويكون الالتحام بين الطرفين قصيراً جداً بشكل يمنع الطيران من التدخل . وتتعرض طائرات الهليكوبتر احياناً للسقوط عندما تحاول الهبوط لإخلاء الجرحى . وعند انتهاء العملية ، وباشارة اخرى من القائد ، وبمعونة عنصر الحماية يختفي الفييتكونغ في الغابة القريبة .

وبهذا الشكل يحصل الثوار على نجاحات هامة [1] مقللين خسائرهم الخاصة الى اقل حد ممكن ، ومقلصين اثر نيران خصمهم الهائلة الى حد كبير .

وقد قاد المغاوير المتخصصون في إغارات الكر والفر ايضاً ، عمليات دقيقة وجريئة ، ذات هدف محدود وحصلوا على نتائج لم تكن متوقعة ابداً . وكان تعدادهم يتراوح بين ١٠ و ٢٠٠ جندي تبعاً لطبيعة المهمة : ففي إحدى العمليات قام ستة من رجال الضفادع البشرية محملين بالمتفجرات بالغطس تحت هيكل المراكب الامريكية ، ووضعوا في اجنحتها حمولتهم المتفجرة . وفي عملية اخرى تقدم المغاوير تحت حماية سد ناري من الهاونات والصواريخ ، وبمعونة « الطابور الخامس » وحرروا مئات الأسرى من معسكرات اعتقالهم [2]

(١) لن نذكر هنا الا بعض الأمثلة التي انتقيناها من بين مجموعة كبيرة من الأمثلة :

في ٢٤ مارس (اذار) ١٩٦٧ ، على طريق من طرق كوانغ نام ، دمر كمين من كائن الفييتكونغ ٢٠٠ سيارة خلال عشرين دقيقة . وفي اليوم ذاته ، وعلى طريق نهري في منطقة بن تري ، دمر كمين آخر قافلة مؤلفة من عشرة مراكب ، وألحق أضراراً بألف من الجنود الفيتناميين الجنوبيين وجعلهم خارج القتال .

وفي ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وفي النجود العالية ، في مقاطعة كونتوم ، على بعد ٣ كم جنوب داك تو ، بوغت فوج من اللواء ١٧٣ مظلي (امريكي) في كمين ، فوقع منه ٧٦ قتيلاً و ٨٥ جريحاً . وفي ١٥ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ ، وفي المنطقة ذاتها ، خسرت قافلة اخرى ٨٩ جندياً .

وفي ٤ مارس (اذار) ١٩٦٨ ، وقعت سرية من الفرقة الامريكية ٢٥ ، بدورها في كمين على بعد ١٥ كم شمال سايغون . فسقط منها ٥٢ قتيلاً ، و ٣٠ جريحاً ، كما فقد ١٠ من أصل ١٨٠ جندياً .

وفي ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ ، سقط رتل امريكي مدرع في جنوب تاي نينه ، داخل كمين مضاد للآليات فتعرض لخسائر فادحة . وتدخلت المدفعية وطائرات الهليكوبتر الثقيلة لتخليصه .

وفي ١٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ ، وعلى مقربة من الطريق رقم ٩ المؤدي الى خيه سانه على بعد ٧ كم من المنطقة المنزوعة السلاح ، وقع الرماة البحارة التابعون للواء ٢٦ المشهور الذي كان يدافع عن قاعدة خيه سانه داخل كمين محكم فخسروا ٤٧ قتيلاً ، و٢٠٦ من الجرحى .

(٢) حرر الفييتكونغ في ٦ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ، في كوانغ تي ٢٥٦ أسيراً . وفي ١٣ يوليو (تموز) ١٩٦٧ ، في هوي ـ آن عاصمة مقاطعة كوانغ ـ نام ، حرروا ٦٠٠ أسيراً . وفي ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٦٧ ، حرروا ١٢٠٠ اسيراً على مقربة من قاعدة شو ـ لي ،

ليضموهم الى صفوف الثوار . واخيراً ، وفي امكنة اخرى قـــام المغاوير بأعمال لا تعد ولا تحصى ضد القواعد والمطارات الامريكية بصورة خاصة[1]. ويتم العمل حسب خطة محكمة ، ويقتصر العمل على القيام بقصف شديد ومركز بالصواريخ إذا لم تسمح الظروف باجراء انقضاض على القاعدة . أما اذا سمحت الظروف بذلك فينقسم المغاوير الى الزمر التالية : زمرة للمراقبة ، زمر للحماية ، وزمر خفيفة للانقضاض ، تعمل غالبــاً بمعونة عناصر الفييتكونغ العاملة في القاعدة ذاتها . وتنتقى الاهداف وتوزع بدقة متناهية. فإذا ما تبدلت الظروف بشكل غير ملائم ، ينتشر المغاوير فوراً ويختفون بسرعة هائلة .

الخدع والأفخاخ :

يعمل المغاوير بالمراوغــة والمخاتلة لتحقيق أهدافهم . والتاريخ العسكري حافل بأمثلة الميزات الهائلة التي تحققها أعمال الخداع والمراوغــة ضد العدو ،

---

(١) دانانغ ، شولي ، بيان هوا ، نها ترانغ ، فان رانغ ، بليكو ، سوك ترانغ ، دو تيانغ، تان سون نهات ، ترا فينه .. الخ . تلك هي الأسماء التي تتردد في البيانات والتي يعلن فيها وضع مئات الرجال خارج القتــال ، وتدمير عدد من الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر ، وقواعد الصواريخ ، ومستودعات المحروقات ، والذخائر والمؤن . وهنــا ايضاً ، سنقتصر على ذكر بعض الأمثلة :

في ١٣ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ ، هوجمت قاعدة سوك ترانغ للمرة الحادية عشرة ، فخسرت ١٦ طائرة ، و ١٤١ جندياً من بينهم ٤٠ جندي امريكي وضابط صف . وفي ٣١ اكتوبر (تشرين اول) ، تعرض المطار ذاته لانقضاض جديد : فدمرت ٧ طائرات ، ووضع ٧٣ جندياً خارج القتال .

وفي ٦ ينــاير (كانون ثاني) ١٩٦٧ ، خسرت بليكو ، في الهجوم الثـالث الذي شنه الفييتكونغ ٩٢ طائرة ، و ٥ ملايين ليتر من المحروقات و ١٠٠٠ طن من الذخائر ، و ١٤٠ آلية وخرج ٢٨٠ جندي خارج القتال من بينهم ١٣٨ جندي وضابط صف امريكي .

وفي ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٧ ، خسرت قاعدة دانانــغ في الهجوم الثالث الذي شنه الفييتكونغ عليها ٩٤ طائرة دمرت أو ألحقت بها الأضرار ، و ٢٠٠ آلية ، وسنترال كهربائي ←

والتي تحتل فيها الخدعة المكان الاول . وفي العصور القديمة ، وفي حوالي ٨٢٠ قبل الميلاد ، كان هوميروس الذي احتل مكاناً أساسياً حتى نهـــاية العصر الاغريقي في التربية اليونانية ، لا يتردد عن التأكيد على ان « من الواجب توجيه اكبر ضرر ممكن للخصم ، مع خدعه والتحايل عليه ، لأن هذه الوسيلة وسيلة مسموح بها مهما كان نوعها » . ويردد جياب رأي هوميروس عندمـا يقول مؤكداً ما يلي : « تنجح الحيلة عندما تفشل القوة . فمن الضروري إذن أن نستفيد من الاولى والثانية . ان فن الخداع هو اكبر عون للجيوش الصغيرة . وكل قائد غير مخادع قائد مسكين. وكل ما يولد ويجري في ذهن القائد المخادع ، ينبغي ان يدفع القطعات الامريكية ، وقطعـــات الحكومة العميلة في مصائد وأفخاخ تسبب لها خسائر جسيمة » .

وتتخذ الأفخاخ أشكالاً متعددة ، ففي المناطق المأهولة يثير باب او كيس من الارز أو جثث رجال مقتولين أو حيوانات ميتة ، انفجار لغم من الألغام ،

← ووضع ٦٧٨ جندي خارج القتال من بينهم ١٣٦ جندي وضابط صف امريكي.

وفي ١٥ مارس (اذار) ١٩٦٧ ، خسرت قاعدة دانانغ في الهجوم الرابـع الذي شنه الثوار ١٦ طائرة و ٣١ آلية ومليوني ليتر من المحروقات . وفي ١٣ يوليو (تموز) ١٩٦٧ ، حقق هجوم جديد شنه الثوار خسائر هائلة ، ٣٠ قتيل و ١٥٤ جريح و ١٨٠٠ طن من الذخائر ، و٢٣طائرة بينها ٣ طائرات من طراز C 130 و ٢٠ هيليكوبتر . وارتفعت قيمة الخسائر الى ٥٠ مليون دولار . وفي ٣ يناير(كانون ثاني) ١٩٦٨ قـــام الثوار بهجومهم الثامن فكانت الخسائر جسيمة جداً وخسر الامريكيون : ٢٧ طائرة دمرت تماماً .

وفي ٥ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨، خسرت آن خيه ، في الهجوم الثـاني عشر الذي شنه ثوار الفييتكونغ ١٥ طـائرة و ١٨ هليكوبتر و ١١٥ جندي ، وفي ١٢ مارس(اذار) ١٩٦٨ دمر أهم مستودع للذخـــائر الامريكيةوهو مستودع كوا فيت (في الجبهة الشمالية) تدميراً تاماً ،

ومن فبراير (شباط) الى يونيو(حزيران)١٩٦٨،تعرض مطار تان سون نهات لأكثر من ثلاثين رماية بالصواريخ عيار١٢٢ و ١٤٠مم، وكانت الخسائر هائلة جداً ، ولا تمثل هذه اللائحة المدهشة الا جزء بسيطاًمن الخسائر التي يوقعها الثوار الفييتكونغ بالامريكيين.

أو قنبلة موقوتة . أما في الأدغال فيؤدي عصف الهليكوبتر الى سقوط عصاة بسيطة تحدث انفجار لغم من الألغام . فتسقط الطائرة الهليكوبتر وهي في أوج تحليقها ، لتكون هي ذاتها مصيدة من المصائد – إذ يعاد تركيب حطامها – كما يركب في بعض الاحيان حطام الطائرات– ويملأ بالمتفجرات، كما توضع المتفجرات في أجساد القتلى من المحتلين . وعندما تحدد مكانهـــا طائرات الهليكوبتر ، تهرع لمعاونتهــا وإنقاذها . وما ان يصل رجال النجدة اليها حتى يمزقهم التفجير ذاته .

وقد عرف الطيارون الامريكيون مكائد ومصائد تتسم بكثير من الحيلة والخداع . ففي ٢٤ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٧ ، في مقاطعة ها تسنغ أسقطت المدفعية المضادة للطائرات طائرتين . فقفز الطيـاران بالمظلات ، غير ان الفييتكونغ لم يأسروهما فوراً . بل تركوا لهما الوقت اللازم للاتصال لاسلكياً لطلب المعونة والانقاذ . فحلقت طائرتان امريكيتان بعـــد وقت قصير ، وأخـذتا تستكشفان المنطقة بغرض تحديد مكان سقوط الطيارين . فتدخلت المدفعية المضادة للطائرات مرة اخرى وأسقطتهما فوراً .

وقد مارس الخيال الخصب للفيتنامي مهارته في طرق اخرى . فالتنكر على مختلف أشكاله عبارة عن حيلة لخداع العدو . واغتيال « المتعاونين » مع العدو، أو اغتيال « المحتلين » ، يتم بعد تنكر الثوار في ثياب شرطة فيتنام الجنوبية . وقد عرفنا آلاف حوادث الاغتيال من هذا النوع . كما ان الهجمات ضد المخافر المنعزلة تتم بشكل طبيعي وعادي . ففي ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٧ ، فاجأت عناصر من الفييتكونغ ترتدي بزات « فيتنام الجنوبية » ، جنود مخفر من مخافر الشرطة في هونغ – مون ، الواقع على ١٢ كم شمال – غرب سايغون . وتوقفت الآلية على ارتفاع المخفر ، فلم يحذرها رجال الشرطة ابداً . فقتل الفييتكونغ احد عشر شرطياً منهم ، وجرحوا ثمانيـــة ، واستولوا على ستة مسدسات ، وعشرة مسدسات – رشاشة ، وخمس بنادق آلية .

وفي ٣ مارس (اذار) ١٩٦٨ ، تسلــل ثوار فيتناميون يرتدون البزات العسكرية الفيتنامية الجنوبية الى منطقة الدلتا ، بين كان – تهو وماي – تهو ، ودخلوا وسط رتلين من أرتال قوات الاحتلال ،أحدهما امريكي ، والآخر فيتنامي جنوبي ، وأطلقوا النار على الرتلين في الوقت ذاتــه . فعندما أحس الرتلان بالهجوم ، اخذ كل واحد منهما يرمي رمياً غزيراً على الرتل الآخر . وبعد ان رضي الثوار بالفوضى التي أحدثوها في صفوف الرتلين ، انسحبوا تاركين الرتلين الصديقين مشتبكين . وانقضت ساعة كاملة خرج خلالها ثلاثون جندياً خارج المعركة قبل ان يكتشف الرتلان سبب الفوضى والارتباك .

وبعد عدة ايام ، وفي ٧ مارس (اذار) ١٩٦٨ ، في كوانغ تني ، قام ثوار الفييتكونغ بهجوم جريء ضد مقر قيادة فرقة المشاة الحكومية الثانية – وهي احدى اضخم وحدتين فيتناميتين جنوبيتين في وسط فيتنام ، بعد تمهيد هائل بالمدفعية . وقد تقدم عشرة من ثوار الفييتكونغ ، في عربتين مدرعتين الى المقر العام للفرقة ومعهم أربعة جنود أسرى من الامريكيين . فقبضوا على الجنرال وهيئة أركانه . وقد كمنت المفرزة التي كانوا ينتمون اليهــا ويعملون بقيادتها ، وهي على أهبــة الاستعداد ، على مسافة قريبة من المقر العام للفرقة . ثم هرعت المفرزة لإجبار ثلاثين جندياً مكلفين بحماية مقر القيادة على الاستسلام .

واستخدم الفيتناميون الشماليون مثل هذه الوسائل في الحرب « التقليدية » التي كانوا يخوضونها في النجود العالية ، وبخاصة اثناء المعركة القاسية التي تمت في ١٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ على المرتفع ٨٧٥ في قطاع داك ثو ، وعلى الحدود بين فيتنــــام الشمالية والجنوبية ، وحول خيه سانه ، بعد استيلاء الامريكيين على المرتفع ٨٨١ في ٥ مايو (ايار) ١٩٦٧ . وفي هـــذا اليوم ، اصطدمت السرية الاولى التابعة للفوج الثاني من لواء الرمــاة البحارة الثالث في قتال التحام عنيف بالفيتناميين الشماليين الذين ارتدوا العمرات والبزات التي استولوا عليها من جثث الامريكيين . وتسللوا بهذا الشكل ، وأعدادهم تتزايد

باستمرار ، عبر الخطوط المعادية . وقد تحدث أحـــد جرحى الاشتباك من الرماة البحارة قائلاً : « لقد كانوا في كل مكان . وكان يكفي ان يرفع المرء يده لكي يصاب فيها فوراً » . وفي الفجر ، كان الذين خرجوا أحياء من السرية الامريكية قد تسمروا في الارض ، وقد استنزفت كل قواهم البدنيــة ، وانهارت معنوياتهم وتملكهم الرعب والهلع ، بعد ان رأوا عدداً كبيراً من رفاقهم القتلى ينقلبون فجأة الى جنود من الفييتكونغ ، ويحتمون بجذع شجرة أو ثنية ارض ، ويفتحون النار بعنف بعد ان صمموا على متابعة القتـــال حتى الموت . وبعد تراشق غير منظم بالنيران تجدد القتال بالسلاح الابيض . وكانت خسائر الطرفين كبيرة الى حد كبير .

وتعرض المعسكران ايضـاً لخسائر اكبر بكثير في الايام الاولى من فبراير (شباط) ١٩٦٨ . فقد ظهر الفييتكونغ فجـأة ليهاجموا بآن واحـــد مائة نقطة مختلفة من البلاد . وكان انقضاضهم المأثور قد نشر الالتباس والفزع في كل مكان . وكانت سايغون مدينة اللهو واللامبالاة ايضاً اكبر ملجـــأ للثوار في فيتنام كلها . إذ لم يعرف سكانها الذين تملكهم الخوف فصولاً اكثر خداعاً مما شاهدوه . وفي اليوم الخامس للهجوم العام ، كان ٢٫٥٠٠ من ثوار الفييتكونغ يجوبون العاصمة ، وهم يرتدون بزة جيش فيتنام الجنوبية . وراح الامريكيون ، بعد ان فقدوا زمام السيطرة على انفسهم ، يرمون على كل الفيتناميين دون استثناء بما فيهم افضل قطعات فيتنـام الجنوبية ، من القوات الخاصة بمحاربة العصابات في الغابات والأدغال ، والمظليين التابعين لحامية سايغون .

وفي الايام التي سبقت الهجوم العام ، كانت التحضيرات تتم تحت سمع وبصر السلطات المسؤولة . فقد دفنت الاسلحة التي أحيطت بأوراق اشجـار الموز في ضواحي شولون ، أو تركت محروسة في سايغون ذاتها لدى المواطنين. فكيف ادخلوا هذه الاسلحة الى العاصمة ؟ لم يحدث في أي بلد من البلدان جنازات مثل تلك الجنازات التي حدثت في سايغون ، العاصمة : فقد كانت النساء النائحات

والاطفال يرافقون التوابيت المملوءة بالرشاشات، وقذائف البازوكا،والصواريخ والمتفجرات . ولم تر مخافر المراقبة الموجودة على مدخل المدينة مثيلا لذلك ابداً : فقد كان عدد كبير من تجار الزهور يقومون بعمليات ذهاب واياب من المنتجين في الضواحي الى مخازن السلاح السرية . وقام آلاف الفلاحين وهم يرتدون أفضل ما عندهم من الثياب يزورون عائلاتهم في المدينة ، بقمصان نظيفة وأحذية جديدة ، مزودين بتصاريح مزيفة للمرور . وكانت أفراح عيد رأس السنة الفيتنامية قد أخفت تسللاتهم المتعددة التي قاموا بهافي الأوتوبيسات، والتاكسيات والدراجات النارية أو الدراجات أو على الأقدام . وقام قانون الصمت بتنفيذ القسم الباقي من المهمة : إذ تقيد الشعب الفيتنامي بالسكوت المطبق الشامل . وأغلق رجال البوليس ، ومخبرو الجنرال نغوين نغوك لوان، مدير شرطة سايغون أعينهم عن كل ما جرى ، وبالتفاهم والتآمر سراً احياناً مع الفييتكونغ .

الانتشار والمناورات الاستراتيجية

القادة الرئيسيون :

يعتمد جياب على كلاوزفيتز ويرجع اليه ، كما يفعل ماوتسي تونغ ، لكي يضع أسس استراتيجيته الثورية **التي تعكس تبعية الحرب للسياسة** ، وبقائها داخل هذه السياسة كوسيلة عمل خاصة فقط : « ان الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى .. انها كل عضوي لا تنفصل مختلف عناصرها عن بعضها ، وينبغي ان تساهم كل الاعمال المنعزلة فيها في تحقيق الهدف ذاته ، وان يوجهها تفكير واحد ... لا يمكن أن يكون سوى السياسة »[1]. وتصمم

---

(١) كلاوز فيتز « في الحرب » :

يقول كلاوزفيتز في هذا المجال ما يلي : « **ان** الاشتباكات الصغيرة المطبقة والمقادة بكل عناية والتي يستفيد المهزوم فيها من مزايا الارض لأنه في وضع دفاعي هي الوسيلة الوحيدة لرفع المعنويات من جديد » . (المعربان)

استراتيجية جياب العمليات العسكرية وتنسقها لتحقيق **غايات سياسية**، وذلك بالقيام : **بعمليات تقليدية وعمليات عصابات** ، ممتزجة مع بعضها بشكل وثيق تبعاً **لخطة واحدة على المستوى العام** لكل مسرح العمليات، **وبادارة موحدة، مخططة** على اعلى مستوى .

ويتضمن **أسلوب** عمـــل هذه الاستراتيجية **ضرب العدو في كل لحظة ، في كل الميادين ، وفي كل المناطق** من المنطقة المنزوعة السلاح على مقربة من خط العرض ١٧ في الشمال الى الدلتا في الجنوب . ويتطور هذا الأسلوب تبعـاً لهذا القانون الذي ينبغي استناداً اليه البدء بالعمل العسكري انطلاقاً من اشتباكات صغيرة للوصول الى الاشتباكات الكبرى ، واستثمار الروح القتـــالية للثوار وفاعلية المعـارك النظامية الى ان يتفكك العدو وينهار معنوياً . ويتم هذا التركيب العملياتي في كل موجـة من موجات العمليات ، وفي كل معركة بصورة منسقة وعلى جبهة واسعة جداً . ويقتلع هذا التركيب صفوف الخصم من جذورها ، ويجمدها ، ويجعلها تنتشر باستمرار وتتمدد كي يضربها بصورة افضل . ويذكرنا هذا التركيب بمنظر المد والجزر حول القواعد الامريكية ، التي تهاجم من كل الجهات . ويغرقهـا هذا التركيب ، ويعزل القواعد بعضها عن البعض الآخر ، ويهاجمهـــا في بعض النقاط بشراسة ، ويقوض جذورها الدفاعية باستمرار عندما يتراجع المد . ولا يقاس مردود هذا التركيب بتدمير العتاد ، وبتوجيه إصابات للقوات بشكل يجعلهـا خارج القتال فحسب ، بل يقاس ايضاً وبصورة خاصة بالأصداء السياسية والنفسية التي تشكل بقعة زيت أثناء الحملات المتتابعة .

حملات ١٩٦٥ - ١٩٦٦ :

لم تنفك القطعات التابعة للمناطق ، وتشكيلات الثوار التابعة لقوات جيش التحرير عن توسيع نطاق حرب العصابات ومتابعة تشكيل وحدات نظامية في

الوقت ذاته ، وذلك خلال حملات ١٩٦٥ – ١٩٦٦ . وانتقلت هذه الوحدات تدريجيــاً من مستوى السرايا المستقلة الى الكتائب المتحركة ، ثم انتقلت الى الألوية قبل ان تشكل الفرقتين الاوليتين في عـام ١٩٦٧ . وقد جابهت هذه القوات في كل مكان « إخماد الفتنة في الريف » ، وتعجلت ايضاً فشل منهاج « المزارع الاستراتيجية » [١] ، وقامت بالهجوم على القواعد المعاديــة في المؤخرات ، وحصرت وضيقت المناطق التي يشرف عليها العدو، وخربت زخم الادارة ، كما أضعفت قيادة جيش فيتنام الجنوبية الذي هبطت معنوياته بشكل خطير . ومع ذلك لم تتوصل هــذه الوحدات الى تنفيذ تحشدات كبرى ، او زيادة حدة الهجمات على جبهات متعددة ، من كوانغ تري حتى نام بو (الجنوب) وعلى تنظيم عدة معارك تتم بآن واحــد على المستوى الاستراتيجي ، وتنسق عملها مع شريكتها فيتنام الشمالية ، التي تتعرض لمشاغل اساسية امام الخطر المتزايد للغارات الجوية ضد الشمال منذ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

فلكي تواجه هذه الضرورات ولتجابه هــذا التهديد ، كان لا بد لهذه الوحدات من تطبيق **استراتيجية حرب طويلة الأمد** . وقد ذكر جياب في كتابه ما يلي : « ان حرباً طويلة الأمد فقط هي التي تسمح لنــا بالتغلب على المصاعب التي نجابهها للتخلص من ضعفنا الأولي والوصول الى درجة كافية من القوة » [٢] . ان هذه الاستراتيجية وحدها هي التي تجعل المعسكر الاشتراكي قادراً على تقديم مساعدة تزداد اهميتها يومــاً بعد يوم ، كما انها تسمح بتسيير النجدات الضرورية بالرجال والعتاد والقادة من الشمال ، وبدونها لا يستطيع

---

(١) دمر الفييتكونغ مـن اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ الى اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ ، ٣٦ « مزرعة استراتيجية » ، وذلك في مقاطعة لونغ آن ، وهي المنطقة التي أعطيت الأفضلية في عمليات « إخماد الفتنة في الريف » . وامتد عمل الفييتكونغ الى بن تري ، حيث تمكنوا في الفترة ذاتها من تدمير ٢٨ مزرعة تدميراً تاماً ، وأثاروا بهذا الشكل تمرد المواطنـين في كل مكان ضد سلطات الاحتلال الامريكية .

(٢) جياب ـ المرجع السابق .

الفيتكونغ الحصول على **المبادأة الاستراتيجية** . وإذا حشد الامريكيون قواتهم ليقطعوا طريق الجنوب على هـذه النجدات ، تعذر عليهم المحافظة على مؤخراتهم ، أو اعطاء اشتبا كاتهم فاعلية تتسم بمدى « عملياتي » .

وفي تلك الفترة قرر جياب الالتفاف على الترتيب المعادي على ارتفـاع خط العرض ١٧ عندمـا تسمح الظروف بذلك . وتحركت قطعاته في بادىء الأمر على طريق هوشي مينه ، بعد أن وصلت اليه عن طريق الممر الجبلي لكو سان . ثم نزلت فـيما بعد الى سايغون ، **في دلتا نهر الميكونغ الغنية** لتضرب « **البطن الرخو** » لجيش فيتنام الجنوبية . ومنذ شهر يوليو (تموز) ١٩٦٦ ، نشبت معركة حامية الوطيس اشتبك فيها آلاف الرماة البحارة ، وأفواج كاملة من الفيتناميين الشماليين . وجرت هـــذه المعركة في وصلة فرعية من طريق هوشي مينه ، في موقع ضيق يقع بين بحر الصين وحدود لاووس .

وفي الوقت ذاتـه ، هاجمت قوات جيش التحرير شرق نام بو ، وتصادمت مع لواء تابع للفرقة ٢٥ واللواء ١٩٦ من الفرقة الاولى الامريكية المحمولة جواً . وتعرض هذان اللواءان لخسائر فادحة ، قبل أن يستدعيا بسرعة لتأمين حماية القواعد الامريكية مكان وحدات الرماة البحارة المشتبكة في منطقة كوانغ تري . وفي منطقة النجود العالية ، قامت قوات جيش التحرير التابعة لكونتوم بازعاج وحدات من الفرقة الرابعة ، والفرقة ٢٥ والفرقة الاولى المحمولة جواً وقامت بتثبيتها .

الحملات من خريف ١٩٦٦ الى خريف ١٩٦٧ :

ومن اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ الى مـارس (اذار) ١٩٦٧ ، شن الامريكيون ألف عمليـة بقوات تتراوح بين الكتيبة واللواء . وتمت حوالي

ستون عملية منها على مستوى الفرقة ، وثلاثة على مستوى الفيلق [1] . وكانت عملية « جونكشن سيتي » أهم هذه العمليات ، إذ اشترك فيها ٤٥٫٠٠٠ جندي وضابط صف ، وارتدت طابعاً مستميتاً . ووقعت فيها خسائر جسيمة من الطرفين [2] . وكرست هذه العملية فشل المناورة الاستراتيجية الامريكية ، التي احتواها الفيتكونغ بانتصار هائل .

ثم أخذ الفيتكونغ المبادأة الاستراتيجية ، ونسقوا بصورة أوثق عمل المسارح المختلفة ، لكي يضعفوا التهديد الذي توجهه القطعات الامريكية الى

---

(١) لقد ساهم في مجموع هذه العمليات :

- من الجانب الامريكي : الفرقة الاولى والرابعة ، والفرقة الامريكية المحمولة جواً ،والفرقة الاولى والثالثة من الرماة البحارة .

- من جانب فيتنام الجنوبية والدول المشتركة الى جانب الامريكيين : الفرقة الثانية ، الفرقة التاسعة ، الفرقة ٢١ ، الفرقة ٢٥ ، الكتيبة ٧ مظليين ، الكتيبة ٣٢ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ من الكتائب الخاصة لمحاربة العصابات في الغابات والادغال .

العمليات على مستوى الفيلق :

- عملية أتلوبورو ، نهاية اكتوبر (تشرين اول) حتى مطلع نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٦ ، في منطقة تاي نينه ،

- عملية سيدار فولز ، من ٢ الى ٢٩ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٧ ، منطقة كوشي،دونغدو.

- عملية « جونكشن سيتي) من ٢ فبراير (شباط) الى ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ في التاي نينه .

(٢) تشير البيانات الامريكية والفيتنامية الى وقوع« خسائر فادحة لدى العدو » ولكن هذه البيانات تتضمن كثيراً من المبالغات . ولذا ينبغي اعتمادها مع بعض التحفظ.

وفي نهاية عملية « جونكشن سيتي » ، أعلن الامريكيون انهم أصابوا ١٨٫٠٠٠ جندي من الفييتكونغ ووضعوهم خارج القتال . وأما هيئة أركان الفييتكونغ ، فقد أعطت من ناحيتها معلومات دقيقة كالتالي : « لقد أدى الانتصار الرابع في تاي - نينه الى فشل عملية « جونكشن سيتي » . ومن ٢ فبراير (شباط) الى ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ، دمرت قوات جيش التحرير حوالي ١٤٫٠٠٠ جندي من الاعداء (معظمهم من الجنود وضباط الصف)، ودمرت اكثر من ١٠٠٠ آلية عسكرية (من بينها ٨٠١ دبابة ومدرعة) وأسقطت ودمرت ١٦٧ طائرة من مختلف النماذج ، ودمرت ٩٠ مدفع ثقيل » .

نام بو . واضطروا الامريكيين ، بهجماتهم المستمرة ، وبمناوراتهم التطويقية ، وبمناوراتهم التقاطعية (القص) ، التي كانت تقوم بدور راجح يتصاعد أثره باستمرار في القتال ، الى اعادة النظر في ترتيبهم الدفاعي باستمرار . ومنعتهم من استخدام وسائلهم التكتيكية العادية – المعركة المصفوفة مع حشد القوى، وجعلتهم بهذا الشكل عاجزين عن استخدام اسطول قتالهم الجبار . وكان الفيتكونغ يمارسون ضغطاً تتصاعد قوته على مقربة من خط العرض ١٧ ، على القواعد الامريكية في خيه سانه ، على مقربة من لاووس ، ودونغ هــا ، وجيو لينه ، وكون تيان ، وعلى مسافة اقرب من بحر الصين ثبتت وحدات فيتنام الشمالية ، التي كانت تقدر بخمس فرق ، الرماة البحارة الامريكيين في الادغال ، بارتباط وثيق مع قوات جيش التحرير في كوانغ تري ، بالرغم من الغـارات المستمرة لطائرات ب ٥٢ . وبهذا الشكل كان المراقبون يتصورون ظلاً لمعركة ديان بيان – فو جديدة . وكان هناك خوف من ان يقوم الفيتكونغ بهجوم واسع النطاق مدعوم بالمدفعية ، في جو ملبد بالغيوم يعرقـل طلعات الطيران القاذف ، وعمليات نقــل القطعات . ولمجابهة هذا الوضع ، ضاعفت القيادة الامريكية ، في ابريل (نيسان) ١٩٦٧ قواتها بأقصى سرعة في قطاع الفيلق الاول ، الذي ارتفع تعداده من ٦٢٫٠٠٠ جندي الى ١٢٤٫٠٠٠ جندي، وسحبت قطعات من مسارح عمليات اخرى ، من النجود العالية ، ومن الشرق الكوشنشيني بصورة خاصة الى الأمكنة التي كان الفيتكونغ سيشنون هجومهم عليها والذي اطلق عليه اسم هجوم « خريف ربيع ١٩٦٧ – ١٩٦٨ » .

واستفاد الفيتكونغ من امطار صيف ١٩٦٧ كي ترتاح قطعاتهم عدة أسابيع. وحافظوا على اشرافهم على مناطق واسعة ، حيث لم تستطع القوات الحكومية او الامريكية أن تجليهم عنها . وازدادت حدة حرب العصابات ، الموجهة ضد المدن وضد مهابط الطائرات ومقرات القيادة ، والشبكات الادارية ، وخطوط المواصلات الامريكية . واجتاحت سلسلة من الغارات قسيمة ساحلية مؤلفة

من ٥٠٠ كم ، مع حد أدنى من الخسائر ، وحد أقصى من البريق . ومن سبتمبر (ايلول) الى نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ انطلقت هجمات فيتنامية قوية في الشرق الكوشنشيني ، وفي النجود العاليـــة . ولم يكن مدلول هذه الهجمات مفهوماً بصورة جيدة ، فقد كان جياب يحضر ، من أجل مطلع ١٩٦٨ ،الهجوم العام الذي كان يشكل أحد خطوط قوة استراتيجية .

حملات خريف ١٩٦٧ حتى الهجوم
العام لعيد رأس السنة الفيتنامية :

وتتابعت انتشارات القطعات وتحشداتها في المنطقة الجبليـة بصورة خاصة على طول حدود لاووس وكامبوديا . واجتازت آلاف المدافـع حقول الارز والادغـــال دون ان تتعرض لأية خسائر ، إذ قطعت ٨٠٠ كم من الطرقات السيئة ، بالرغم من قصف الطيران الامريكي ، والاسطول السابع وغاراتـه العنيفة . وقامت هذه الوحدات بقتال جبار لم يعرفه التاريخ العسكري من قبل ، على الحدود بين فيتنام الشمالية والجنوبية وعلى طول خط العرض ١٧ ، الذي تمركزت على مقربة منه قواعد اطلاق صواريخ سام التي كانت تنقل في غالب الأحيان وتغير اماكنها كي لا تعلم مواقعها . وفي اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ ، كشفت مصالح الاستخبارات الامريكية عن وجود تعزيزات مماثلة من جانب قوات جيش التحرير وقطعات فيتنام الشمالية . وكان مجموع قواتهـــا يعادل ٨٥٫٠٠٠ رجل من جانبي المنطقة المنزوعة السلاح . وكان هدفها هدفاً مزدوجاً يتمثل في تعطيل انشاء « خط ماكنمارا » ، وتثبيت وحدات التدخل الامريكية الكبرى التابعة للجيش والبحرية بين دونغ ها وحدود لاووس ، كيما يتم إحداث فراغ يستفيد منه ثوار الجنوب « لاشغال » القطاعات المهملة من قبل الامريكيين بصورة دائمة .

وقادت جبهة التحرير الوطنيــة **الكفاح المسلح جنباً الى جنب مع الكفاح**

السياسي . ففي ٣ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ ، وجهت قبل فصل الجفاف نداء جديداً لشن الحرب الشاملة ، وقد وجهته الى الجيش والى سكان الجنوب الذين يعيشون تحت اشراف حكومة سايغون ، وذكرت في هــذا البيان : « اضربوا بقوة ، واضربوا في كل مكان ، دمروا أقصى ما يمكن من قوى العدو الحيــة ، واقلعوها من جذورها ، وسددوا ضربات متتالية الى رأس قطعات الحكومة العميلة والقطعات الامريكية ، وقطعات الدول الدائرة في فلكها .. ونظموا المظاهرات والاضرابات .. وعززوا وحدة كفاحكم ، وشلوا السلطة السياسية والعسكرية المعادية . استثيروا الحماس الثوري لأبنــاء المدن ... وانهضوا لتدمير المزارع الاستراتيجية ، وازرعوا الفوضى في مؤخرات الخصم وفككوها ، وضاعفوا حدة الكفاح ضد التجنيد العسكري الاجباري ... حركوا الأزواج والأشقاء والأبنــاء لكي يخجلوا من العبودية . . . وحولوا جبالكم وحقول أرزكم الى ساحة معركة مخيفة للامريكيين ، وكونوا مستعدين لتحطيم كل عملية عسكرية من عمليات التمشيط ، وحافظوا رغم ذلـك على زيادة الانتاج .. » . وبهذا الشكل نجحت جبهة التحرير الوطنية في مضاعفة « عملية العدوى الثورية » لثماني مقاطعات شمالية من فيتنام الجنوبية .

وفي النجود العالية ، في منطقة داك ثو ، أصبحت إحدى هذه المقاطعات ، اعتباراً من ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ ، مسرحاً لقتال عنيف . فعلى التلال التي تتحكم بحوض داك ثو ، كان الفيتكونغ يعملون كحيوان الخلد منذ اشهر ، ليلاً ونهـــاراً ، دون ان يثيروا اي شك لدى الخصم . وكانوا ينشئون وسط شبكة الخنادق المتصلة مئات من الأبراج الاسمنتية ، وأمنوا بهذا الشكل التمركز فيها بشكل قوي . وجذبوا اليهـــا ١٦٫٠٠٠ امريكي قدموا ليتمركزوا في الحوض ، قريبــاً من خطوط مواصلات الفيتكونغ عند مخرج طريق هوشي مينه .

وبهذا الشكل عرّى الامريكيون المناطق الساحلية . وكانت الوحدات

المحمولة بالهليكوبتر تطارد بصورة مستمرة عدواً يتسلل من بين أصابعها. وفي نقـاط مختلفة وبفواصل قصيرة ، كان الفيتكونغ يشنون عمليات كبرى. وأدت هجماتهم المتتابعة في الدلتا الى قطع الطرق بين كامو وسايغون. وأجبرت هذه الهجمات حكومة فيتنام الجنوبية على استيراد اكثر من مليون طن من الارز في يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ .

وفي الوقت ذاته ، طوق ٢٠٫٠٠٠ جندي فيتنامي شمالي ، يملكون مدفعية ثقيلة ، قاعدة خيه سانه الامريكية ، التي زادت صعوبة تموينها جواً . وكان حصار القاعدة بقيادة جياب نفسه ، إحدى مفصلات هجوم عـام ، لم يكن يستهدف طرد الامريكيين ، بـــل يستهدف على العكس تثبيت اكبر عدد من قواتهم في المناطق الشمالية. وغدت خيه سانه شبحاً يؤرق الامريكيين ويلاحقهم. فقد انتظروا فيها الجزء الحاسم من الهجوم . ونقلوا مرة اخرى الى الشمال كل التنظيم العسكري الذي أقاموه في الفيلق الاول . وأوكل الرماة البحارة جزءاً من ارضهم الى مغاوير الجيش البري والى الكوريين الجنوبيين . وساهم القصف الهائل بمدفعية فيتنام الشمالية ، للقواعد الامريكية في كون تيان ، وجيو لينه ، ودانانغ ، وبليكو ، وكونتوم ، وآنخيه ، في تخليص أقصى المناطق الشمالية في البلاد . وهكذا حقق جياب نجاحـاً استراتيجياً كبيراً ساعد على شن الهجوم العام الذي تم في فبراير (شباط) ١٩٦٨ .

الهجوم العام في رأس السنة الفيتنامية [١]:

لقد طبع جياب الهجوم العام لعيد رأس السنة الفيتنامية ، والذي شنه

---

(١) Le têt - وهو اول يوم في السنة الفيتنامية . وتمتد الاحتفالات والأفراح فيه عدة ايام . ويلغى فيه نظام التعتيم . وتزخر الطرق أثناء الاحتفالات بجماهير صاخبة ، تختلط فيها أعداد هائلة من الجنود الامريكيين والجنود الفيتناميين الجنوبيين المجازين . وتخف تدابير الامن التي تتخذها الشرطة والجيش . هذا هو الجو الذي اختاره جياب لهجومه الكبير .

في الساعات الاولى من ٣١ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ بطابعه . ولا يمكن تقدير أهداف هذه الحملة وسعتها ونتائجها إذا لم نأخذ بعين الاعتبـــار فكر هذا الاستراتيجي وشخصيته. فقد أشرف بصورة دقيقة على هذا الهجوم، وارتباطه بحملة « الشتاء – الربيع » التي كانت جزء منه ، وكان خلال مختلف مراحل الاعداد والتنفيذ ، مستعداً كل الاستعداد لمجابهة كل احـــتمال . فقد صمم هذا الهجوم وأعده ونفذه باتفاق كامل مع حليفه في الجنوب . ويعبر هذا الهجوم تعبيراً كاملاً عن زيادة حدة سلسلة من الأحداث تطلب وضعها موضع التنفيذ كثيراً من الوقت والجهد منذ نهاية صيف ١٩٦٧ .

وكان جياب يبني على هـذا الهجوم آمالاً جسام ، ويعتبره مرحلة جديدة هامة في تطور استراتيجيته . وكان يبغي من ورائه إرهاب العدو ، وتحطيم الامريكيين عسكرياً ونفسياً ، وتفكيك القوات المسلحة الفيتنامية الجنوبية وإدارتهـا ، وتنمية حركة شعبية هائلة موالية للفيتكونغ ، وطرد حكومة ثيو – كاي ، وإعطاء الحركة الشعبية دفعاً سياسياً هائلا ، وزيادة الضغط اللازم للمفاوضات مع فتح الطريق الدبلوماسي أمامها . وهكذا كان جياب يربط المغزى السياسي للهجوم مع العمليات العسكرية .

وقد زجّ جياب في هذه المعركة بخمسين في المائة من عناصر قواته الضاربة، التي كانت تقدر في ذلك الوقت بحوالي ١٢٠٫٠٠٠ رجل . واستخدم قطعات الفيتكونغ اكثر من قطعات الشمال . وتعرض بصورة خاصة « لمراكز العدو العصبية » كمراكز قيادته ، وهيئات أركانه ، ومراكزه الادارية ،ومستودعات محروقاته وذخائره ، ومنشآته الاليكترونية . وكان الهجوم العام يستهدف أساساً مهاجمة مناطق هبوط الطيران ، والتجهيزات التابعـة للجيش الجوي – بغية تسمير اكبر عدد من الطائرات على الارض ، وجعل قدرة الرد الامريكي غير فاعـلة – دون ان ينسى بالطبع المنشآت والاتصالات من كل الانواع . والمهم هو تفكيك تنظيم الشبكة العسكرية والمدنية الكبيرة المعقدة ، التي تصل

القيادة العليا بمراكز قيادات المناطق وبأجهزة التنفيذ .

ونشب الهجوم ، بصورة واسعة عنيفة بآن واحد ضد خمسين مدينة وعاصمة من عواصم الولايات [١] . وتعرضت سايغون وهوي ودانانغ وفينه لونغ وكان نهو وترا فينـــه لتدمير هائل . وفي سايغون ، ابتدأ الهجوم في الساعة الثالثة وانقض المهاجمون فوراً على السفارة الامريكية – واحتلوا منها خمسة طوابق خلال عدة ساعات ، في حين كانت قوات شعبية اخرى تخترق حرمـــة قصر الرئاسة . واحتل الثوار المقر العام لهيئة الأركان المشتركة الفيتنامية الجنوبية ، ودمروا محطة راديو سايغون تدميراً تاماً . وتشبّث الفيتكونغ بالمقر العام للبحرية الفيتنامية الجنوبية وألحقوا به أضراراً هائلة ، كما تعرضت مستودعات المعتمدية ، ومستودعات العتاد والذخائر الى الدمار (انظر خريطة النقاط الحساسة في سايغون) . وهوجمت المصلحة الرئيسية للشرطة ، ومخافر الشرطة المتعددة التي تفكك تنظيمها بصورة كاملة . وحدث الشيء ذاته في هوي التي رفرف علم الفيتكونغ فوق قلعتها منذ الساعات الاولى للقتال . وقطعت كل مواصلات المدينة واتصالاتها مـــع الخارج . وهاجمت القوات الثورية مراكز القيادات الرئيسية والمراكز الادارية واحتلتها (انظر خريطة النقاط الحساسة في هوي) . وتحرر من جراء هذا الهجوم اكثر من ٢٠٠٠ أسير ، وانضم آلاف الشباب الى القوات الشعبية . ودمر عدد كبير من المخافر الواقعة في المرتفعات المجاورة التي تدافع عن المدينة ، وصدت كل الهجمات المعاكسة ، ووضعت الفرقة الاولى الفيتنامية الجنوبية عملياً خارج القتال . وعلى حين كانت المعركة في أوج ضرامها ، بدأ نشاط سياسي هائل في العاصمة الملكية القديمة ، إذ ظهر للوجود منظمة « **تحالف القوات من اجل الاستقلال والديموقراطية والسلام** » ، وفي ١٤ فبراير (شباط) تألف ، بتحريض منها « لجنة شعبية ثورية » أخذت

---

(١) كان هناك مبدئياً ، كتيبة محلية لكل مدينة هوجمت (فيما عدا سايغون وهوي) .

تمارس وظيفة سلطة ثورية مؤقتة ، وتضم في عدادها بصورة خاصة ممثلين عن المثقفين (الانتلجنسيا) .

وبفضل العمل المشترك للمواطنين والقوات المسلحة ، تمكن الفيتكونغ من الإشراف بسرعة على المقرات الشعبية لهوي ، حيث تشكلت لجان التسيير - الذاتي ووحدات الدفـــاع - الذاتي . وكانت المفاجأة تامة وشاملة للقيادة الامريكية والفيتنامية الجنوبية ، خلال عدة أيام ، فلم تستطع القيام بأية عملية تتضمن رداً فعالاً .

ذيول هجوم عيد رأس السنة :

وفي ١٠ فبراير (شباط) ١٩٦٨ ، وجه جياب أمراً يوميـــاً لقطعات الفيتكونغ قال فيه : « ان العدو يتلقى الآن ضربة أفقدته صوابه . وجهوا ضربات كبرى في الأماكن الحساسة . ولا تدعوه يتمالك زمام نفسه ليستعيد قواه ... ان خططنا تتحقق بصورة كاملة ، في الميدانين العسكري والسياسي ، في كل اتساعها الاستراتيجي ، وفي كل هدف من أهدافها المرسومة .. ففي بضعة أيام ، دمرت الجبهة في انتصار رائع أسطورة عدم إمكان التعرض للقوات الامريكية وإلحاق الاضرار بها . وحطمت الجبهة أداتها السياسية وهي : ادارة العملاء الخائنين المترددين » .

فهل يمكن القول ان الهجوم العام في عيد رأس السنة يلبي مطامح جياب السياسية ؟ والجواب على ذلك ، كلا بدون شك ، نظراً لأن هذا الهجوم لم يؤد الى القضاء الكامل على القطعات الجنوبية أو الى العصيان العـام . وهو لم يشكل إلا مرحلة هـامة وجديدة في تطور استراتيجية القائد العام الجديدة . لقد أحبط كل منهاج إخماد الفتنة الذي وضعه الامريكيون ، ودفـع للحرب طبقات واسعة من أبناء المدن ، وزاد من حدة سيطرة الفيتكونغ على السكان ،

ونمى كفاحاً جديداً ضد الامريكانية [1] ، ودفع الامريكيين في طريق بعيدة عن الشعبية الى حد كبير : وهي طريق الرد الأعمى بغارات جوية ضخمة يقوم بها الطيران والمدفعية ضد المدن التي تسلل العدو اليها . والحقيقة ان الامريكيين قاموا برد فعل أهوج ناجم عن البلبلة والاضطراب ، فنجم عن ذلك مذبحة رهيبة وكان القتلى يعدون بعشرات الآلاف ، وتجاوز عدد المشردين مئات الألوف [2] ، وعم القلق والغضب معسكرات اللاجئين . ومن هوي الى سايغون ، وفي كل مكان قام المشردون بحملة ثقافية مضادة للامريكيين وشريكهم في فيتنام الجنوبية . ومن قبل كان العصيان البوذي الذي تم في ربيع عام ١٩٦٦ قد عبر تعبيراً كاملاً عن مشاعر شعب كامل ناضج كل النضوج يبغي تقويض نظام مكروه . فقبل أقل من عامين من العصيان العام الذي تم في عيد الميلاد ، كانت أكثرية السكان في هوي ودانانغ تتظاهر في الشوارع وهي تصرخ : « فلتسقط ديكتاتورية تيو – كاي ، فليسقط الامريكيون » ، ولم يفعل الزمن سوى تأجيج هذه المشاعر التي بلغت ذروتها في بعض مناطق الدلتا .

هنا ايضاً ، قامت تنظيمات سياسية جديدة – جبهة الأحلاف الديموقراطية والسلام – في ظل الحكومة المؤقتة المدعوة لخلافة الحكومة الاوتوقراطية الفيتنامية الجنوبية . وقد تحطم كل الجهاز الجنوبي . وصُفّيت إدارة

---

(١) في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٦٨ صرح المدير السابق للمساعدة الامريكية في فيتنام بأن بقاء الولايات المتحدة فوق ارض فيتنام يدفع الى أحضان الفيتكونغ عدداً أكبر من العدد الذي يقتله الجيش الامريكي ، « وان عدد الفيتناميين المتعاطفين مع الفيتكونغ رغم حيادهم يتزايد باستمرار . ويساهم في ذلك كله العرق والدين وكراهية الاجنبي المستعمر ».

(٢) بعد شن الهجوم بشهر واحد، أي في ٢ مارس (اذار) ، أظهرت البيانات الامريكية ان هناك ٤٠٫٠٠٠ قتيلا بين صفوف الفيتكونغ، وأعلنت جبهة الفيتكونغ ، من جهتها اصابة ٨٠٫٠٠٠ جندي (حكومي وامريكي وكوري) بين قتيل وجريح وأسير . وتبعاً لرأي حكومة فيتنام الجنوبية، كان هناك ٨٫٤٠٠ مدني قتيل، و٢٣٫٠٠٠ جريح، و٧٠٠٫٠٠٠ لاجىء، و١٢٥٫٠٠٠ منزل مدمر .

المقاطعات وقضي عليها . كما تهدمت النواة المركزية للحكم في سايغون . ونهبت المصنفات والمحفوظات ، ودمرت أجهزة الارسال اللاسلكية وحرقت مراكز الاستعلام ، وخربت طرق المواصلات . وأصبح المحور الكبير ماي تهو ، فينه لونغ ، كان تهو ، سوك ترانغ ، باك ليو ، الذي يشكل العمود الفقري الحقيقي للمواصلات غير صالح للاستخدام . وكان لشل الدلتا آثار اقتصادية هامة : إذ أن محصول الارز الذي تم جمعه في فبراير (شباط) لم يصل الى سايغون . فقد نظم ثوار الفيتكونغ عملية الحصاد كما يشاؤون وأخذت مئات من مراكب (السامبان) كل يوم تنقل التموين والأسلحة والذخائر الضرورية للقطعات الموجودة في المعركة عبر الانهار والأقنية العديدة التي تخترق الدلتا في كل مكان .

وقد حقق جياب على المستوى العسكري ، انتصارات مؤكدة . فقد نجح في تجميع قوات هائلة حول المدن الكبرى ، والقواعد الكبيرة ، في منتهى السرية بأعداد لم يسبق له أن جمعها ، وبأسلحة لم يعرف أثقل من عياراتها . وقد ضمن لنفسه المبادأة في العمليات ، وبرهن أن في وسع أفواجه ان تتمركز في المدن اكثر من اسبوع واحد . وقد أضعف الترتيب العسكري الامريكي وقطعه عن مؤخراته ، واضطره الى اجراء إعادة تنظيم شاملة . ووقف ثلث جيش الغزو يواجه في جبهة الشمال ستة فرق فيتنامية شمالية متمركزة في مقاطعات هوي و كوانغ تري[1]. وتزايدت حدة الضغط الفيتنامي الشمالي ضد خيه سانه بالرغم من سقوط « القفل الغربي »[2] للانغ في ٩ فبراير (شباط)

---

(١) فرقة في المناطق المجاورة لكوانغ تري وثلاث فرق في منطقة خيه سانه، وفرقة بين الطريق الوطني ٩ وخط العرض ١٧ وأكثر من فرقة على مقربة من هوي .

(٢) في هذه الفترة كان ٥٨٠٠ من رماة البحرية الامريكيين، و ٨٠٠ من الفيتناميين الجنوبيين التابعين للقطعات الخاصة للقتال ضد العصابات في الغابات مطوقين بصورة دائمة ، بالخنادق والأبراج، والمنشآت الواقعة تحت الارض، والتي أقامها الفيتناميون الشماليون.

١٩٦٨ . وعلى النجود العالية ، استمر عمل ثوار الفيتكونغ دون بطء . فهم يشرفون على جزء من مدينتي كونتوم وبليكو . ويستهدفون تثبيت الفرق التي قد تميل القيادة الامريكية الى نقلها الى مسارح عمليات أخرى . وفي الدلتا ، مارس الثوار الفيتكونغ تهديداً عسكرياً دائماً: وكان هناك حوالي ٢٠٫٠٠٠ جندي [1] ، يقفون على مسافة أقل من مسيرة يوم واحد من سايغون ويعملون على إبقاء الفوضى التي نشأت أثناء الهجوم على المدن في ٣١ يناير (كانون ثاني) ، ويخضعون العاصمة لعمليات ازعاج مستمرة تضطر الامريكيين الى تعزيز قواتهم . فلكي يتجنب الامريكيون ذلك ، كان عليهم إقامة جيش مؤلف من ٢٠٠٫٠٠٠ جندي يتمركزون في سايغون وضواحيها ، أي ما يعادل ست فرق طبقاً لتقديرات الخبراء العسكريين الامريكيين. ولكن هذا عمل بالغ الصعوبة ، وضع القيادة الامريكية في موقف لا تحسد عليه. ولم يستطع البيت الابيض ، وهو على أبواب الحملة الانتخابية الرئاسية أن يلبي الطلبات المتزايدة في القوات . كما ان ضغط الرأي العام كان يمنعه من قبول أي تصعيد عسكري جديد . ولم يبق أمامه في هذه الحالة سوى سبيل واحد : هو سبيل المفاوضات .

وكان التمهل في المعارك في ذلك الوقت تمهيداً لمنعطف من منعطفات الحرب. ففي الاسبوعين الأولين من اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٨ ، انسحبت سبع فرق من فرق الفيتكونغ وفيتنام الشمالية من فيتنام الجنوبية باتجاه كامبودجيا ولاووس وفيتنام الشمالية . ومع ذلك فإن جبهة التحرير لم تبق سلبية . فقد شددت قبضتها واشرافها على الاقتصاد ، وسيطرت على الجماهير ، وأقامت اللجان المنتخبة ووسعت أعمال التماس والجس حتى سايغون التي حاصرتها في نهاية ١٩٦٨ بثمانين فوجاً . وزادت بهذا الشكل حدة نشاطات العصابات في النجود العالية ، وباتجاه قاعدة دانانغ التي كان الثوار يوجهون ضدها في فبراير

---

(١) عناصر من الفرقتين ٥ و ٩ فيتكونغ ، ومن الفرقة الفيتنامية الشمالية الرابعة .

(شباط) ١٩٦٩ تهديداً كبيراً[١] . وفي الفترة ذاتها كانت أربع فرق فيتنامية شمالية سحبت في الماضي ، الى شمال فيتنام في نهاية عام ١٩٦٨ ، تتقدم الى الجنوب . وقد تجزأت الى وحدات صغيرة قادرة على القيام بمهات الازعاج والقضم .

وبهذا الشكل قدمت قوات الفيتكونغ للرأي العام الامريكي ولإدارة الرئيس نيكسون الجديدة الدليل القاطع والبرهان الأكيد على انها ستبقى دوماً في موقع القوة . ولكن كيف توصل الامريكيون وراء المحيط الاطلسي الى فهم هذه الحقيقة بعد سنوات من القتال المرير ؟

---

(١) فرقة وثلاثة أفواج مستقلة من الفيتكونغ ـ أي حوالي ٠٠٠ر٢٠ جندي.



القسم الثالث

الحرب من الجانب الأمريكي

الفصل السابع

الاستراتيجيّة الاميركيّة العامة

العمل الحكومي

المبادىء العامة :

لا تقتصر مشكلة الحرب الفيتنامية من الجانب الامريكي على قضـايا تنظيم القوات المسلحة وجمعها واستخدامها . كما لا تتضمن دراسة هذه المشكلة مجرد مناقشة مسائل تقنية وتكتيكية واستراتيجية بحتة . ذلك لأن الدولة لا تقاتل هنا بالمدافع والدبابات والطائرات وحدها ، بل تدخل في حسابها وسائل اخرى تتعلق بالقوى الحية في الأمة ، معتمدة على معطيات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية ونفسية متعددة .

ويواجه العمل الحكومي هذه المعطيات من وجهة نظر حربية ، ثم يسعى الى توحيدها ليصنع منهـا كلاً متماسكاً واحداً . ويحدد هذا العمل الهدف ويقيّم الموارد ويوزعها ، ويصنع تسلسل الاحتياجات وأفضلياتها ، ويسعى الى تلبيتها . ويحرك الرأي العام ، ويتوغل في المجال المالي .. ويعمل ممثلو مختلف

الاختصاصات « كجماعة » منسجمة واحـــدة ، ويقودون الصراع متضامنين متكافلين . وتعمل السلطة المدنية بالتعاون مع مستشاريها العسكريين من رؤساء الأركان على تحديد العلاقـات بين الادارة السياسية والجيوش المقاتلة . وتحقق القيادة العسكرية هذه الصلة استناداً الى توجيهات وزارة الدفـــاع . ومن المعروف ان المسائل العسكرية الكبرى عبارة عن مسائل تهم السلطة المدنية وتتمتع بطابع مدني ذي أهمية تعادل على الأقل أهمية الطابع العسكري البحت. وتدرس هذه المسائل بصورة مشتركة وبكل عمق من قبل عدد من اللجان والفنيين والاختصاصيين والخبراء العاملين مع كبار المسؤولين كرئيس الجمهورية ووزير الدفاع ، بغية وضع « سياسة الدفاع » وتطبيقها .

وتتجاوز هذه السياسة كل الاستراتيجيات المدنية والعسكرية وتقودهـا وتوحدها في ظل السلطة التنفيذية العليـــا التي تحرك كل نشاطات الدولة . ويخضع رئيس الجمهورية لتوجيهات الكونغرس غير المباشرة و « رقابة » مجلس الشيوخ . وهـــو ملزم باستشارة الكونغرس حول التدابير الأساسية لسياسته العسكرية . ويلعب مجلس الشيوخ دوراً أساسياً في حـــل القضايا القومية الكبرى ، ومن مهماته التصديق على قرار الرئيس في مجال السياسة العسكرية . غير أن أفكاره السياسية لا تؤثر على تحديد النفقات العسكرية ، ولا يعلق الشيوخ المناوئون للحرب الفيتنامية [١] بشيء على موازنات الدفاع . وعندما يعارض مجلس الشيوخ أو الكونغرس التدابير العسكرية الضرورية يقـــوم الرئيس — الذي يشغل منصب رئيس الدولة ، ورئيس الحكومة ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة — بمشاورات وضغوط ذكيـــة مستمرة كيلا يعارض النواب تدابير الحكومة . وهكذا تخرج من مكتب رئيس الجمهورية في البيت الأبيض نبضات سلطة لا تزال تكبر وتتسع مع اتساع الحرب الفيتنامية .

---

(١) يبلغ عدد الشيوخ المناوئين للحرب ٢٠ .

الرئيس ليندون جونسون والرئيس ريتشارد نيكسون

عندما أخذت بوادر الحرب الفيتنامية شكلها الواضح كان ليندون جونسون في طريقه الى تولي أعلى منصب في الولايات المتحدة الامريكية . ومنذ ذلك الوقت وقف الرئيس الامريكي بقامة المزارع التكساسي الضخمة ليشرف على النزاع الامريكي – الفيتنامي وعلى المسرح الدولي كله . لقد بدأ جونسون حياته السياسية بصورة عادية ، وسار على الطريق التقليدي الذي يسير عليه كبار السياسيين في بلده . إذ انتُخب في عام ١٩٣٧ في مجلس المندوبين ، ثم غدا نائباً عن التكساس في عام ١٩٤٨ . وبعد خمس سنوات أصبح زعيماً للأكثرية الديموقراطية . وفي نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٠ تسنّم منصب نائب رئيس الجمهورية الشاب جون كينيدي . ثم وصل الى منصب الرئاسة بعد مأساة دالاس في ٢٢ نوفمبر والتي راح ضحيتها الرئيس جون كينيدي .

لقد كان الرئيس كينيدي مخلصاً في البحث عن السلام ، وكان يحرك الجماهير ويتعاطف معها في العالم كله . ولقد أرسل الى فيتنام مستشارين وطيارين وخبراء عسكريين متبعاً المثل الذي ضربه سلفه الجنرال ايزنهاور [١] . وبلغ عدد الامريكيين في فيتنام حتى تاريخ وفاته ٢٠٫٠٠٠ رجل . ولكن تعليماته لهذه القوات كانت تنص على عدم استخدامها في القطعات المقاتلة في أي حال من الأحول .

ولما وصل جونسون الى السلطة زج بنفوذه الشخصي والقوة الكاملة لبلاده في المأساة الفيتنامية التي غدت بعد ذلك الكابوس الذي يؤرقه ، وأغرقته في دوامة عنيفة ساحقة . ولقد حصل جونسون على تأييد ايزنهاور العجوز ودعم منافسه على رئاسة الجمهورية باري غولدووتر نظراً لبراعته في المناورة

---

(١) أرسلت القطعات الامريكية الاولى الى سايغون في ظل حكم ايزنهاور . وفي الفترة ذاتها طرد الفرنسيون من الهند الصينية: وقد رفضت الادارة الجمهورية مساعدتهم.

السياسية . ويتصف جونسون بتناقضاته الذاتيـة ، حتى شبهه البعض بمنظار متعدد الألوان . وقارنه الكثيرون مع جانوس بوجهه المزدوج ، ويشجع أحد الوجهين مارس إله الحرب على حين يبتسم الوجه الآخر لغصن الزيتون . ولقد عمل الرئيس جاهداً على منع أي صدام مباشر جبهي بين « الحمام » و «الصقور» من الامريكيين . وكان يعرف كيف يتحول : الى حمامة سلام أمام « الحمام » وكيف ينقلب الى « صقر » وسط الصقور داخل بلاده أو أمـــام الهيئات الدولية . ولقد اتخذت هذه الصورة كل معناها ودلالاتها في أواخر ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ عندمـا اجتمع مع البابا ، الذي كان يحتج على غارات الطيران الامريكي وما تحمله من دمار، وبدأ محادثاته فيهذا الصدد ، مع انه كان قـــد اجتمع بالعسكريين في القواعد التايلاندية وطالبهم بزيادة القصف وتصعيد العنف .

ويملك الرئيس من الحدس والتخمين بالأوضاع والاحساس بتطوراتهـــا وجريانها ، ويصل عنده هذا الحس الى أعلى درجة من النمو ، ويملك ايضاً فن المداهنة والتملق بأحاديثه وآرائه الماهرة الذكية . وهو يعرف كيف يصغي بكل هدوء للخبراء والاختصاصيين، وكيف يصانع مستمعيه في البيت الابيض أو على شاشة التلفزيون . ومع ذلك ، فإننا نراه ينقضّ أحياناً على فريسته كما تنقض الطيور الجارحة على فريستها ، وعندئذ يحطم في طريقه كل الحواجز . ولكن موجات غضبه لا تستمر إلا استمرار البرق ووميضه .

ان جونسون يعرف كيف يتحكم بنفسه ، إذا ما احتد وثار غاضباً ، وتمزج السلطة بالنسبة اليه بين الجمال والقوة ، والاقناع والتصميم . وعندما تفاقمت الصعوبات ، في الايام الاولى من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ بين « المدنيين » و « العسكريين » وبخاصة بين ماكنمارا ورؤساء الاركان الامريكيين ، لم يتردد أبداً عن فرض سلطته ، وتذكير الجميع بأنـــه يمثل في نهاية المطاف « القائد الوحيد على متن المركب » .

ولكن الولايات المتحدة الامريكية دولة بعيدة عن الاوتوقراطية . ويحدد الدستور تبديل الرئيس كل أربع سنوات ، ولا يمكن تجديد رئاسته إلا مرة واحدة . كما ان الحرب، تفسد السلطة ، وتزعزع ثقة الأمة بالحزب الديموقراطي. وقد بذل همفري مرشح الحزب الى البيت الابيض ، ونائب الرئيس جهوداً كثيرة بلا جدوى طيلة المعركة الانتخابية لعام ١٩٦٨ . ووعد بايقاف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية ، ولم يتردد في التخلي عن الرئيس جونسون وعن التضامن معه في سياساته. واستطاع خصمه السياسي ريتشارد نيكسون الإفادة من كل آثار هذا الوضع ونتائجه ، وسار بسرعة في حلبة التنافس على الرئاسة .

فمن يستطيع ان يشك بابن البقال هذا ، الذي غدا في عام ١٩٥٠ واحداً من أصغر نواب الولايات المتحدة الاميركية ، وكان عمره آنئذ ٣٧ عاماً ثم أصبح بعد سنتين فقط نائباً للرئيس الجنرال ايزنهاور . وكان في ذلك الحين يسافر كثيراً ، ويأخذ بيده مقاليد الدولة عندما يمرض الرئيس . وفي عام ١٩٦٠ ، كان نيكسون مرشح الحزب الجمهوري الى مقعد الرئاسة ، وخاض ضد جون كينيدي كفاحاً مريراً ، وخرج من هذه المعركة مهزوماً بحوالي ١٠٠ر٠٠٠ صوت .

وفي عام ١٩٦٤ ، بعد الحظ العاثر الذي لاقاه غولد ووتر ، قادته بصيرته الى ان يعطي نفسه جسماً وروحاً لحزبه . وعينه المؤتمر العام للحزب في يوليو (تموز) ١٩٦٨ ، فقاد معركة الانتخابات مستثمراً كل الفرص للوصول الى السلطة . وقد عرف كيف يستخلص الدرس من الهزائم السابقة التي لحقت به ، كما عرف كيف يهدىء الافكار ويفهم الجميع ، ويتطابق مع شخصية المواطن الامريكي العادي. وعاد الى نظرية حق تقرير المصير الذاتي في المشكلة الفيتنامية ، وألح على فكرة « عدم أمركة » الحرب ، والتفتيش عن « سلم مشرف » يسمح بسحب القوات الامريكية . ولقد قال بهذا الصدد ما يلي : « سنضع حداً لهذه

الحرب ، ونبذل كل امكاناتنا لكي لا يكون هناك حرب اخرى ». وحتى لو توصل نيكسون بهـذا الشكل الى تحقيق امنيات الشعب الامريكي ، فإن مسؤولياته مهما كانت ثقيلة لا يمكن أن تقارن بمسؤوليات الرئيس جونسون . فقد تحمل جونسون هذه المسؤوليات بكاملها لمدة طويلة مع ماكنمارا وزير دفاعه .

وزراء الدفاع : ماكنمارا ، كلارك كليفورد وملفين ليرد :

لقد ترك ماكنمارا بصماته الواضحة على جميع تطورات المأساة الفيتنامية ، بمحاسنها ومساوئهـا . فقد كان المستشار السابق للرئيس كينيدي ، وأدار وزارة الدفاع من عام ١٩٦١ حتى نهاية عام ١٩٦٧ ، وفرض على هذه الوزارة سلطة لا سابقة لهـا . ووضع بهذا الشكل اسمه كشريك في تطور الفكر الاستراتيجي الامريكي .

كان هذا الرجل ذو القامة المشوقة ، والبنية القوية ، والشخصية الخشنة ، والحيوية الهائلة ، والنظرة الثاقبة التي تحس بهـا خلف نظارات ذات اطار ذهبي في حوالي الثلاثين عندما قبل مثل هذه المهمة الثقيلة . وقد كان في بادىء الأمر استاذاً للفلسفة في جامعة هارفارد قبل أن يترأس مصير مشروع فورد الضخم . فجعله هذا شخصاً مفتوح الذهن لكل شيء ، وطور ساحة معارفه على مستوى العـالم ، ونمّى إحساسه بالمسؤوليات ، وحسّن فاعلية عمله ومعلوماته الاقتصادية والعملية .

وقد تبدى ماكنمارا بسرعة هائلة ، في ساعة الأزمـة وفي قلب الزمرة الحاكمة ، « الدماغ الوحيد الكبير ، والشخصية الوحيدة العالية المستوى » . وراح يجمع الخبراء من أفضل الجامعات ، وضرب لهم من شخصه أفضل المثل . فقد كان يعمل بلا كلل ولا ملـل ، ثلاثة عشر ساعة في اليوم ، وستة أيام في الاسبوع ، منكباً على التحاليل والاحصاءات ، يساعده في ذلـك معاونوه من

الخبراء أو خبراء الاحصاء والرياضيات . وهكذا كان ماكنمارا يتحكم بادارة تسيير تنظيم ضخم ، وتوجيه جهاز الدفاع ، وإدارة الحرب في فيتنام . وكان كثير الترحـال والسفر ، وينفذ خلال رحلاته جولات متعددة في الدراسة والتفتيش . ومـع مرور السنين ، تساءل ماكنمارا عن جدوى الاستراتيجية المطبقة . فلكي يوقف التصعيد ، والتسللات الفيتنامية الشمالية الـتي كان التصعيد يجد فيها مبرره الوحيد ، اقترح اعتباراً من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ ، بناء الخط المحصن ، الذي سمي باسم « خط ماكنمارا » قرب خـط العرض ١٧ على ٩٠ كم طولاً ، وعشرة كيلومترات عمقـاً . وكانت مهمة هذا الخط المليء بالأبراج المحصنة ، والاسلاك الشائكة ، والألغـام ، والآلات الاليكترونية إغلاق الحدود بين شمال فيتنام وجنوبها. ومما لا شك فيه أن ماكنمارا قد وزن كل الصعوبات بدقة ، فقد كانت سابقة « خط موريس » غير مشجعة ابداً : إذ عبره « فلاحو جبهة التحرير الجزائرية » من تونس الى الجزائر . غير ان امريكا تملك الاموال اللازمة ، والأسلحة وأدوات الكشف والانذار التي تفوق أدوات وأسلحة الجيش الفرنسي . ولهذا حاولت امريكا تطبيق هذه التجربة التي تقدر تكاليفها بعشرات المليارات من الدولارات في محاولة جادة للتقليل من الخسائر ، ولزيادة احتمالات النجاح .

وفي هذا الاتجاه قررت امريكا أيضاً في يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ تخصيص ميزانيـة إضافية تبلغ ٧٥٠ مليون دولار ، لتمديد خط ماكنمارا داخل اراضي لاووس . وكان أساس هذا الحاجز الذي يشكل ما يشبه السد مشكلاً من ألغام يمكن القاؤها بالمظلات ، وسلسلة من الرادارات تكشف أقـل حركة من حركات الرجال . وتلتقط الاشارات التي ترسلها هذه الآلات الاليكترونية بواسطة أجهزة تحلق باستمرار فوق منطقة الحاجز . وتنذر هذه الاجهزة عند تلقي الاشارات قيادات سايغون أو تايلاند عن الحركات المرصودة ، فتتحرك القاذفات الامريكية للقيام بقصف الأماكن المشبوهة .

واصطدم انشاء خط ماكنارا وامتداده في لاووس بصعوبات جدية أهمها : هجمات ثوار الفيتكونغ المستمرة ، وضغط المـــد البشري ، وعمليات القصف الفيتنامية الشمالية ، الأمر الذي أعاق سير الانشاء الى حد كبير . وفي مجالات أخرى رأى ماكنارا أيضاً حساباته وقد أحبطها الفيتناميون : فقد كانت التهدئة في الجنوب لا تحقق أي تقدم . وفي الشمال كان تصاعد الغارات الجوية لا يحقق النتائج المنتظرة . وأخفق التكتيك الجديد المضاد – للثوار ، الذي نفذته وحدات محمولة بالطائرات العمودية كفرقة فرسان الجو الاولى في تحقيق النتائج المطلوبة . وكان ماكنارا ، بالاضافة الى هذا ، قد قدر عدم جدوى عمليـات تصعيد جديدة ، كما توقع خطورتهـــا . وكان من الضروري ان يحسم النزاع حسب رأيه في الجنوب لا في الشمال . كما ان توسع النزاع يحمل في داخـله خطر المجابهة الذريـة . وقد أضاف ماكنارا الى هذه الآراء الخاصة مشكلة الأزمة الأخلاقية : فقد كان ضميره القلق يطالب بهدنة طويلة في الغارات الجوية .

وفي مجلس الشيوخ ، في ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٦٧ ، وجه ضربة إيقاف للهجوم الذي شنته مجموعة « الصقور »[١] . وكان الجنرالات يشتكون من تقييد أيديهـم بمنعهم من تدمير أهداف استراتيجية أساسية ، كمرافىء هايفونغ وهونغي وكامفا . وقد رد ماكنارا على ذلك قائلاً : « ان القضاء عليها كمصدر من مصادر التموين لا يمنع عمليات الاستيراد عن طريق البحر لأن الشواطىء تحل محل المرافىء » . في ذلك الوقت عاش الجنرالات ساعات عصيبة . وكان سخط صامت يحرق نفوسهم منذ وقت طويل ، فقد اكتشفوا الشك، وعرفوا

---

(١) لقد اقترح الجنرال ايرل هويلر ، رئيس هيئة أركان الجيش المشتركة والاميرال اوليس شارب القائد العام للقوات الاميركيـة في المحيط الهادىء والاميرال مورر ، رئيس هيئة العمليات البحرية، والجنرال جون ماك كونيل رئيس هيئة أركان القوات الجوية، زيادة حـــدة الغارات الجوية نظراً لأن العدو« ينزف دماً » ولا بد من ضربه بلا شفقة أو رحمة. وذلك أمام لجنةمجلس الشيوخ التي تألفت لمعرفة حالة استعداد القوات المسلحة، التي يترأسهـــا السيناتور الديموقراطي جون ستينيس .

القلق ذاته مع انهم يعلمون تمام العلم انهم الأقوياء، ويملكون اكبر طاقة عسكرية في العالم . فغضبوا وثاروا ، وأحسوا بالمهانة عندما رأوا آمالهم التي خدعها تصميم « الذبابة » الفيتنامية وعنادها ، وتردد السلطة السياسية الامريكية . وكانوا يريدون التخلي أمام البلاد عن تحمل مسؤولية الحرب طالما كانت ساحة المبادأة محدودة لديهم . ومارسوا ضغطاً متعاظماً إزاء الكونغرس والبيت الابيض. ولم يتهمهم أحد بالتدخل في الحياة السياسية . فوجد ماكنمارا نفسه ، وهو يواجه عداءهم ، مضطراً في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ ، الى التخلي عن وزارة الدفاع . وأصبح رئيساً للبنك الدولي ، وغادر البنتاغون في ١ مارس (اذار) ١٩٦٨ .

وفي ١٩ يناير (كانون ثاني) عيّن كلارك كليفورد خلفاً لماكنمارا رسمياً[١] . وكان كليفورد محامياً يبلغ من العمر ٦١ عاماً ، وينتمي الى هذه المجموعة من الرجال التي تنتقل من الاعمال الى الادارة، وتلعب دوراً سياسياً في المقام الاول مع حفاظها على نشاطاتها الخاصة . فقد وضع في بادىء الأمر كل مواهبه في خدمة اكبر المشاريع الصناعية في البلاد : جنرال الكتريك وبون دونومور . وهو ديموقراطي ومستشار شخصي لثلاثة رؤساء يستمعون لنصائحه منذ عشرين عاماً . ويعرف كليفورد كل وسائل عمل وزارة الدفاع : ومن عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٤٩ ، كان يصوغ كل النصوص التشريعية التي تستهدف توحيد القوات المسلحة وتنظيم مختلف المصالح . وهو يهتم بالسياسة الخارجية . وليس جو الكونغرس غريباً عليه ، وله فيه أصدقاء عديدين ، ويهتم بمختلف

---

(١) استلم ملفين ر. ليرد في ٢٠ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٩، صديق نيكسون، منصب وزارة الدفاع كخلف لكلارك كليفورد بعد عام واحد. وهو سليل أسرة من سياسيي ولاية ويسكنسن وضابط من ضباط البحرية السابقين. ويملك ليرد قناعات سياسية غامضة ، ولكنه اختصاصي منذ اكثر من خمسة عشر عاماً في المسائل العسكرية، ضمن اطار المجموعة الجمهورية، ويملك معرفة عميقة بالمصالح التي يترأس ادارتها العليا .

متطلبات المشكلة الفيتنامية . وبعد قيامه بمهمة خاصة في فيتنـــام ، عارض « التوقف الطويل للغارات الجوية على الشمال في عـام ١٩٦٥ – ١٩٦٦ (٣٧ يوماً) ، لأنها « غير مجدية » ، وقبل كل التضحيات التي أحجم أمامها سلفه ووقف يحسب ثمنها كرجل اقتصادي .

الاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية

ثمن الحروب :

تؤكد الولايات المتحدة ، التي تملك ٥٠ ٪ من الثروة العالمية ، تفوقهـــا الساحق الذي لا جدال فيه . فاقتصادها ذو أبعاد عملاقة ، تفوق الخيال . وبالاضافة الى هذا المقياس الجبار لاقتصادها، هناك إيقاع تطورها الاقتصادي. فزيادة طاقتها الاقتصادية تساوي في كل عام اكثر ممـا يساويه نصف الطاقة الاقتصادية الفرنسية . وهذا ما يجعلها قوة رئيسية وأساسية لا تقارن بها أية قوة في العالم ويؤهلها لتحمل أعباء الحرب الفيتنامية التي تبتلع أموالاً ضخمة، كما يبرز ذلك جدول تطور الميزانيات العسكرية (راجع الجدول على الصفحة التالية).

وتمثل الميزانية العسكرية لعام ١٩٦٩ ، ٤٤ ٪ من الميزانية الاتحادية خلال السنة ذاتها . وتزيد ستة ملايين دولار عن كل الميزانية الاتحادية في زمن رئاسة ايزنهاور ، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف الميزانية الفرنسية العامة اليوم ، ومـا يعـــادل ميزانية الحرب العالمية الثانية أثناء اكثر السنين تكلفة بالنسبة لامريكا[١] . وتمتص الحرب الفيتنامية ٣٠ ٪ من هذه الميزانية العسكرية ،وهذا يعني مصروفاً قدره ٢٧ مليار دولار سنوياً ، أي ٧٤ مليون دولار يومياً ،

---

(١) ينبغي ان نعود الى العام الاخير من الحرب العالمية الثانية لنجد نفقات عسكرية مشابهة لهذه النفقات: فقد بلغت في ذلك الوقت ٨١٫٥ ملياراً من الدولارات.

التوزيـــع	سنة مالية (بمليارات الدولارات)				
	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
الجيش الامريكي	١٢ر٣	١٨ر٦	٢٢ر٥	٢٤ر٢	٢٦ر١
البحرية الامريكية	١٤ر٨	١٩ر٤	٢١ر٥	٢١ر١	٢٤ر٠
القوات الجوية الامريكية	١٩ر٤	٢٣ر٥	٢٤ر٧	٢٥ر١	٢٨ر٠
ميزانيات مشتركة	٠٤ر٤	٤ر٧	٤ر٧	٤ر٨	٤ر٣
المجموع العام	٥٠ر٩	٦٦ر٢	٧٣ر٤	٧٥ر٢	٨٢ر٤

وهذا اكثر مما كلفته الحرب الكورية من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٥٣ ، ويعادل اثنتي عشرة مرة ما كلفته الحرب الجزائرية لفرنسا في أسوأ لحظات هذه الحرب [١] .

النتائج الاقتصادية والاجتماعية للحرب

أ – في « آسيا الامريكية » والعالم الثالث :

لقد كان من نتائج هذه النفقات تدهور الوضع الاقتصادي في « آسيا الامريكية » ، وتعرضت الولايات المتحدة في هذا المجال الى ضغط متزايد إذ انها كانت مضطرة الى زيادة مساهمتها المالية في جنوب شرقي آسيا على حساب برنامجها العام للمساعدة الخارجية . واستفادت اليابان من حقن مستمر بالدولارات إذ تدفقت اليها مئات الملايين كل عام . وتلقت الفيليبين منذ الحرب اكثر من ملياري دولار من المساعدة الامريكية . وحصلت كوريا

---

(١) تكفي بعض المعطيات لفهم الأهمية الهائلة لهذه النفقات:

في مارس (اذار) ١٩٦٧ ، كانت ساعة من ساعات طيران الـ ب٥٢ تكلف ١٥٠٠ دولاراً، ويكلف اطلاق قنبلة ذات قدرة متوسطة ٣٥٠دولاراً، وتكليف دقيقة قتال جوي ٣٠٠٠ دولار من الذخيرة الجوية. ويكلف ثمن الطائرة من٢ الى ٢٠مليون دولار.

وفي مارس(اذار)١٩٦٧ كان مجموع الطلعات الجوية : ٥٠٠٠٠ طلعة جوية استهلكت ٨٠٠٠٠طن من القنابل والصواريخ و٢٠ مليار ليتر من المواد الكيماوية التي تسقط أوراق الأشجار، و ١٠٠٠٠٠طن من الذخائر ، و١٠ ملايين برميل بترول. وفي الفترة ذاتها ، كان وزن المتفجرات المستخدمة اكثر من ٩٠٪ من الوزن العام الذي قذف أثناء٣٧شهراً من الحرب الكورية. وتحملت فيتنام الشمالية من القنابل اكثر مما أصاب المانيا وحلفاءها في الحرب العالمية الثانية. كما ان شل لواء من ألوية الفيتكونغ بعد تحديد مكانه بصورة جيدة، كان يتطلب بصورة وسطية، في عام١٩٦٧ ، ٢٠٠طن من النابالم، و٢٠٠٠٠ طلقة مدفعية، و٢٠٠ طلعةجوية، و٣٠٠٠ طلعة هليكوبتر . وتبعاً لرأي اثنين من نواب مجلس الشيوخ هما : ريتشارد راسل وجوزيف كلارك « كان قتل مقاتل من مقاتلي الفيتكونغ في الجنوب يكلف ٣٥٠٠٠دولار».

الجنوبية على ما يقارب سبعة مليارات دولار في خلال خمسة عشر عامـاً . وعرفت تايلاند ، بفضل مساعدة امريكية هائلة ، رخاء مصطنعاً ساعد على إشاعة الفساد في البلاد : إذ كون التجـــار والمرابون ثروات كبيرة من وراء ظهر الفلاحين .

واقتطعت فيتنام الجنوبية حصة الأسد من هذه المساعدات. إذ استخدمت امريكا وسائل هائلة لتغذية شعبها ، وتوسيع اقتصادياتها ، وتخفيض تضخمها المتصاعد . وخلافاً للمساعدة العسكرية كانت امريكا تحقنها كل عـام بمئات الملايين من الدولارات كمساعدات مدنية [1] . ومع ذلـك لم تتوصل امريكا الى حل الصعوبات الرئيسية لفيتنام الجنوبية ، فقد بقيت الحياة الاقتصادية في تدهور مستمر . فقد كان انتـــاج الزراعة – التي تعتبر القطاع الأساسي للاقتصاد – يتناقص بصورة مستمرة [2] . ويهبط محصول الارز من عـام الى آخر بسبب هجر أراض عديدة في السهول الساحلية الصالحة لزراعة الارز من المناطق الشمالية . ففي سايغون هبط المحصول من ٤٥٠٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٥ الى ٣٢٠٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٦ ، والى ٢٧٠٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٧ ، و ١٩٥٫٠٠٠ طن في عـــام ١٩٦٨ . وبالتوازي مع هذا الهبوط ، زاد الاستيراد [3] ، وأحدث هذا الأمر تذمراً في بلد كان يصدر في الماضي اكثر من مليون طن من الارز في العام الواحد .

وزاد التضخم من حدة هذا التذمر . إذ زادت ميزانية فيتنام الجنوبية

---

(١) ١٥٠ مليون دولار في عام ١٩٦٥ ، و ٣٩٨ مليوناً في عام ١٩٦٦ ، و ٥٢٤ مليوناً في عام ١٩٦٧ ، و ٧٨٥ مليوناً في عام ١٩٦٨ .

(٢) بلغ هذا الهبوط ٤٫٧٪ في عام ١٩٦٥ ، و ٦٫٢٪ في عام ١٩٦٦ ، و ٨٫٩٪ في عام ١٩٦٧ ، و ٤٫٠٪ في عام ١٩٦٨ .

(٣) بلغ حجم الاستيراد ١٢٨٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٥ ، و ٤٠٠٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٦ و ٧٥٥٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٧ ، و ٩٠٠٫٠٠٠ طن في عام ١٩٦٨ .

من ٤٦ مليار قرش في عام ١٩٦٥ ، الى ٧٥ ملياراً في عام ١٩٦٧ ، والى ٨٩ ملياراً في عام ١٩٦٨ ، وهي السنة التي بلغ عجز الموازنة فيها ١٨ ملياراً . وزاد حجم النقد المتداول عن ٨٥ مليـاراً في عام ١٩٦٧ ، أي بزيادة قدرها ١٨٧ ٪ في خلال سنتين . كما ارتفعت الأسعار باضطراد حتى بلغ الارتفـاع ٢٥ ٪ بين ينـاير (كانون ثاني) ومايو (ايار) ١٩٦٧ ، وارتفع الى ما يقارب ٥٠ ٪ في نهاية العام . ونحن نعرف أن الحد الأقصى للزيادة هو ٣٠ ٪ فإذا ما زادت النسبة عن هذا الحد تعرض اقتصاد البلاد الى صعوبة كبرى في النهوض من جديد . ويسهل مثل هذا الانهيار مهمة تجار السوق السوداء ، والمنتفعين من الحرب . لذا يعيش أمثال هؤلاء في البحبوحة ، في حين يعاني الشعب من البؤس والفقر . ولكي ترفع وزارة الحرب الفيتنامية الجنوبية مستوى حيـاة الشعب قامت بوضع « برنامجهـا للثورة الاجتماعية » الذي تنادي فيه « باصلاح المجتمع وتحقيق الوصول الى الملكية على مراحـــل » . ولكن الحكومة لم تستطع أن تفي بالتزامات هذا المنهاج، في هذا الميدان، أو في الميادين الأخرى : فقد وزعت للفلاحين من الاراضي ما هو أقل بخمسة مرات مما وزعته جبهة الفيتكونغ [١] ، طبقاً لتقرير امريكي وضعته لجنة فرعية للاستعلام الحكومي عن المشاكل الاجنبية في ١٩ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ .

ب – في الولايات المتحدة :

ولا تشعر الولايات المتحدة حتى الآن بكل فداحة هذه الأعباء ، ولكنها ترى ان الحرب الفيتنامية تؤثر على فرصتها الخاصة للرفـــاه والتقدم . فقد اعترف الرئيس جونسون ، في يناير (كانون ثاني) ١٩٦٦ : « ان حرب فيتنام تمنعنا من تحقيق ما ينبغي وما نريد عمله » . وقد أكد السيناتور وليام فولبرايت

---

(١) من أصل ١٠٢٥٠٠٠ر١ هكتار من الارض التي حصلوا عليها من عام ١٩٥٤ الى نهاية ١٩٦٧ أعطى ٣٣٠٠٠٠ر فقط الى ١٢٨٠٠٠ر عائلة .

رئيس لجنة الشؤون الخارجية معقباً على هذه المخاوف مـا يلي : « لقد أصبح المجتمع الكبير مجتمعاً مريضاً لأنه يريد ان يخوض الحرب الفيتنامية وينفذ المنهاج الاجتماعي بآن واحد » .

وقادت حرب فيتنام الاقتصاد الامريكي الى حافـة « الحمى » . إذ زاد الانتاج العام للبلاد بمقدار يتجاوز ١٠ ٪ سنوياً . كما أن الزيادة في الطلبات العسكرية قللت الى حد كبير وجود بعض المواد الأولية . وتحتكر ميزانية الدفاع الاستخدام الكامل لليـد العاملة الاختصاصية ، معيقة بذلك الصناعة المدنية الأمر الذي يؤدي الى زيادة تكاليف الانتاج . وتضغط الزيادة السريعة في الطلبات العامة والخاصة على الاسعار ، وتسبب ارتفاعـاً غير اعتيادي في الاجور ، وتخلق بالتالي آلية التضخم .

ومن عام ١٩٦٠ الى عـام ١٩٦٤ ، لم يتجاوز ارتفاع الاسعار ١ر٢ ٪ سنوياً . إلا ان هذه النسبة زادت فيما بعد بصورة منتظمة : ٢ر٢ في عام ١٩٦٥ ، و ٧ر٢ في عام ١٩٦٦ ، و ٤ر٣ في عام ١٩٦٧ ، و ٥ر٤ في عام ١٩٦٨ . وقد ثبت البيت الأبيض في عـام ١٩٦٢ نسبة زيادة الاجور المتطابقة مع ثبات الأسعار كل عـام بـ ٢ر٣ ٪ . إلا ان الزيادة المتطرفة لهذه الاسعار سببت اضطرابات اجتماعية . ومنذ عام ١٩٦٦ ، نشبت الاضطرابات بين عمال البناء والاليكترونيات والخطوط الحديدية والسيارات والطيران المدني . وقد اضطر الطيران المدني ، بعد اطول اضراب تعرض له خلال العشرين عامـاً الماضية الى منح ٣٥٠٠٠ر ميكانيكي زيادة في الاجور تتراوح بين ٥ و ٨ ٪ . وحصل ٨٠٠٠٠ر من عمال أحواض السفن في الشاطىء الشرقي على زيادة في الاجور تعادل ٦ر٢ ٪ .

وفي عام ١٩٦٧ ، حصلت اضرابات فعّالة شملت كافة انحـاء البلاد ، ورافقت المفاوضات الجماعية بين الاتحادات . وحصل ٧٥٠٠٠ر عامل مضرب من عمال صناعة المطاط على زيادة قدرهـا ١٥ سنت في الساعة ، بالاضافة الى

جعالة اضافية قدرها ١٠ سنت لأحسن العمال من ناحية الكفاءة الفنية . وفي يوليو (تموز) امتد الاضراب العـــام لعمال السكك الحديدية من شاطىء المحيط الهادىء الى نيويورك . وطالبت النقابات الست التي تجمع ١٣٧٫٠٠٠ عامل ميكانيكي بزيادة قدرها ١٢ ٪ ، وقرر التحكيم الذي قام به البيت الابيض أن تكون الزيادة ٥ ٪ . كما أن الاضراب الهائل لمصانع فورد ، قد انتهى ايضاً الى زيادة في الاجور قدرها ٩١ سنت في الساعة ، مع ضمان حد أدنى من الاجر السنوي . وفي مايو (ايار) ١٩٦٨ طالب ١٦٤٫٠٠٠ عامل من عمال الهاتف بزيادة عامة في الاجور قدرها ٧ ٪ كالزيادة التي حصل عليها عمال فورد ، ثم عمال صناعة السيارات بكاملها . وانتزع عمـــال تنظيف الشوارع في نيويورك ، ومستخدمو شركة جنرال اليكتريك زيادة تفوق نسبة ٣٫٢ ٪ التي أوصى بها الرئيس جونسون .

وتقيم حرب فيتنام حواجز اخرى على طريق الرئيس الاميركي . فهي تبتلع كل الاموال المخصصة للمشاريع ، وتتطلب باستمرار إعادة النظر من جديد بالموازنات الموضوعة . وفي نهاية الدورة المالية لعام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، أي في منتصف عـــام ١٩٦٨ ، كان عجز الميزانية قد بلغ عتبة خطرة تعادل : ٣٥ ملياراً من الدولارات . ومنذ شهر أغسطس (آب) ١٩٦٧ ، كان الرئيس يعمل جاهداً لإيقاف الأزمة الخطرة . وكان يطالب بزيادة الضرائب على دخل الأفراد والمؤسسات بنسبة قدرها ١٠ ٪ . فاصطدم برفض الكونغرس الذي اقترح تخفيض النفقات . وقد صرح أمام الكونغرس في ٣٠ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ بمـــا يلي : « ليست النفقات النظامية للميزانية هي التي تتطلب زيادة الضرائب ، بل نفقات الحرب الفيتنامية » . وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٨ ، صوّت الكونغرس أخيراً لصالح ميزانية مالية إضافية نظراً لوعيه الكامل بجميع الآثار التي قد يسببها التضخم على سمعة الدولار وثباته ، والصعوبات التي قد تصطدم بها الولايات المتحدة الامريكية بسبب ضعف حركة اموالها في الخارج .

ومنذ عام ١٩٦٥ ، أدى الخلل في ميزان المدفوعات الى اضطراب الاسواق المالية الرئيسية ، كما أدى في بعض الاحيان الى ارتفـــاع سريع في معدلات الفائدة والى أزمة حقيقية زعزعت الثقة بالدولار ذاته . وكان عام ١٩٦٧ فاتحة آفاق محفوفة بالقلق إذ اقترب العجز الخارجي من ٤ مليارات من الدولارات ، وتجاوز خروج الدولارات ، في الربع الاخير من السنة ملياري دولار . وبالاضافة الى ذلك فإن المضاربة بالدولارات كانت تضخ ما يعادل ملياراً من الدولارات في صناديق فورت نوكس [١] .

ولإيقاف هذا النزيف المـــالي ، نقل الرئيس جهوده وضغوطه الى مراكز العجز في ميزان المدفوعات ، والى استثمارات المشروعات الامريكية في الخارج. وشجع في الوقت نفسه عمليات التصدير ، وأعلن التخلي عن التغطية الذهبية للدولار . واستعان للدفاع عن هذا الخط الجديد بتضامن شركائه في العالم الغربي. وفي ١٦ و ١٧ مارس (اذار) ١٩٦٨ ، قرر حكام البنوك المركزية ، المجتمعون في واشنطن وضع حد لعمليات مجمع الذهب وخلق سوق مزدوجة له . وأبرز هذا الاعتراف بالفشل المالي داخل الولايات المتحدة ، مدى انهيار الثقة بمتانة الدولار . ويمكن ان نقول بأن حرب فيتنام مسؤولة الى حـــد كبير عن هذه السياسة المالية المحفوفة بالمخاطر . وان التدابير المالية المتخذة تتداخل وتنعكس على المجال السياسي ، وتزيد من خطورة المعضلات التي يواجهها العالم المعاصر ، وتضع الولايات المتحدة على المستوى الدولي في وضع صعب متناقض كل التناقض مع مثلها ومبادئها .

الاستراتيجية النفسية والسياسية

عودة الى الماضي :

منذ عام ١٩٤١ ، وباسم العدالة والتقدم، أعلنت امريكا مع ميثاق الأطلسي

---

(١) المكان الذي يستعمله البنك المركزي الامريكي لخزن الذهب .

حق الشعوب في تقرير مصيرهـا بنفسها . وعبرت هذه الفكرة المحيطات ، وأيقظت في كل مكان الرغبة في الحرية . وقد كانت هذه الفكرة سبباً في تحطيم الاطارات القديمة ، وأثارت الانتلجنسيا وحركتهـا حتى وصلت الى مرحلة التعصب . وانتصرت هذه الفكرة على الفكرة القديمة المتمثلة في الاعتراف بالاستعمار ، وكشف نقاط ضعف الرجل الاوروبي .

وعندما تسلل « جرثوم » الامبريالية الاستعمارية الى الامريكيين ، لم يأخذ هؤلاء المستعمرون الجدد الدروس بعين الاعتبار ، بل تجاهلوا خصمهم وقللوا من أهميته الى درجة خطيرة . وكانت ثقتهم بقوتهم تدفعهم الى القناعة بقدرتهم على الانتصار خلال بضعة أشهر . ولم يقدروا ان من الضروري في مثـل هذا النوع من الصراع المبادرة الى خنق الأسباب التي أدت اليـه وكانت سبباً في اندلاعه . ووضعت الاهتمامات الاقتصادية والسياسية غشاوة على أعينهم ، فلم يفهموا أن قلب المعطيات التقليدية لحرب من الحروب لا يؤدي في أي حال من الأحوال الى الحصول عـلى النصر العسكري ... وهكذا كان استثمار البترول والمطاط والمعادن غير الحديدية واليد العـاملة الرخيصة والأسواق الواسعة حجة قوية انضمت الى الرغبة في إيقاف التغلغل الشيوعي في جنوب شرقي آسيا ، لتشكلا معـاً حافزاً هاماً دفع الامريكيين الى التورط في حروب لا نهاية لها .

الحملة الصليبية وأهوال الحرب

ولكي تبرر امريكا « حربهـا » قامت بحملة صليبية حقيقية ، أعادت الى الأذهان صورة التعصب الديني القديم . وباسم الغرب ، تحرك امريكا وتؤجج كل الأحقاد ، وتثير كل انفعالات الغضب ، في مجرى يتطابق ، في نظرها هي لوحدها ، مع « اتجاه التاريخ الوحيد » : وهو اتجاه النزاع بين الغرب والشيوعية .

وفي هذا النزاع الايديولوجي تقود امريكا كوريا الجنوبية وتايلاند والفيليبين وماليزيا وأوستراليا ، وزيلانده الجديدة ، واليابان وجميع الدول التي أفزعتها ديناميكية الصين الشيوعية التي تطمح منذ الآن لتصبح دليل آسيا وموجهها. وتقود امريكا هذا التحالف الغريب الرامي الى « سحق التشتيت الشيوعي في فيتنام » . وتغلق عينيها عن أصول هـــذا التشتيت الناجم عن : البؤس والجهل ، مع انه كان بوسعها استخدام ثرواتها الهائلة لتكافح ضد هذين المرضين بصورة فعالة . فكم مصنع ومدرسة ومعهد ومستشفى وجرار كان بوسعها أن توجد لو انها صرفت في سبيل ذلك جزء من ثمن القنابل المنصبة على فيتنام الشمالية ؟ ترى ألم يكن ذلك سبيلاً أفضل لتحمي نفسها من الشيوعية ؟ ولكنها فضلت اتخاذ الصراع ضد الشيوعية مبرراً يسمح لهابتغذية شعلة التعصب، ووقفت تقول بكل عنجهية : « تبن أفكاري وآمن بما اؤمن به ، وإلا فالموت نصيبك » ، وبهذا الشكل وضعت الشعب الفيتنامي أمام الاختيار الرهيب . فهي تريد أن تفرض عليـــه حقيقتها وسياستها ، متجاهلة حسب تعبير مدام دوستايل « ان الإلزام والاكراه في السياسة لا يؤديان الى أيـة نتيجة ، إذا لم تكن هـــذه النتيجة هي ضرورة الاكراه والاستمرار في فرضه ، واستمرار معركة لا نهاية لها » . وتؤكد التجربة في هذه المعركة غير المتكافئة ان تصعيد العنف يثير المرض ويعمق جذوره بدلاً من أن يشفيه . ان من الخطـأ محاولة إخضاع اولئـك الذين يكافحون من أجل استقلالهم وحريتهم بالقوة . فكيف ننسى ان التاريخ – تاريخ الوقائع وتاريخ الرجال – يعيد نفسه بلا انقطـاع رغم إنكار المنكرين . لقـد انتصر في الماضي ألف يوناني ، يحاربون من اجل حريتهم على مليون من الفرس . وليس هناك من جديد تحت الشمس : فما كان صحيحاً منذ ألفي عام ، مـــا زال صحيحاً حتى الآن . « فالحرية التي تضيء العالم » ستخلص الشعب الفيتنامي في يوم من الايام من كل قيوده .

ومنذ وقت قريب ، اضطرت هذه الحرية قلب امريكا المتصلب الى الخفقان من جديد، وجعلت المجتمع الامريكي فريسة لتناقضات رهيبة، وكشفت ان عدم

الواقعية يقتل العدالة والحرية ، ويجعل جهود امريكا في فيتنام عبارة عن عمل واهم بلا نتيجة لأنه يقتل حرية الانسان وديموقراطيته ، ويعتمد على دكتاتورية غاشمة تعيش على الاغتصاب والعنف ، ويحول قضية داخليـة الى حرب تحرر وطني . وتثير هذه الحرب مشاعر النقمة ، وهي تشكل فشلا مفجعاً للتاريخ الامريكي . فالقنبلة والنـــابالم لا يحققان أهدافهما العسكرية فقط ، ولكنهما يدمران القرى ، في عمليـة محو كاملة للجنس البشري ، ويحرقان النساء والأطفال . « ان شعوراً بالقلق والاشمئزاز يسيطران على العـالم أمام الحدة والوحشية المستمرتين للحرب . وانـه لما يمزق القلب ، أن يشاهد الانسان كثيراً من المدنيين الأبرياء وهم يلفظون أنفاسهم بـــلا سبب ... ان كراهية الحرب لا يماثلها شيء سوى عدم جدواها . فلن يكون هناك نصر أو هزيمة . ولن يكون هناك سوى الآ لام المتزايدة ، والتدمير ، والقتلى الذين يزداد عددهم باستمرار »[1] .

نتائج الحرب في الولايات المتحدة الامريكية

القلق والاضطراب :

يسود القلق والاضطراب الولايات المتحدة الامريكية بشكل واضح . وهما لا يتستران وراء أي قناع كما يحدث عادة في الدول التي تعيش حالة الحرب . وتفسر الصحافة النزاع بموضوعية هادئة . كما تنقل شاشة التلفزيون الى عشرات الملايين من المواطنين أعنف المشاعر وأكثرها إيلاماً[2] . وتغذي المظاهرات

---

(١) مستقى من خطاب ألقاه يوثانت، الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة أمام الجمعية العامة ، في ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٦٨ .

(٢) ومن هذه المشاهد، منظر مدير بوليس فيتنام الجنوبية، وهو يغتال ببرود أحد مناضلي الفيتكونغ ، ومشاهد قتال الالتحام في داك تو ، وكل ما تمثله من صراع دموي ، وتدمير مدينة بن تري (التي يبلغ عدد سكانها ٣٥,٠٠٠ نسمة) بطوفان هائل من النابالم « لانقاذ داك تو » .

البلبلة والتشويش كما تغذيها البيانات التي يطلقهـا كبار الشخصيات الجامعية والنقابية والدينية والسياسية . وتثير المشكلة العنصرية ومـا تمثله من حرب أهلية محلية ، الصراعات القومية بكل عنفها. ويبلبل النزاع الفيتنامي بهذا الشكل الرأي العام الامريكي الذي ضل في بحر من المعلومات المتناقضة أحياناً . ويمكن أن نقول بأن هذا النزاع يحمل الفوضى كما تحمل بوادر الغيمة الأعصار . وهو يفكك المعنويات ، ويحطم الثقة ، ويزرع الشك .

ومنذ بداية الحرب كانت الاحتجاجات والانذارات ترد من كل الجهات منتقدة ضلال الاستراتيجية الحكومية وانحرافاتها ، ومتهمة كل المبررات التي كانت سبباً في هـذه الحرب . وتبشر الانتلجنسيا [1] بالتسامح ، وتتمنى السلم ، وتعاني من الاحساس بالذنب. ويعبر أحد الناطقين باسم هذه الانتلجنسيا ، وهو المؤرخ آرثور شليزينجر ، عن هذا الشعور بوضوح قائلاً : « تصوروا رد فعلنا لو ان الصينيين أرسلوا ٤٠٠٫٠٠٠ جندي الى جنوب المكسيك ليسحقوا حركة نعتبرها عصياناً موالياً لامريكا ، وأنشأوا في المنطقة ذاتهـا عدة قواعد عسكرية قوية ، وأخذت الطائرات الصينية تقصف يومياً شمال المكسيك ، ووقف اسطول صيني كبير ليشرف على المياه في أعالي البحار بموازاة شواطىء المحيط الهادىء ، وأخذت بكين تفضح الولايات المتحدة وتتهمها بأنها تشكل اكبر تهديد للسلم في العالم ... ».

ولقد طالبت لجنة تمثل قطاعاً جامعياً واسعاً جداً في رسالة بعثت بهـا في يوم ٥ ابريل (نيسان) ١٩٦٥ ، الى الرئيس جونسون بمـا يلي : « لكي نعيد السلم ، أليس من الحكمة والعقل أن نأخذ مبادأة المفاوضات الآن ، طالمـا ان الوقت يسمح لنا بذلك ؟ ». « ان الحرب ، كالسرطان تلتهم كرامة وجودنا ،

---

(١) الأوساط المثقفة الليبرالية والراديكالية بصورة خاصة .

وتملأ جيلاً امريكياً كاملاً بالمرارة »[١] وتخلق لديـه « الشعور باليأس إزاء ما اعتدنا على تسميته غزو القلوب والأفكار »[٢] . « وليس في تاريخنـا القومي حرب تعارضت مع ضميرنا ومصلحتنا القومية مثل الحرب الفيتنامية . وليس هناك من حرب أساءت الى نفوذنا المعنوي في العالم بقدر مـا أساءت هذه الحرب »[٣] .

وأمام هذه الشرور القاسية ، طالبت الشخصيات الكبرى ، كما طالبت الصحافة الامريكية بإيقاف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية بشكل دائم . وبرهنت هذه المطالبة عن تشاؤم كبير فيما يتعلق بنتيجة هـذا النزاع . ومنذ مايو (ايار) ١٩٦٧ ، وقفت الجريدة اليومية الكبرى **النيويورك تايمس** الى جانب الفكرة القـائلة بإيقاف هذه الغارات دون قيد أو شرط ، وراحت تتمنى « تراجع التصعيد » كي يلتقي الفيتناميون الشماليون والامريكيون حول مائدة المفاوضات . كما ان **وول ستريت جورنال** الموالية بصورة عـامة لسياسة جونسون في فيتنام ، وجهت صيحة إنذار حقيقية ، قالت فيها : « لقد حـان الوقت للاعتراف بأن فيتنام أصبحت شراً لا دواء له »[٤]... « فعلى الشعب الامريكي ان يكون مستعداً ، إن لم يكن مستعداً حتى الآن ، لقبول الواقع التالي : وهو أن كل الجهود التي بذلت في فيتنام فشلت تمامـاً »[٥] ، ومما لا شك فيه « ان في وسع الولايات المتحدة ان تحول بلداً صغيراً الى رمـاد

---

(١) التصريح الذي أدلى به آرثر ميللر ، بتاريخ ٥ مارس (اذار) ١٩٦٨ .

(٢) صحيفة الغارديان ، ٢١ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٦ .

(٣) مستقى من الحديث الذي ألقاه الأسقف الزنجي مارتن لوثر كينغ ، الحائز على جائزة نوبل للسلام في شيكاغو ، ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ ، أمـام المؤتمر القومي لرسم سياسة جديدة ، في اجتماعه الأول .

(٤) ٢ مايو (ايار) ١٩٦٧ .

(٥) ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٦٨ .

وأن تقلبه الى مقبرة تجمع فيها العظام »[1] ، ولكن مثل العمل يعتبر « من الناحية السياسية عملاً محفوفاً بالأخطار ، ونكبة عامة حقيقية »[2] . وأعلن وولتر ليبمان المعلق السياسي المشهور «انهيار الاستراتيجية الامريكية في آسيا»[3]، واتهم هذه الاستراتيجية بعبارات قاسية عندما قال : « ليست مهمتنا القيام بدور الشرطي في آسيا، بل تحقيق تلاؤم الانسان مع المجتمع الحضاري الحديث.. ان الحرب في فيتنام عبارة عن تشتيت مخيف يحول امريكا عن المشكلات الحقيقية التي تواجهها »[4] . وفي اليوم نفسه صرح السيناتور ما كارثي ، المرشح للرئاسة بما يلي : « ليس هناك اي مبرر لمتابعة هذه الحرب » . وأضاف قائلاً : « ينبغي على الحكومة ان تعترف بأنها ضائعة »[5] . وكشف السيناتور روبرت كينيدي في تصريح أدلى به في ١١ فبراير (شباط) ١٩٦٨ ، في مطلع حملته لانتخابات الرئاسة : « لقد حان الوقت لنفهم بأننا عاجزون عن تحقيق الانتصار في فيتنام » . وهكذا فأن الفشل السياسي ، وعدم الفاعلية العسكرية كانا سبباً في زيادة حدة التيار السلمي الذي بدأ يجتاح اوساط رجال الأعمال ايضاً . ففي ١٢ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ ، أعلنت منظمة رجال الاعمال من اجل السلم في فيتنام ، عن انشاء لجنة دعم مؤلفة من جنرالات وأميرالات

---

(١) تصريح السيناتور فولبرايت، رئيس لجنة الشؤون الخارجية ، في ٨ أغسطس « آب » و ١٠ ديسمبر « كانون اول » ١٩٦٧ .

(٢) تصريح السناتور مانسفيلد ، زعيم الأكثرية الديموقراطية في مجلس الشيوخ للتلفزيون الامريكي ، في ١٥ يناير « كانون ثاني » ١٩٦٨ .

(٣) النيوز ويك ـ ٨ فبراير (شباط) ١٩٦٨ .

(٤) انترناشيونال هيرالد تريبيون ـ في ٦ مارس (اذار) ١٩٦٨ .

(٥) في مقابلة اذاعية نظمت في ١٢ فبراير (شباط)١٩٦٨ لسفيرين امريكيين سابقين هما: ايوين رايسشاور، سفير امريكا السابق في اليابان، وجون كينيث كالبريث، سفير امريكا السابق في الهند .

محالين الى التقاعد [1] ، ولم تلبث هذه المنظمة ان ضمت بعد ستة اشهر تقريباً ١٠٫٠٠٠ رئيس ومدير من رؤساء ومديري المؤسسات الكبرى .

وطغى الشك في هذه الحرب حتى وصل الى « الأسماء الكبرى » في الجيش. فقد عبر الجنرال غافين لدى عودته من رحلة قام بها الى فيتنام في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ عن تشاؤمه ، إذ قـال : « نحن نسير في فيتنام ، على الطريق الخاطىء » . كما ان الجنرال نورستاد وجه الانذار نفسه قائلاً : « ينبغي علينا ان نفعل كل شيء كي يصل النزاع الى المفاوضات ، وعلينا ان نواجه بصورة جديدة ومن طرف واحد ، وقف إطلاق النار ايضاً » . وفي ٢٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ أدلى الجنرال ايزنهاور بتصريح يؤيد فيـه « السلم والحرية في فيتنـام » . وفي ٣٠ نوفمبر (تشرين ثاني) تصلب موقف القائد العـام السابق لقوات الحلفاء والرئيس السابق للولايات المتحدة ، وطالب بزيادة حدة الحرب . وأعلن وقوفه « الى جانب غزو المنطقة المنزوعـة السلاح التي تفصل دولتي فيتنـام عن بعضهما ، كما أعلن عن وقوفه الى جانب فكرة مطاردة القطعات المعادية ، التي تلتجىء الى اراضي لاووس أو كامبوديا ، اثر كل عملية تقوم بها » . كما اعلن دعمه ايضاً لفكرة « مطاردة الطيران الامريكي للطائرات المعادية حتى أجواء الصين الشعبية » . واخيراً وفي ٧ اغسطس (آب) ١٩٦٨ اكد في برقيته التي وجهها الى الحلف الجمهوري « ان انسحاب الولايات المتحدة بكل بساطة من فيتنام سيكون افضل وسيلة لتحضير مأساة لأولادنا » .

ومما لا شك فيه ان سِلماً بدون مجد قـد يولد إحساساً بخيبة الأمل ضمن نطاق جيش غاص الى اذنيه في عمليات لا نهاية لها ، تزداد تكاليفها في الرجال

---

(١) من بين المنضمين الى هذه المنظمة ، الاميرال آرنولد ترو والجنرال ويليام والاس فورد والجنرال روبرت هيوغز وقائد فيلق الرماة البحارة السابق دافيد شارب وصموئيل غريفيث ، مؤلف عدة كتب عن الشرق الأقصى وله تراجم عن مؤلفات ماوتسي تونغ الخاصة بحرب العصابات.

والأموال باستمرار . ويزيد هذا السلم من حدة مخاطر المكارثية ، وربما يعرّض الديموقراطية الامريكية للخطر . وقـد اعترف سولزبرغر في **الانترناشيونال هيرالد تريبيون** عدد٢١ مارس (اذار) ١٩٦٨ عندما قال : « ان اكبر نقطة ضعف في الولايات المتحدة في فيتنام ، هي انها لم تخسر أية حرب من الحروب قبل الآن » . ويخشى سولزبرغر ايضاً ، في حالة التوصل الى حـل « غير مشرف » للنزاع أن تتمرد بعض عناصر الجيش الامريكي ، إذ تساءل قائلاً: « فماذا يحدث الآن ، لو أن جيشاً من أفضل الجيوش التي خلقناها من النواحي التقنية ، أعيد الى الولايات المتحدة كأول جيش وطني يصاب بالهزيمة . وكيف يمكن أن يتصرف هذا الجيش وهو في قمة ثورته وغضبه ؟ أفلا تستطيع بعض عناصره التوجه لمواجهة اولئك الذين تعتبرهم مسؤولين عن الهزيمة ؟.. أفليس من الممكن أن تنتشر عدوى الحرب الثورية في الولايات المتحدة ، كما انتشرت في فرنسا بعد ان أوصلتها الحرب الجزائرية الى مرحلة الجنون » ؟

ويحس عدد كبير من الامريكيين بهـذه المشاعر ، وهم يرون بأن احتكاك الآراء وحرية التعبير أمر طبيعي وضروري . وتدعو الأوساط النقابية والدينية الى تجاهل الحقد ، والمشاركة في إيقاف التطورات الخطيرة . ففي مارس (اذار) ١٩٦٦ أدانت المنظمات النقابية ، ومن بينها الاتحـاد الامريكي للشغل التابع لمجلس المنظمات الصناعية [١] « استمرار التصعيد مع المغامرة بحدوث نزاعات اكثر دموية وتدميراً » . وحددت هذه المنظمات توصياتهـا العاقلة والقائلة : « ينبغي أن لا نربح الحرب في آسيا فوق ساحات القتـال ، بل فوق حقول

---

(١) A. F. L - C. I. O. (الاتحاد الامريكي للشغل التابع لمجلس المنظمات الصناعية): وينبغي الاشارة الى ان هذا الاتحاد الذي يأخذ عليه نائب رئيسه ، وولتر رويتر ، رئيس نقابة عمال السيارات ، وهي نقابة قوية، انعدام روح الكفاح لديه ، لم يتخذ أي موقف معاد جدياً للحرب الفيتنامية.

الارز »[1] . وساهمت هذه المنظمات مع منظمات أخرى في « مسيرات السلام والحرية » وفي « الأيام القومية للنضال ضد حرب فيتنام »[2]، التي اشتركت فيها الكنائس ايضاً .

وفي ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ، وفبراير (شباط) ١٩٦٨ ، اقترح المجلس العام للكنائس ، الذي يضم الهيئات البروتستانتية الكبرى « إيقاف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية ، والالتجـــاء الى الأمم المتحدة لحل النزاع » ... « لأن زيادة حدة الجهد العسكري تبدو بلا جدوى ». وفي ١٨ مارس(اذار) ١٩٦٨ ، أظهرت عملية سبر تمت مع اعضاء تسع كنائس بروتستانتية كبرى في البـــلاد ان ٦٨ ٪ منهم يرفضون سياسة البيت الابيض في فيتنام . وفي ربيع ١٩٦٧ خرجت الأسقفية الكاثوليكية الامريكية عن صمتها الذي التزمته مدة طويلة بتأثير نفوذ رئيسها سبيلمان الموالي للسياسة الحكوميــة ، وأعلنت « ان من الحكمة القول بأن وجودنا في فيتنام له ما يبرره ، ولكن علينـــا ان نحتج في كل مرة نخشى فيهـــا بأن يتجاوز التصعيد الحدود المقبولة من الناحية الاخلاقية » ! وفي ١٧ اغسطس (آب) ١٩٦٧ ، شق أربعـــة من الأساقفة الكاثوليك الطريق السلمي بصورة واضحة : فقـد اتخذوا موقفهم « لصالح

---

(١) تصريح جورج ميني، رئيس A.F. L. - C. I.O. الذي أكد بالاضافـــة الى ذلك دعمه للرئيس جونسون في ١٤ مارس(اذار)١٩٦٨ .

(٢) في ابريل « نيسان » ١٩٦٧ تظاهر ٢٠٠٫٠٠٠ من سكان نيويورك في الشارع الخامس ضد حرب فيتنام . وبعد شهر قام ٢٥٠٫٠٠٠ من سكان نيويورك باستعراض« لدعـــم الجنود الامريكيين الذين يكافحون ويموتون في فيتنام ».

وفي ٢٧ ابريل« نيسان »١٩٦٨ ، ضمن اطار اليوم المخصص للاحتجاج ضد الحرب، اضربت عشرون جامعة وكلية – تضم مليون طالب– عن الدروس في الولايات المتحدة. وفي اليوم ذاته، ساهم ١٠٠٫٠٠٠ من سكان نيويورك في مظاهرة ضد الحرب في سنترال بارك. وفي الوقت ذاته كان أنصار الحرب يستعرضون في الشارع الخامس. ولم يكن عددهم ليتجاوز ٣٫٠٠٠ شخص.
وفي ٢٠ يونيو « حزيران »١٩٦٨ ، حصلت مظاهرة مماثلة فيواشنطن: اذ تظاهر ٥٠٫٠٠٠ زنجي من سكان المدينة تلبية للنداء الذي وجهه خلف الأسقف مارتن لوثر كينغ .

المفاوضات مع كل الأطراف المعنية بالأمر بما فيها جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية »[١]. وفي اوكتوبر، (تشرين اول) ١٩٦٧ ، ذهبت جماعة من الآباء والأساقفة والحاخامين الى أبعد من ذلك عندما صرح أفرادها بأنهم« متضامنون مع الامريكيين المتمردين على الحرب » ، والذين لا يشكلون في الحقيقة إلا أقلية طفيفة [٢] .

وبهذا الشكل تُبرز هذه الحرب بصورة لا تقبل النقض اختلاف الامريكيين الذين كانوا عرضة لصعوبات خطيرة سياسية ونفسية . ومن عام ١٩٦٥ الى ١٩٦٨ ، تعطي عمليات سبر الرأي العام صورة لشكوكهم وآمالهم، ولخيبات الأمل التي تعرضوا لها . ويعبر الخط البياني التالي عن تذبذب موقف الرأي العام الامريكي حسب تطور الأحداث.

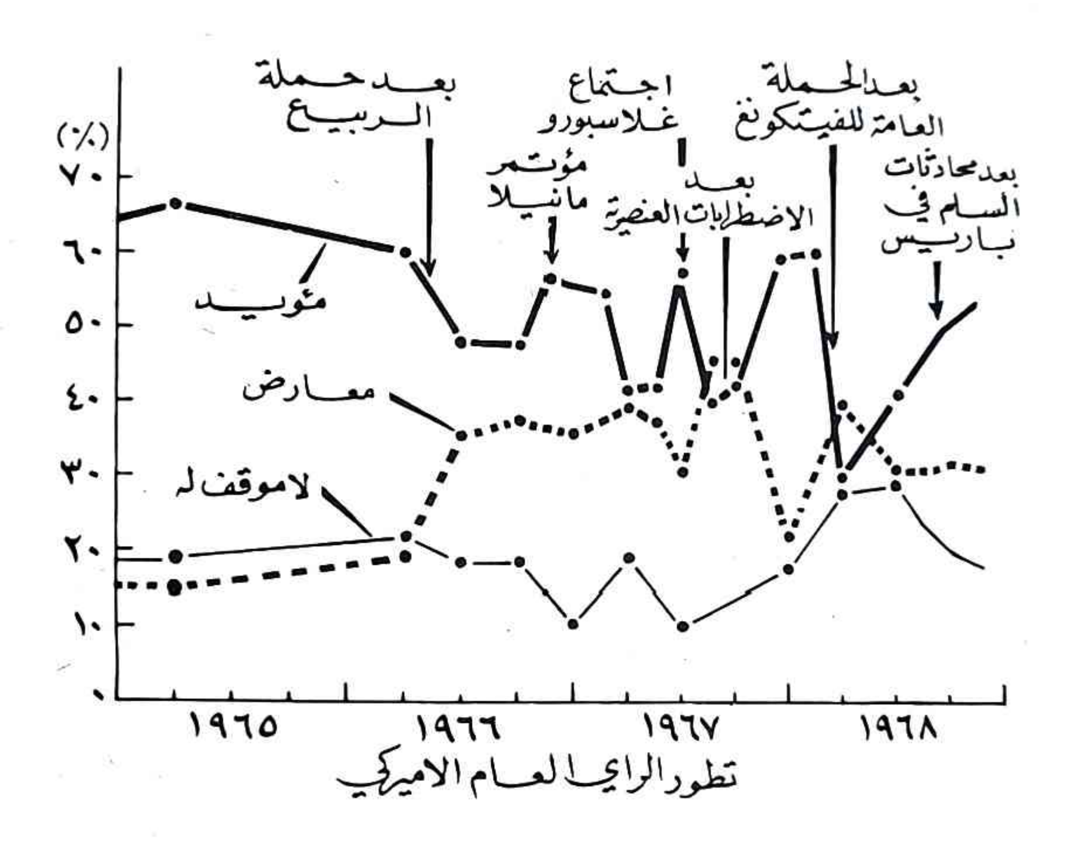
ففي فبراير (شباط) ١٩٦٥ كشف السبر الذي قام به معهد غالوب ان ٦٧ ٪ يوافقون على السياسة الحكومية المطبقة في فيتنام،وان ١٥٪ يعارضونها، وان ١٨ ٪ ما زالوا مترددين . وتسجل العناصر الموالية لهذه السياسة انخفاضاً بعد حملة ربيع ١٩٦٦ ، وتسجل ارتفاعاً في نوفمبر (تشرين ثاني) ، بعد مؤتمر مانيلا ، ثم تهبط ايضاً بعد معركة ربيع ١٩٦٧ ، وتعود الى وضعها في يونيو (حزيران) ، أثناء لقاء غلاسبورو ، ثم تهبط الى أدنى رقم لها من المنحنى بين اغسطس (آب) وأوكتوبر (تشرين اول) ، بعد احداث العنف العنصري

---

(١) وقبل ذلك، في ١٩ فبراير « شباط » ١٩٦٦ ، اقترح السيناتور روبرت كينيدي ان تشكل في سايغون حكومة تحالف تشترك فيها جبهة الفيتكونغ . وقد دعمه فوراً السيناتور فولبرايت الذي صرح بأن الولايات المتحدة عاجزة عن تحقيق هدفها ، وهو اقامة حكومة في فيتنام الجنوبية تكون في الوقت ذاته ديموقراطية وموالية للامريكيين .

(٢) بضعة آلاف على الأكثر ، وهم يتهربون بصورة عامة من السلطات العسكرية قبل دعوتهم لخدمة العلم . ويختفي بعضهم في الولايات المتحدة . كما يسافر البعض الى كندا أو أوروبا. وتعود عمليات الفرار السياسية، بين صفوف القطعات الامريكيةفي اوروبا الى نهاية عام١٩٦٦. ففي هذه الفترة ولدت شبكات الاستقبال التي يقع مركزها الرئيسي في امستردام .

التي تمت في الصيف ، لتعود للارتفـــاع فيما بعد اعتباراً من ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ . وبعد الضربة المفاجئة التي سددها الفيتكونغ بعد الربع الأول من عام ١٩٦٨ ، تعرضت العناصر الموالية لفشل جديد ، ثم تصعّد هذا الفشل



تطور الراي العام الاميركي

منذ ٩ ابريل (نيسان) . وبين هذه العناصر ، نجد جناحـاً متشدداً تتراوح نسبته بين ٦٪ و١٢٪ ممن يحلمون بانتصار كامل حتى ولو أدى ذلك الى صراع مع الصين . ومن الطرف المعارض للسياسة الحكومية ، هناك نسبة هامة تؤكد عداءها لكل مـــا يخالف النظام . وهي تتردد مع ذلك بين تخفيض الجهد العسكري ، والجلاء الفوري الذي يجمع عليه دوماً أقل من ١٠ ٪ من الأصوات ، والذي يخشى أن يكون سبباً في إقامة « ديكتاتورية الحرب » في امريكا ، وقيام سلسلة من أعمال العنف ، كما توقع سولزبرغر .

العنف والاضطرابات العنصرية في الشوارع :

تخلق الحرب الفيتنامية قلقاً وشكاً بالمستقبل ، كما انهـا سبب من أسباب التفتت المعنوي والتنــافر الاجتماعي ، فهي تدفع الشبيبة الامريكية الى الانحراف ، وتعلمها السرقة والقتل . انها تسبب العنف ، وتنمّي الأحقـاد ، وتغذي التشكك والكذب ، وتهدم القيم الانسانية ، وتخضع المواطنين عن طريق الصحف والاذاعة والتلفزيون الى قرحة نفسية حقيقية ، وتحرمهم من كل قدرة على التمييز ، وتجعلهم عاجزين عن معرفـة الصحيح من الكذب ، والعدل من الظلم ، والنظـام من الفوضى ، وتقلبهم الى افراد يؤمنون بالعنف والعدوان . وهكذا تُذل مجتمعنا بأ كمله وتجعله فريسة للعنف ، وهي تعمل فيه تدميراً وتفتيتاً ، وتشوهه في أعمق اعماقه ، وتثير فيه الكثير من الجـدل والمطالب ، وتنمي فيه الاضطراب والفوضى. وتؤدي ثورة الافكار الى تأليب الشبيبة ضد كل ما يمثل النظام ، وإثارة انحرافات الأحداث ، ورفع مستوى الجريمة بشكل يثير القلق .

وترى اللجنة القضائية لمجلس الشيوخ « ان الجريمة هي اكثر مشاكل الأمة جدية وأهمية » ، فلقد تزايدت في الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٦٠ بنسبة ٩٠٪ على حين لم تزدد نسبة السكان إلا بمقدار ٩ ٪ . وتؤكد احصائيات مكتب الاستخبارات الفدرالي وجود ظـاهرة خطيرة تستدعي قلق واشنطن واهتمامها . ففي عام ١٩٦٧ تزايد عدد جرائم القتل بنسبة ٢٠ ٪ ، وجرائم الاغتصاب بنسبة ٢٥ ٪ ، وجرائم السرقة بنسبة ٦٨ ٪ . وفي كل عام تقتل الأسلحة النارية ٢٠،٠٠٠ مواطن ، اي اكثر من شخصين في الساعة الواحدة .

وتتشابك المشكلة السوداء تشابكاً كبيراً مـع القضية الفيتنامية . فمنذ عام ١٩٦٦ ندد مارتن لوثر كينغ « بتصعيد الحرب الفيتنامية الذي يجبر ٢٠ مليون من الزنوج على الانضمام الى الحركة المعادية للحرب . علمـاً بأن من المتعذر إخضاع شعب بالقنابل ، إذ لا يؤدي القصف على العكس إلا الى تقويته

وزيادة تصميمه » . ومما لا شك فيه انه كان يحس بالأزمات الكبيرة ، ويرى الأمور بمنظار واسع ، ومن قوله : « ان المساواة العنصرية يمكن ان تتم عبر السلم في فيتنام » . ولقد نصح السود بممارسة العصيان المدني ، والمعارضة السلمية الوجدانية ، ولكنه بقي مخلصاً لمبدأ « اللاعنف » .

أما السلطة « السوداء » فكانت تطالب على العكس باستخدام الحد الأقصى من العنف . ولقد هدد رئيسها كارمايكل باغتيال الحكام ، وقلب امريكا العاجزة عن درء أخطار الثورة الى رماد . وقدم من هافانا وراديو هانوي تحياته لشجاعة شعب فيتنـــام البطل ، ونادى بفتح « خمسين فيتنام محلية ، وتفجير العصيان المسلح في جميع المدن الامريكية الكبرى » . فغدا بذلك الروح المحركة لعدد من المنظمات الوطنية السوداء التي اخذت تعد العدة في الخفاء لشن حرب عصابات في المدن . ويؤكد كارمايكل : « ان المقاتلين السود [1] سيستخدمون الخبرة التي تعلموها في فيتنام ليحرروا زنوج امريكا » وسيرفعون لواء الثورة خفاقاً ويفجرون بذلك حقداً ضبطه أسلافهم خلال فترة طويلة من الزمن . وتحت تأثير المنظمات الوطنية السوداء ، قام الزنوج طوال صيف ١٩٦٧ بالعصيان المسلح ، ونظموا الثورة على ألف جبهة في اكثر من ١٠٠ مدينة امريكية [2] . واستُخدم كوكتيل مولوتوف على نطاق واسع وسط الأحياء السكنية . وساد القلق المجتمع الامريكي كله . بيد ان صيف عام ١٩٦٨ كان اكثر هدوء ، ويفسر البعض ذلك بالتدابير البوليسية الاستثنائية

---

(١) يتهم الزنوج السلطات الاميركية بأنها تمارس في فيتنام عملية « إبادة للسود » ويقدمون الدليل على ذلك بأن القطعات الامريكية المقاتلة تضم اكثر من ٢٦ ٪ من الزنوج - بسبب عدم تخصص الشبيبة السوداء - على حين لا تزيد نسبة الزنوج العامة داخل الجيش الامريكي على ١١٪، وهذا يعني ان ٢٤ - ٢٥٪ من القتلى الامريكيين في فيتنام هم من العرق الأسود .

(٢) ومن هذه المدن نيو آرك وبرفيدانس وبيكسبورغ وويشيتا وفيلادلفيا وشيكاغو وكليفلاند وجاكسون وميتشغان ونيوهافن. وفي مدينة نيوآرك وحدها سقط حوالي ٢٠ قتيــلا و ٦٥٠ جريحاً، وأحدثت أعمال العنف خسائر تقدر بعشرات الملايين من الدولارات.

التي طبقتها السلطات الفدرالية وسلطات الولايات ، والتي كان من جرائها إنشاء نظام دقيق لمنع الاضطرابات والحوادث يشمل كافة انحاء البلاد .

ولكن هل يعني ذلك زوال الخطر وخنق جميع بذور الثورة ؟ ان النار كامنة تحت الرماد ، ولا يزال الصراع العنصري قائماً لأن الأسباب الرئيسية للمعضلة ما زالت موجودة . ولا يمكن ان ينتشر الهدوء في البلاد عن طريق استخدام القوة والقمع ، بل عن طريق سعادة ورضى المجموعات الاجتماعية والعنصرية التي تعيش فيها . كما ان بذور الحرية التي نمت في قلب الجماهير السوداء خلال الصراع الفيتنامي لا تني تبحث عن الشمس وتصر على النمو . ويتزايد عدد الزعماء الزنوج المنادين بالعنف ، ويجدون بين الجماهير الامريكية السوداء عدداً كبيراً من المؤيدين يفوق عدد من يؤيدون المعتدلين الذين لا يتمتعون بشعبية كبيرة . ولا يتقبل المحاربون القدماء من الزنوج ، بعد عودتهم من فيتنام ان يُعاملوا كمواطنين من الدرجة الثانية ، وهم على استعداد دائماً للاحتجاج بمرار ضد الظلم ، ويشكلون قوة لا يمكن تجاهلها ، ويعرفون كافة اخوانهم الزنوج – ولكن بوعي اعمق – ان عليهم ان يستخدموا العنف عاجلاً أم آجلاً لأنه سلاحهم الفعال الوحيد للحصول على حقوقهم المشروعة . وهكذا نرى ان حل الأزمة بشكل سياسي امر بعيد الوقوع.

نتائج الحرب خارج الولايات المتحدة الاميركية

ردة الفعل في العالم الغربي :

يلاحق العالم الغربي هذه المعضلة بكل قلق . وهو يشعر مع ذلك بتعاطف عفوي نحو « المحكمة الدولية » التي انشأها برتراند راسل [1] في عام ١٩٦٧ والتي « تعتبر السياسيين في واشنطن كمجرمي حرب بالمعنى الدقيق المحدد في

---

(١) برتراند راسل : عالم رياضيات وفيلسوف وعالم اجتماع . وهو لورد بريطاني كرس كل جهوده لخدمة السلام العالمي والسلم في فيتنام ، توفي في ٤ فبراير « شباط » ١٩٧٠.

محاكمات نورمبورغ » ... « انها تتهم امريكا وتكشف الجرائم المرتكبة ضد الشعب الفيتنامي » .. ولدعم هذه الفكرة ظهرت الحركات المؤيدة منذ عام ١٩٦٦ في كل مكان من العـــالم . وتشكلت الروابط في لندن وباريز وروما وبروكسل .. الخ ، وأظهرت تضامنها مـع المسالمين من الامريكيين . وفي اوكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ وكصدى لمعارضة واشنطن ظهرت في العواصم الغربية نداءات واسعة لتحقيق السلام ، ثم توسعت هذه النداءات حتى وصلت في بعض الأحيان الى مستوى الحكومات.

ان حكومة بون تقدم دعمهـــا المطلق لحكومة واشنطن ، وهي لا توافق رسمياً على (مسيرات السلام)بيد ان كيسنجر (مستشار المانيا الغربية السابق) اضطر في بعض الحالات الى استخدام سلطته ليجابه الأقليـــة المتزايدة في المعارضة لفكرة الحرب . كما ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي يقود الدبلوماسية الفدراليـة ينادي تحت قيادة ويللي براندت بإجراء مباحثات ترمي الى تحقيق تسوية سلمية . وتبدي الجماعات البروتستانية القوية تضامنها الكامل مع « جهود السلام » . حتى ان القس نيموليير لم يتردد في لحظـــة من لحظات المرارة من ان يصف الامريكيين « بالمجرمين » ويطلق الطلبة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار النداءات نفسهـا ويندودون « بالجرائم الامريكية في فيتنام » .

اما الحكومة البريطانية المرتبطة ارتباطاً مالياً وثيقاً مع الولايات المتحدة الامريكية فقد دعمت السياسة الامريكية في جنوب شرقي آسيا حتى عـــام ١٩٦٦ ، ثم بدأت تقدم تنازلات متدرجة مستمرة للجناح اليساري في حزب العمال الذي « يقف ضد دعم الولايات المتحدة الامريكية [1]» في حرب فيتنام.

---

(١) قامت الديلي ميل في نوفمبر « تشرين ثاني » ١٩٦٧ بعملية سبر للرأي العـام فوجدت ان ٦٦٪ ممن سئلوا يقفون ضد هذا الدعم ، ثم تناقصت النسبة الى ٥٩ ٪ في فبراير « شباط » ١٩٦٨ لترتفع في اوكتوبر « تشرين اول » من السنة نفسهـــا . وفي ٢٧ اوكتوبر تظاهر ٥٠٠٠٠ مواطن ضد الحرب الفيتنامية وسط شوارع لندن التي كانت تبدو «وكأنها في حالة حصار».

كما زادت نداءات برتراند راسل وغراهام غرين حجم الانتلجنسيا التي « ترفض بشكل قاطع الحرب العدوانية التي تشنهـا الولايات المتحدة الامريكية في فيتنام » وتذهب الى المطالبة « بانسحاب كامل غير مشروط للقوات الامريكية ». وفي فبراير (شباط) ١٩٦٨ اجتمع ٨٠ نائبـاً و ١٠ بطاركة و ١٠ لوردات وعدد من النقابيين في « حركة من اجل السلام في فيتنام » . ومن الجدير بالذكر ان الدعم الذي قدمه رئيس الوزراء ويلسون خلال زيارته الى واشنطن كان حسب تعبيره « مشروطاً » . ثم تطور الى موقف اكثر موضوعية . وتأخذ فكرة التخلي عن الالتزامات في الشرق الأقصى شكلاً ملموساً متزايـداً باستمرار داخل الجزر البريطانية .

ومنذ بداية الصراع تحدث ديغول باسم فرنسا . وفي ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٦٣ رسم توقعـات المستقبل الخاصة « بوضع فيتنام على سبيل السلام عن طريق توحيد الشمال والجنوب ، وانسحاب الامريكيين من الجنوب والصينيين من الشمال . وخلق اوضاع حرة في فيتنام كلهـا » . وفي ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٦ ندد في كمبوديا بالتدخل الامريكي ، وطالب بالعودة الى اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ ، وأكد « بأن من المتعذر ان يكون الحل عسكرياً . وان الحل الوحيد الممكن هو الحل السياسي الذي يتطلب حواراً مع **القوى الحقيقية** ، أي مع جبهة التحرير الوطنية وفيتنـام الشمالية » . وفي رسالة الى الرئيس هوشي مينه أظهر « ديغول التعاطف الذي تتابع فرنسا من خـلاله تطور المأساة الفيتنامية » .

ويبدي أعظم رجالات الفن والأدب والعلم الفرنسيين عواطف حارة عفوية مشابهة ، ويقفون ضد الامبريالية الامريكية ، وينيرون سبيل الأمة الفرنسية التي بدأت تعي القضية الفيتنامية بكل أبعادها .

ولـكي يعبر الكتاب والجامعيون والفنانون والطلاب والتقنيون والعاملون

في مختلف المجالات والنقابات عن قلقهم ، نراهم يجتمعون داخـــل منظمات وحركات تميل الى اليسار المعتدل او المتطرف [1] . ويستخدمون مختلف الوسائل للمطالبة بإيقاف العدوان . وفي ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ دعا ٨٠ قس فرنسي زملاءهم للتوقيع على رسالة موجهة الى رجـال الدين في الولايات المتحدة الامريكية يناشدونهم فيهـا « ان يساعدوا الشعب الامريكي على فهم المعنى الذي يكمن وراء انتصار لا يمكن تحقيقه إلا بعد إبادة شعب كامل . والذي يشكل لهذا السبب مصدراً للحقد وسبباً جديداً من أسباب الفوضى في العالم أجمع » .

ردة الفعل في العالم الثالث (غير الآسيوي) وفي العالم الشيوعي :

يفكر العالم الثالث غير الآسيوي بشكل مشابه لمـــا ذكرناه ، وتشعر شعوبه الحساسة ضد الحرب الفيتنامية بجوع للطعـام والحرية . وتعرف هذه الشعوب ان هـــذا الجوع لا يمكن ان يتوقف إلا بتوقف الحروب « مولدة الثورات » . وتعطي حرب العصابات في امريكا اللاتينية صورة واقعية معاصرة للانذار الذي أطلقه تشي غيفارا في ابريل (نيسان) ١٩٦٧ قبيـــل موته ونادى فيه « بخلق فيتنام أو فيتنامين أو ثلاث أو أربـع بغية إجبار الامبريالية الامريكية على بعثرة قواتها » [2] . وتحاول هذه الامبريالية كسب ود الشعوب بزيادة مساعدتها الاقتصادية لامريكا اللاتينية ، ولكن الشيوعية تجد المجـال امامهـــا للتقدم حتى في البلاد الموالية لامريكا ، على حين تبتعد شعوب هذه البلاد عن العملاق الامريكي وعن كل ما يخلقه من تناقضات . وهذا هو سبب

---

(١) لجنة فيتنام الوطنية ، ومليار من اجل فيتنام ، واللجنة الفرنسية لدعم شعب فيتنـام ، ولجنة نداء المسيحيين الى الرئيس جونسون .. الخ .

(٢) « دراسة عن الوضع الثوري في العالم » دار الطليعة ـ بيروت .

التوتر ضد السياسة الامريكية من جاكارتا الى هافانا ، ومن القاهرة الى اديس ابابا ، ومن الجزائر الى كوناكري .

ان الاتحاد السوفييتي يخلق اطارات بعض بلاد العالم الثالث ويقدم لها دعماً اقتصادياً . ولكن انعكاسات الحرب الفيتنامية تبدو جلية واضحة في الشرق الأوسط – قلب العالم العربي وهدف النزاع بين روسيا وامريكا – ويتجسد ذلك في ان الاتحاد السوفييتي يدعم الأمة العربية بشكل واسع ويقدم « مساعدة غير مشروطة » الى الدول العربية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة التي تأخـــذ منه الطائرات والأسلحة المتطورة الأخرى ، الأمر الذي يزعج الولايات المتحدة الامريكية ، ويضعف موقفهـا بالنسبة للصراع العربي – الاسرائيلي . وفي مـايو (ايار) ١٩٦٨ كان هناك احتمال بفتح جبهة ثانية في الشرق الأوسط تهدد تموين الغرب بالمحروقات والبترول ، وتفتح المجـال امام تدخـــل دول حلف وارسو التي « انذرت في مارس (اذار) ١٩٦٨ بشكل جدي حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وحملتها مسؤولية متابعة الحرب العدوانية في فيتنام وتوسيع نطاقها . وتؤكد دول الحلف على ضرورة متابعة وحدة عمل البلاد الاشتراكية ... وتتعهد بأن تقدم للشعب الفيتنامي الدعم الشامل ، وكافة المساعدات الضرورية .. وأن ترسل المتطوعين من بلادهـا الى فيتنام إذا رغبت حكومة فيتنام الديموقراطية بذلك » .

ومن جهة اخرى ، فإن الصين ، التي يرى اوثانت بأنها معرضت للاشتراك في حرب تضعهـا في مجابهة الولايات المتحدة الامريكية ، تعمل بدأب وتستعد لكل طارىء . ولقد صرح شواين لاي ولين بياو وغيرهما من زعماء البلاد ان بوسع الصين « ان ترسل سيلاً من المتطوعين يغرق المعتدين في محيط الحرب الشعبية إذا طلبت حكومة هانوي ذلك او كان أمن الصين نفسهـا يتطلب التصرف بهذا الشكل » . ويرى الاستراتيجيون الصينيون انهم سيتدخلون بكل مـا لديهم من قوة إذا ما تعرضت فيتنام لضربة قوية ، واستمرت مع

ذلك في مقاومتها الباسلة حتى الرمق الأخير . وفي مثـــل هذه الحالة لا بد أن يطول الصراع ويتطور بشكل عنيف أليم . وتتحول الصين بأرضها الواسعة التي تبلغ مساحتها ١٠ ملايين كيلومتر مربع، وسكانها السبعمائة وخمسين مليوناً من البشر ، الى مسرح حرب عصابات واسع ممتد لا نهاية له . وستفقد الصين عشرات الملايين من مواطنيها ، ولكن الولايات المتحدة الامريكية ستصاب بالانهاك المعنوي والاقتصادي ، وستجد نفسها أمام انفجارات متتالية في العالم الثالث الذي تضطرم نار الثورة فيه تحت الرماد .

والى جانب الصين عدد من الدول الشيوعية كجمهورية كوريـــا الشعبية الديموقراطية التي تحتـــل من المسرح الآسيوي مكانة سياسية – عسكرية لا يستهان بها . ولقد خلق الامريكيون في مواجهتها جمهورية كوريا الديموقراطية (كوريا الجنوبية) التي تعيش في ظل نظـــام عسكري منذ انقلاب عام ١٩٦١ .

وللعاصمتين الشيوعيتين بيونغ يانغ وهانوي عدوان مشتركان همـــا : الامريكيون والكوريون الجنوبيون الذين سلحتهم الولايات المتحدة الامريكية ودربتهم . وتقـدم كوريا الشمالية كل مساعدة ممكنة لفيتنام الشمالية . ولقد لاقت دعوة تشي غيفارا – خلق اكثر من فيتنام – في داخل كوريا الشمالية صدى وتجاوباً عميقين . وتعمل كوريا الشمالية على إزعاج الامريكيين وتذكي احتمالات خلق « فيتنام ثانية » حول خط العرض ٣٨ الفاصل بين كوريا الشمالية والجنوبية . وهي تدفع حتى سيؤول عاصمة كوريا الجنوبية عدد من الفدائيين والأنصار الشماليين ، وتخلق داخل كوريا الجنوبية خلايا شيوعية قـــادرة على القيام بحركة شعبية ، وتؤسس فيها القواعد اللازمة لحرب عصابات مقبلة، وتثير القلاقل بين البلدين (تم وقوع حوالي ٥٠ حادثة في عام ١٩٦٦ ، ثم ارتفع الرقم الى ٥٠٠ حادثة في عام ١٩٦٧ ، كما وقع في عام ١٩٦٨ عدد مماثل من الحوادث) ، وتعرض للخطر نظام الجنرال بارك الذي يقمع بعنف كل معارضة ، وتمنعه في

الوقت نفسه من إرسال قوات جديدة الى فيتنـــام ، وتزرع الحذر والشك في علاقاته مع حماته من الامريكيين . وهي لا تخشى الامريكيين ولا تتورع عن إذلالهم . ولا أدل على ذلك من الانذار الذي وجهته اليهم في ٢٦ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ عندما قامت بأسر مركب التجسس بويبلو[١] .

ردة الفعل في آسيا غير الشيوعية (باستثناء فيتنام الجنوبية) :

لقد تابعت طوكيو خلال أزمة بويبلو بكل قلق تحركات حاملة الطائرات الذرية « انتربرايز » داخل مياه كوريا الشمالية وأعلنت عن تحرك « يوكوسوكا » نحـــو منطقة التوتر ، كما تابعت تحرك الطراد الامريكي « كانبيرا » المزود بصواريخ موجهة . ولقد أثار الحادث انتقادات حادة وضاعف نقمة الشعب الياباني على الامريكيين . لقد دمرت الحرب منذ أمد بعيد إمكانيـــة التفاهم مع الامريكيين ، وجمعت الجماهير اليابانية حول شعـــار « السلام في فيتنام » . ولا تبدي الحكومة اي اهتمام بكل ردود الفعل ، ولكنها في الحقيقة كالبطة التي تعوم بهدوء ولامبالاة ظاهريين مع انها تحرك قدميها بعنف تحت المـاء . ولا ترغب الحكومة اليابانية بقطع جميع الجسور مـــع الولايات المتحدة الامريكية التي تستأثر بأكثر من ثلث تجارتها الخارجية . ولكنها تفكر ايضاً بأن العملاق الاقتصادي اليـــاباني الذي يعد ١٠٠ مليون من البشر قادر على التسرب ثانية الى بلاد الشرق الأقصى التي هي في الحقيقة مجال نشاطه ، والتي بدأ بالفعل يزاحم فيها لندن وواشنطن .

وتخلق الحرب الفيتنامية داخل اليابان صعوبات جمـة وتسبب جواً من

---

(١) كان هذا الحادث أهلاً لأن يفتح جبهة ثانية حول خط العرض ٣٨ وأن يلهب النار في آسيا كلها . ولقد خلق في شمـــال المحيط الهادىء مناورة تشتيت عقدت مهمة الامريكيين في اللحظة التي كان فيها موقفهم في فيتنام يميل الى الضعف. الأمر الذي أدى الى استنفار الجيش الثامن الامريكي المتمركز في كوريا الجنوبية ، وقوات كوريا الجنوبية كلهـــا ، وجزء من الاسطول السابـع الامريكي ، وارسال حاملة الطائرات الذرية « انتربرايز » لتجوب البحـار على مقربة من منطقة التوتر .

العنف وتبدو وكأنها عامل من عوامل بلبلة السلام الوطني . وهي تثير حقداً عنيفاً ضد الامريكيين وضع طوكيو في عام ١٩٦٠ وسط جو من الاضطراب والتمرد ، وكاد ان يوقع اليابان في فوضى شاملة ، وتغذي المعارضة اليسارية التي تنمو بسرعة وخاصة في ادارات المقاطعات [1] ، حيث يلاحظ هبوط صغير في أسهم الحزب الليبرالي – الديموقراطي . ولا يخفي اليسار رغبته في اذكاء شعلة الحملة ضد الامريكيين التي اختفت طويلاً لتظهر بقوة جديدة في يوم ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ الذي كان في داخل الولايات المتحدة الامريكية يوم احتجاج ضد الحرب . ففي هذا اليوم تجمع آلاف الطلاب المعتمرين بالخوذ والقادمين من ٢٧ جامعة ، وهاجموا وزارة الدفاع وسفارة الولايات المتحدة الامريكية . وسقط في الاضطرابات ١٣٠ جريحاً من بينهم عدد من الطلاب الامريكيين الذين يتلقون العلم في اليابان . وقامت مظاهرات طلابية اخرى في يوكوهاما وكوبي وسابورو وجزيرة هوكيدو . وأخذت هذه المظاهرات كمظاهرات ٢١ اوكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٨ شكل تحدي الشبيبة للسلطة الامريكية التي تجابه القوة الشعبية . كيف يمكن تجاهل هذه الشبيبة التي نمت وترعرعت بعد الكارثة ؟ وكيف تترجم الشبيبة اندفاعها نحو المستقبل ؟ وفي أي اتجاه تترجم إحساسها بالتضحية ورغبتها بالصراع ؟

وتطرح هذه الأسئلة نفسها بعنف في بلاد جنوب شرقي آسيا المستقلة منذ عهد قريب ، والتي تدور في أرضها في بعض الأحيان أحداث مشابهة للأحداث التي ذكرناها ، ولكنها قد تكون اقل صخباً [2] . ان هذه البلاد الممزقة بين

---

(١) بعد انتخابات ١٥ ابريل « نيسان » ١٩٦٧ حصلت طوكيو وهي اكبر مدينة في العالم « ١١ مليون نسمة » على اول حكومة اشتراكية في تاريخها .

(٢) وهذا مثال من أمثلة متعددة اخرى : في ١٧ أغسطس « آب » حمل العمال والطلاب في مانيليا المشاعل وحاولوا اقتحام السفارة الامريكية فاصطدموا بعنف مع نطاق قوي من رجال الشرطة . فتحركوا ليتظاهروا أمام فندق هيلتون حيث كان الرئيس ماركوس. واستطاع ماركوس الفرار من باب جانبي . فلما علم المتظاهرون بذهابه تفرقوا وهم يرددون: « يسقط ماركوس عميل الولايات المتحدة الامريكية » .

عالمين ، والمعرضة لآلام الحروب الأهلية وثورات الفلاحين ، والتي بذرت الحرب العالمية الثانية فيها بذور الفوضى ، تحمل اهتمامات ومشاكل متشابهة : ان شعوبها تشكو من نقص التغذية ، ولكنها تتكاثر مع ذلك بسرعة. وتتطلب معضلة الجوع ان يكون الصراع عنيفاً على جبهة اقتصادية واجتماعية واسعة . ولقد قدمت امريكا في هذا المضمار دعماً جعلها تملك وسائط ضغط قوية على الحكومات . وهي تعمل جاهدة لتضع في هذه البلاد الفتية الناشئة أنظمة موالية لها خاضعة لسياستها. والمشكلة الوحيدة التي تعترض الامريكيين هي خوفهم من الانقلاب الداخلي الناجم عن البؤس والمدعوم من الدول المجاورة . فإذا ما انتقلت السلطة في فيتنام الى أيد معادية تعرض امنهم المباشر للخطر . وهناك إحساس عام سائد في كل مكان يمكن التعبير عنه بالقلق وعدم الاستقرار والخوف من انقلاب الوضع بشكل يعرض قضية السلام للخطر . ويخشى المسؤولون السياسيون في بلاد جنوب شرقي آسيا أخطار المستقبل المجهول ، واحتمال وقوع مجابهة عالمية جديدة . وهم يعيشون غالباً وسط الحقد والشك الأسود ، ولا يرون حولهم إلا المؤامرات والدسائس . لذا فإن مواقفهم وتصريحاتهم تتسم بانها عائمة قلقة تائهة في حيرة تبدو أحياناً وكأنها سمة من سمات عصرنا .

ويقف المسؤولون البيرمانيون في الامم المتحدة الى جانب الدول الغربية . ولكنهم يتصرفون مع ذلك بحكمة وواقعية فيأخذون « موقفاً وسطاً » بالنسبة للقضية الفيتنامية . وهم يخشون اجتياحاً صينياً عبر حدود واسعة مشتركة طولها ١٠٠ كم . ويبذلون معظم جهودهم ووقتهم في عمليات القمع الداخلية [١] التي يخصصون لها جزء كبيراً من القوات المسلحة . ويقيمون علاقات جوار حسنة مع ماليزيا الواقعة مثلهم تحت تأثير ضغوط متناقضة ... وتتجه ماليزيا

---

(١) يتجه هذا القمع بصورة خاصة نحو عدد من المجموعات السياسية : كالحزب الشيوعي (وهو اكبر الاحزاب) ، والحزب الثوري الشعبي الذي يضم عدداً كبيراً من الطلاب .

بشكل واضح نحو العـــالم الغربي . وتحاول تأمين تعايش سلمي بين عرقين يعيشان فوق ارضها وهما : الماليزيون ويشكلون ٤٧٪ من السكان، والصينيون ويشكلون ٤٢ ٪ من السكان . بيد ان وسائل الاعلام المطبوعة باللغة الصينية لا تخفي انتقاداتها للسلطة الحاكمة . كما تعمل على تشجيع الوحدات الثائرة (١) من جيش التحرير الماليزي الذي يشن حرب العصابات وسط الأدغال ... ان حكومة ماليزيا تتذكر جيـــداً ذكريات عشر سنين من الصراع ضد عصابات الثوار الشيوعية ، ولا تريد تكرار مثل هذه التجربة .

ولا تزال جزر اندونيسيا والفيليبين تعيش وسط كابوس الحرب الأهلية. ففي ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٦ ، وبعد ١٥ شهراً من عمليـــات القمع التي مارسها الجيش ضد الشيوعيين ، وزهقت خلالها مئات الآلاف من الأرواح ، سارت اندونيسيا على طريق جديد يختلف كل الاختلاف عن الطريق الذي اختطه الرئيس سوكارنو (٢) . وجاءت سياستها الخارجية لتضع حداً «للمجابهة» مع ماليزيا ، ولحملة التنديد بالولايات المتحدة الامريكية . وقطعت علاقاتها مع الصين الشعبية . وفي مـايو (ايار) ١٩٦٦ عقدت في بانكوك علاقات صداقة طيبة مع تايلاند . وهي تدعم التدخل الامريكي في فيتنام وتعتبر ان انتصار الفيتكونغ والفيتناميون الشماليون سيكون دافعـــاً قوياً للحزب الشيوعي الاندونيسي الذي يعمل حالياً في الخفاء . ولكن التعبير عن موقف اندونيسيا حيال الحرب الفيتنامية يأخذ أشكالاً متعددة ، تختلف باختلاف آراء كبار الشخصيات في الحكم .

---

(١) تتألف هذه الوحدات الثائرة من عشرات الآلاف من الرجـال الذين تدربهم الصين وتجهزهم وتسلحهم .

(٢) منذ بداية الحرب الفيتنامية وحتى الانقلاب العسكري الذي قـام به سوهارتو كانت اندونيسيا تقف في الصفوف الاولى للدول التقدمية في العالم الثالث . وكانت تقوم بهجوم مستمر على سياسة الدول الامبريالية . وكانت الحكومة تعتمد على الحزب الشيوعي الذي يضم ٣ ملايين من الاعضاء ، ويلتف حوله ١٥ مليوناً من الموالين له ، والتنظيمات المؤيدة لسياسته .

وتتبع حكومة الفيليبين ، وهي عضو في حلف جنوب شرقي آسيا، سياسة اكثر وضوحاً . فهي منحازة بشكل كامل الى سياسة فيتنام الجنوبية والولايات المتحدة الامريكية [1] . وهي تتمتع بدعم كبار الملاك الزراعيين المالكين لمعظم ثروة البلاد ، كما تتمتع بدعم الكنيسة الكاثوليكية التي تؤثر بشكل فعال على الأهالي المنحدرين من اصل اسباني . ويرى الرئيس ماركوس الذي استلم السلطة منذ بداية ١٩٦٦ ان اي انتصار للشيوعيين في فيتنام يشكل وضعاً خطيراً لا يمكن تجاهله ، لأن مثل هذا الانتصار قد يؤدي « بالعدوى » الى إيقاظ الثورة الشيوعية في بلاده ، والتي تم قمعها بكل قسوة ووحشية في الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٥ .

ويعيش جيران فيتنام المباشرين – لاووس وكامبوديا وتايلاند -- وسط تناقضات سياسية حادة ، ويعملون ضمن صعوبات معقدة تدفعهم أحياناً الى حافة العنف . وهم يتساءلون : كيف يجدون النظام والاستقرار من جديد ، وكيف يمكنهم تحاشي التورط مباشرة في هذا الصراع الشائك الذي يزداد مع الايام تأثيره على مصيرهم وتمزيقه للنطاق الذي ضربوه على حدودهم ؟ .

ولا تعرف لاووس معنى الحرية أو السلام . انها مجزأة بين قوتين متعاكستين [2] ، وتتعرض بلادها الى الفوضى وحرب العصابات التي يمكن ان تتسع وتمتد . ومن الصعوبة بمكان ان نحدد فيها مخططاً دقيقاً للنشاطات

---

(١) يملك الامريكيون في الفيليبين ٤ قواعد كبيرة هي : كلارك فيلد « طيران » سوبيك باي وسانغلي بوانت « بحرية » كامب جون هاي « قوات برية » . كما انهم يجهزون القوات المحلية بشكل كامل .

(٢) في خلال مباحثات جنيف عام ١٩٦٢ قررت الدول الكبرى حياد ووحدة لاووس ، وتشكيل حكومة اتحاد وطني تجمع أنصار الحكومة الملكية « الأمير بون أوم » والمحايدين « الأمير سوفانا فوما » وأنصار الباتيت لاو « الامير سوفانو فونغ » . ولكن هذه المخططات ظهرت فيما بعد عقيمة يتعذر تطبيقها .

السياسية – العسكرية التي يقوم بها الامريكيون او الفيتناميون الشماليون . ويملك الامريكيون بيدهم الخيوط التي تحرك اليمين اللاووسي ، ويقدمون للمحايدين عونـــاً عملياتياً ، وخبراء مدنيين وعسكريين ، وإمداداً بالاعاشة والمعدات الحربية . ويعتبر الامير سوفانا فوما المستفيد الأساسي من تدخلهم ، ولكنه يرفض الاعتراف بذلك رسمياً . بيد ان اليسار الممثـــل بحركة « باتيت لاو »المتغلغلة وسط الفلاحين الفقراء لم يعد يعتبره محايداً. و«الباتيت لاو» صورة محلية مشابهة للفيتكونغ . وهي تتلقى الدعم من فيتنام الشمالية والصين، وتسيطر على حوالي نصف البلاد ، وخاصة على طريق هوشي مينه الذي ملأ الفيتناميون الشماليون الارض حوله بالحصون والمدفعية المضادة للطائرات . وتحمل قوات « الباتيت لاو » أسلحة جيدة ، ويبلغ تعداد مقاتليهـــا ٥٠٫٠٠٠ رجل ، وهذا ما يجعلها قادرة على مضاعفة ضغطها على لوانـــغ – بارابانغ التي يمكن سقوطها في كل لحظة . وهي تتلقى ليلاً نهاراً وبلا هوادة قصفاً جوياً عنيفاً وخاصة في مقاطعة سام – نوا . ويستخدم الامريكيون طائرات ب – ٥٢ المنطلقة من تايلاند ، والموجهة بواسطة دوريات ارضية ، بالاضافة الى عدد من الطائرات « المدنية » مجهولة الهوية ، التي تحمل التموين الى المخافر العسكرية ، وتنقل الرجال والعملاء ، وتقوم بمهام الاستطلاع .

وتحلق طائرات الاستطلاع بصورة مستمرة فوق كامبوديا بعد ان وجهت الى هذه البلاد منذ ابريل (نيسان) عـــام ١٩٦٦ تهمة السماح للفيتكونغ باستخدام اراضيها . ولقد قدم سيهانوك في ذلك الوقت تكذيباً قاطعـاً [١]

( ) نوردوم سيهانوك : ولد في عام ١٩٢٢ . كان ملكاً على كامبوديا ، ثم أخذ بعدالاستفتاء في عام ١٩٦٠ لقب رئيس الدولة . « ولم يعد التاج الملـكي سوى مجرد رمز » . وفي يناير « كانون ثاني » ١٩٦١ غدا رئيساً لمجلس الوزراء .

وطلب من لجنة المراقبة الدولية [١] القيام بتحقيقاتها في مناطق الحدود . بيد ان سوء التفاهم تزايد يوماً بعد يوم بشكل جعل مهمته تزداد مع الايام صعوبة . ولقد وضع نفسه منذ البداية فوق تلوّن الأحداث . وساعده على ضبط أمور الدولة ثقافته الفرنسية ، وذكاؤه السياسي ، ومرونة وعمق تفكيره، وبراعته النادرة في اجراء المفاوضات ، وقدرته على فهم المواقف المعقدة . وأمن له كل ذلك علاقات طيبة مع فرنسا ويوغوسلافيا وروسيا والهند والصين وفيتنام الشمالية . وساعده على منع التمزق الداخلي في ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ، وخاصة في مقاطعتي راتا ناكيري وباتا مبانغ . وحافظ اخيراً على سيادة بلاده التي تخلصت بفضله من شرور الحرب وبقيت صامدة أمام التهديدات الامريكية.

أما تايلاند فهي عضو في حلف جنوب شرقي آسيا الذي اتخذ مقر قيادته في بانكوك . كما انهـا حليف امين للولايات المتحدة الامريكية التي تستخدم اراضيها كقاعدة استراتيجية ضد فيتنام الشمالية . وتعتبر ان امنها يتعلق مباشرة بمنع الشيوعية من الوصول الى فيتنام الجنوبية . وتتعاون حكومتها التي جاءت بعد انقلاب عسكري [٢] تعاوناً وثيقاً مع حاميها القوي . ولا يستطيع جيشها وشرطتها وقوات الأمن الريفية السيطرة على القوى الثورية التي تنتشر كبقعة زيت تحت قيادة الجبهة الوطنية التايلاندية .

---

(١) تم انشاء هذه اللجنة بناء على اتفاقيات جنيف في عام ١٩٥٤ . وهي تعمل تحت مراقبة ثلاث دول اعضاء هي: الهند وبولونيا وكندا .

(٢) تعاقبت الانقلابات في تايلاند بصورة نظامية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن البلاد عرفت منذ عام ١٩٦٣ بعض الاستقرار تحت سيطرة الديكتاتورية التي فرضها رئيس الوزراء المارشال ثانوم كيتيكا شرون ومساعده الجنرال برافاس نائب رئيس الوزراء . وتعود السلطة الحقيقية في هذه البلاد التي تعيش بلا دستور أو مجلس نيابي الى رجال الاعمال والوجهاء المدنيين والعسكريين . وتتلاءم الطبقة المالكة الجديدة مع الاقطاعية القديمة التي تعطيها مطلق الحرية « لخنق » الاحزاب والصحافة والنقابات التي ترفض أن تكون أداة سياسية بيد السلطة الحكومية المطلقة .

ويمكن ان نقول بأن هذه « الجبهة » تنظيم شيوعي سري ميـال للسياسة الصينية وهي تهتم اهتماماً بالغاً بالحرب النفسية وتعتبرها اشد فاعلية من المجابهة العسكرية . كما انها تبذل رعاية كاملة لحالة الجماهير النفسية، نظراً لأن الجماهير هي قاعدة كل استراتيجية ثورية . وقد أكدت الجبهة في يوم ١٠ يوليو (تموز) ١٩٦٨ من **اذاعة صوت الشعب التايلاندي** « بأن القوات المسلحـــة الشعبية التايلاندية تهتم اهتماماً كبيراً بعمل الجماهير . وبأنها نظمت نفسها داخل وحدات صغيرة للذهـاب الى الارياف ونشر الدعاية وجمع الشعب بغية رفع الوعي السياسي للجماهير الفلاحية العريضة ، ومساعدتها على فهم حقيقة الامبريالية الامريكية التي تجتـاح تايلاند وتنهب ثرواتها ، وكشف النقاب عن فضائح الخائنين تانوم — برفاس (رئيس الوزراء ونائبه) اللذين يبيعان البلاد للامبرياليين ويخونان الشعب » ..

وهي ترمي ايضاً الى« فهم وتطبيق نظرية الرئيس ماو عن الحرب الثورية» لتقوم بعــد ذلك بتعبئة الجماهير الفلاحية ، وشن صراع مسلح ينطلق من قواعد ريفية ، وزيادة حدة الحرب الشعبية ، والتقدم من الريف لتطويق المدن والاستيلاء بعد ذلك على السلطة في البلاد . وتستطيع « الجبهة » بفضل هذا البرنامج الذي تشتم منه رائحة الماويـة ان « تشن حرب العصابات في ثلاثين مقاطعة من مقاطعات البلاد التي يبلغ عددها ٧١ مقاطعة » . وتتطور حرب العصابات بصورة خاصة في جنوب البلاد قرب مالـيزيا ، وفي غرب المقاطعة المركزية ، وفي الشمال الغربي وفي الشمال والشمال الشرقي حيث تكثر الأدغال الجبلية المحاذية لحدود بيرمانيـا ولاووس . ويعمل في الشمال الشرقي بصورة خاصة عـــدة آلاف من الثوار الديناميكيين يدعمهم حوالي ٥٠ ألف لاجىء ينحدرون من اصل فيتنامي ويتعاطفون مع فيتنام الشمالية .

ولتخفيف هذا الخطر ، يقـدم الامريكيون لتايلاند مساعدة كبيرة « في جهودها لتحديد ومراقبة وإخماد العصيان الشيوعي داخل المناطق الريفية » .

ويزيد مشروع « تعجيل تطور الريف » نشاطه بلا انقطاع « بغية ردم الهوة القائمة بين الحكومة والجماهير الفلاحية » . ولقد تم شق عدد من الطرق الجيدة. وزيدت وسائل الاتصال وأماكن العناية الصحية ، كما انتشر بشكل واسع جهاز كبير من مخافر الشرطة . ففي المنطقة الشمالية الشرقية وحدها انشىء ٢٥٠ مخفراً للأمن، وخلقت ١٢٫٠٠٠ فرصة عمل جديدة اضافية نظراً لتطويع هذا العدد من رجال الشرطة . وفي قلب المناطق التي ينشط فيها الثوار ، وفي قاعدتين توجد أولاهما على ٢٣٠ كم شمال بانكوك على حين توجد الثانية على بضعة كيلومترات فقط من الحدود مع لاووس ، يقوم ٥٠٠ من رجال « القبعات الخضراء » التابعة للقطعات الخاصة الامريكية بتدريب القطعات الخاصة التايلاندية على الحرب ضد العصابات . وهم يملكون عتاداً ضخماً ، وحوالي مائة طائرة هليكوبتر ، ودعم جوي جيد مخصص لقصف البؤرات الثورية التي تشكلها العصابات .

وتنطلق الطائرات لمثل هذه المهمات من القواعد التايلاندية التي يتزايد فيها عدد الامريكيين عاماً بعد عام. وتلعب القواعد الامريكية دوراً رئيسياً في تطوير العمليات الجوية في فيتنام الشمالية ، كما انها تستخدم كمخزن للدبابات والمدافع والعربات والمعدات من كل نوع ، والمعدة دائماً لتجهيز فرقتين على الأقل تستطيعان الوصول الى العاصمة اللاووسية خلال عدة ساعات فقط، بفضل استخدام طريق واسع معد لهذا الغرض . وبالاضافة الى ذلك فان القاعدة البحرية في ساتا هيب تشكل بملاجئها الاسمنتية المطمورة اكبر مستودع عسكري في آسيا ... وهي مجهزة بشكل جيد يسمح بتأمين الاقامة والتموين والاصلاح لقطعة عسكرية امريكية كبيرة من القوات القائمة بمراقبة خليج سيام، وتأمين الاتصال البحري مع فيتنام .

ردة الفعل في فيتنام الجنوبية :

يؤدي البؤس والتعاسة في فيتنام الجنوبية الى تسميم الجو السياسي والخلقي.

ولا يثق الشعب مطلقاً بإدارة فيتنام الجنوبية . وهو يحس بأن الروابط الأخيرة التي تربطه بها تتعرض للارتخاء بشكل مستمر . وتشبه الخدمات العامة التي تضخمت فيها أجهزة الادارة نباتاً فطرياً يرتكز على ساق رفيعة بلا جذور . ويضاف الى ذلك اختلاسات متزايدة . وفي بعض المناطق، وعلى بعض المستويات ، يصبح « البقشيش » عملة متداولة . وهناك نوع من الاقطاع الذي يستثمره بعض كبار السادة الضاربين بجذورهم وسط الوزارات والادارات .

ومنذ بداية الحرب كشف عدد من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي من الجمهوريين أو الديموقراطيين ان « جميع أجهزة الادارة في فيتنام الجنوبية تعيش في فساد شامل » . وفي فيتنام نفسها صرح المسؤولون السياسيون ان مكافحة الفساد تمتد على كافة المستويات داخل الجهاز الاداري . وفي مارس (اذار) ١٩٦٨ قدم أحد المسؤولين الامريكيين عن إحلال السلام استقالته احتجاجاً على الفساد العام . وفي الوقت نفسه اجتمع ٢٢ مستشاراً امريكياً ممن عملوا في فيتنام الجنوبية ٤ سنوات داخل أجهزة المساعدة الاقتصادية ، ونشروا تقريراً يقول بأن « الفساد في فيتنام الجنوبية يشكل جزء من الحياة اليومية . ويشمل جميع أنساق الادارة والمجتمع ، ويحطم حيوية الأمة ، وينخر عظام الحكومة ، ويطيل مدة الحرب بلا جدوى » .

وتزدري هذه الحرب كل القيم المعنوية والخلقية ، ويصيب الانحطاط عالماً كاملاً غارقاً في الوحل ، وتتزايد جرائم الأحداث بشكل ملحوظ ، وتسبب الخلاعة فساداً رهيباً . وفي الأماكن الخاصة في سايغون يجتمع مدمنو الأفيون في أماكن مشبوهة ويشترونه من تجاره السريين . وفي شالون وهي مدينة صينية قريبة من العاصمة ، يسهر « كبار القوم » حول موائد القمار ووسط جو من الملذات ليجمعوا أو يبددوا ثروات هائلة بشكل يذكرنا بالأجواء التي كانت سائدة أثناء حرب الفرنسيين في الهند الصينية . وتنقلب الشوارع

والملاهي والخمارات الى مواخير حقيقية . وتجد ثلة من المستغلين في تعاسة البلاد وبؤسها فرصة للاثراء . وليس هناك مركز تنظيمي لا يوجد فيه مثل هذه الحثالة التي تمسك بزمام الأمور وتحصل على المجد والربح . ولقد اصاب الفساد الأوساط القيادية نفسها . لذا فاننا نرى المسؤولين في النظام ، والقادة العسكريين ، وكبار الموظفين ، يعيشون في بذخ مرعب . وتشكل قصورهم وفيلاتهم الفخمة وسياراتهم الامريكية الكبيرة الدليـــل الواضح على وجود مجتمع مهترىء متفسخ يعيش فيه الثراء وسط البؤس الشامل .

لقد قال اريسطو بان « تفسخ الدول » يؤدي الى كثير من الذل ... ان إشاعات الانقلابات الكثيرة في سايغون تحضر المجتمع للعنف وتفتح الطريق أمـــام الفتنة . وتدفع كل جماعة الى السلطة بشكل غير شرعي عدداً من العسكريين أو المدنيين المتحمسين المتشنجين الذين يدفعهم طموح كبير ، وأنانية جامحة ، ورغبة بتحقيق المكاسب الشخصية . وهم لا يبحثون عن ايجاد افضل حكومة ، ولا ينصب همهم إلا على طرد الحكومة الموجودة .

وآخر حكومة جاءت بهذا الشكل هي حكومة الجنرالين ثيو وكاوكي[1] التي جاءت بعد سيل من الانقلابات تنافست فيها اتجاهات متباينة غامضة ، ودفعت بحمـــاة النظام الامريكيين الى عزلة أكبر . ويمكن أن نصنف هذه الحكومة بأنها تعسفية تملك رغباتها قوة تعلو على قوة القانون. وهي تتستر وراء برلمان هزيل يعين المسؤولين في المقاطعات والأقضية ، وتلغي الحريات المحلية

---

(١) في ٢٠ فبراير « شباط » ١٩٦٥ قام الجنرالان نغوين كاوكي ونغوين فان ثيو بقلب حكومة الجنرال نغوين خانه . وفي ١١ يونيو « حزيران » ١٩٦٥ قام هذان الجنرالان بانقلاب آخر وأسقطـــا الحكومة المدنية لفان هوي كوات . ثم تقاسما وظيفتي رئيس الوزراء ورئيس « مجلس الادارة الوطنية » . وفي سبتمبر « ايلول » ١٩٦٧ انتخب « ثيو » رئيساً لجمهورية فيتنام الجنوبية كما انتخب « كاوكي » نائباً للرئيس . ومنذ ذلك الوقت وهما في تنافس مستمر ، وتأخـذ علاقاتهما أحياناً شكلاً من العنف الدرامي .

وتحتكر الحقيقة ووسائل الإعلام . وتدل دعاياتها السياسية في كل مكان على أساليبها التوتاليتارية . وتقوم الاذاعـــة والتلفزيون والصحافة « المشتراة » ودعايات الدعاة في المدن والقرى ، وتجنيد الشبيبة وخلق اسطورة الزعيم والمسيرات الهستيرية الجماعية ، والمناداة بحرب صليبية ضد الشيوعيين، والأغاني الحربية وصرخات القتال ، بإعداد وضع نفسي يساعد على التشنج والارهاب . كما ان الخوف من الشيوعية الذي غذته الدعاية الحكومية عبر السنين غدا اليوم قوياً يخفي النوايا السيئة تحت ستار المحافظة على النظام ، ويجد للانتقام مخرجاً ويقوي موقف المتشنجين الذين يرون « الحمر » في كل المعارضين ، ويسلّمهم الى الجماهير الهائجة لتقتص منهم ، منمياً بذلك روح التجسس ومظاهرها المعروفة التقليدية : كدفع النقود مقابل الوشاية ، واستخدام المساومة والضغط، وازدياد نفوذ الجواسيس والعملاء .

ومع استخدام هذه الأساليب يتضاعف وهم الحكام واعتقاداتهم بقوتهم . ولكن مرارة الشتائم المنهارة على الرؤوس ، والنفور من القمع يشكلان انذاراً لا يمكن تجنبـــه . ففي كل مكان تنتصب الانتلجنسيا والبورجوازية الليبرالية ضد « الدكتاتورية العسكرية » . ولكن هذه الدكتاتورية لا تستسلم بسهولة بل تستخدم في عقابها كثيراً من الصفاقة والعنف والخبث . وهي تحاول « ان لا تضرب إلا ويدها في قفاز مخملي » . ولكنها لا تتردد عن سحق الثورة الشعبية في وسط فيتنام تحت طوفان من قنـــابل الطائرات [1] . ففي يونيو (حزيران) ١٩٦٦ أمرت باحتلال مدينة هوي التي خيم عليها رغم الاحتلال صمت عميق . والحقيقة ان هذه العاصمة الأنامية القديمة كانت قد تمردت قبل شهرين وسارت خلف الرهبان البوذيين والجامعيين والطلبة منادية « تسقط دكتاتوريـــة ثيو – كي .. يسقط الامريكيون » ، ولكن الحكومة اعتقلت

---

(١) في ٢٠ مايو « ايار » ١٩٦٦ وقع خلال تمرد معسكر دانانغ اكثر من ٢٠٠ قتيـــل و ٨٠٠ جريح .

الكثير من الرهبان البوذيين والجامعيين والطلبة وألحقت بهم خلال السنوات التي تلت ذلك ، وخاصة بعد هجوم رأس السنة الفيتنامية « Tet » عدداً كبيراً من الشخصيات المرموقة – رهبان بوذيين ، محامين ، أطباء ، جامعيين – ممن قطعوا علاقتهم كلية مع النظام العسكري [1] . ويتحدث كثير من كبار شخصيات البرلمان والحكومة في مجالسهم الخاصة عن تخوفهم من هذا النظام ومقتهم له . وينتقدون السلطة التي ينتفض الشعب ضدها ويسدد لها في كل مكان ضرباته القاسية .

ويلاقي « برنامج العمل المشترك » في الدلتا أو في النجود العالية فشلاً ذريعاً رغم ما يطرحه من تدابير لاحلال السلام ، نظراً لأنه لا يحظى بتأييد هذا الشعب الذي لا يمكن بدونه ان نبني اكثر من قصور من الورق . ولقد طرح هذا البرنامج إعادة بناء وإصلاح القرى والدساكر التي تلقت ضربات من الشيوعيين » ولكنه اصطدم مع روح العداء التي تجابه عادة « رجال الشرطة » و « الاطارات الثورية [2] » ورجال « قوات الدفاع السلبي [3] » الذين يحاول بعضهم إجراء الاصلاحات بشكل صحيح ، ولكنهم يسيرون جميعاً في طريق مسدود ، ويعيشون وسط الأوهام . أما قوات الفيتكونغ التي يدعون بأنها مشتتة وبلا معنويات فإنها تزيد ضغطها وتوسع نطاق عملها . ولا تلاقي

---

(١) ومن بين الموقوفين عدد من الوزراء القدامى مثل : وزير الاقتصاد الوطني السابق تروونغ ثانه ، وتروونغ دينه دزو الحائز على المكان الثاني في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٧ ، وهو توونغ مينه وزير الدفاع في عام ١٩٥٥ .

(٢) « الاطارات الثورية » جهاز خلقته الحكومة العميلة . وكان تعداده في عام ١٩٦٨ حوالي ٦٠٫٠٠٠ رجل يعملون داخل ٨٠٠ مفرزة لاحلال السلام . ومن اول مهماتهم ايقاف العنف والارهاب عن طريق المساعدة الاقتصادية والاجتماعية ، واعادة تنظيم الادارة الريفية .

(٣) « قوات الدفاع السلبي » جهاز خلقته الحكومة العميلة . ووصل تعداده في عام ١٩٦٨ الى ٢٠٠٫٠٠٠ رجل مسلحين بالبنادق الامريكية ، مهمتهم المحافظة على الامن ومنع تسلل رجال جبهة التحرير الوطنية .

شعارات حكومة فيتنام الجنوبية مثل « الصراع من أجل الحرية » و « النظام الاجتماعي الجديد » أي نجاح . انها عاجزة عن إثارة أي حماس ، ولا تخلق إلا مزيداً من الهمم المثبطة . وهي تثير شكاً مقلقاً يقتل كل أمل . وتؤكد الضرائب المتزايدة ، والمصادرات ، والنهب ، والتوقيف التعسفي بأنه ليس هناك قوة قادرة على خنق المقاومة الشعبية . ويقلق حجم هذه المقاومة بال الصحافة الامريكية التي يبدو عليها طابع التشاؤم .

وقد تم إحصاء وترحيل حوالي خمسة ملايين لاجيء اعتباراً من خريف ١٩٦٤ [١] . ولقد استقر بعضهم في المدن دون أي دعم حكومي . وتلقى البعض الآخر مساعدات هزيلة ، وسكنوا في أماكن إقامة قميئة وسط شروط لاانسانية ، بعيداً عن أرض آبائهم وأجدادهم . وهناك عدد قليل عاد الى أرضه بعد أن لاقى مشقات هائلة ليعيش هناك وسط القلق والخوف . ويشير تقرير اجتماعي هام الى أن « هذه الحركات غير المراقبة تخلق ظروفاً ملائمة لانتشار الامراض المعدية ، وتسمح بجعل هذه الأمراض وباء شاملا » . وهكذا تضع الحرب السلطات الامريكية وسط جو من التردد والحيرة من الناحيتين الصحيه والسياسية . فإذا تذكرنا ان الاستراتيجية السياسية هي الدعم الأساسي للاستراتيجية العسكرية استطعنا فهم أسباب قلق القيادة الامريكية العليا .

---

(١) لقد تمت أهم الحركات في السهول الساحلية الشمالية لفيتنام الجنوبية وفي الدلتا وقرب سايغون وقرب المثلث الحديدي . وكان هناك حوالي مليوني لاجيء مكدسين في المعسكرات قبل هجوم رأس السنة الفيتنامية لعام ١٩٦٨ . وارتفع عدد اللاجئين الجدد بسرعة من ١ حتى ١٣ فبراير « شباط » ٦٨ حتى ٦٢١٫٠٠٠ لاجيء منهم ٣٠٫٠٠٠ في هوي وحدها . ٢٥٦٫٠٠٠ في سايغون .

الفصل الثامن

الاستراتيجية العسكرية

استراتيجية مختلف الصفوف

المبادىء الأساسية :

توجه الاستراتيجية الامريكية لمختلف الصنوف عمل القوات البرية والجوية والبحرية ، وهي تتحكم بتجميع القوات والمعدات والذخيرة للجيوش الثلاثة (البرية والجوية والبحرية)، وتحقق لهذه الجيوش على مستوى مسرح العمليات الفيتنامي كل المناورات والتركيبات الاستراتيجية [١] ؛ ولهذا فهي تتطلب قيادة على درجة عالية من الكفاءة . والقيادات الاستراتيجية الامريكية في

---

(١) ان أية مناورة تقوم بها فرقة أو سرب جوي أو بحري وتعتبرها القيادة العليا لمسرح العمليات الفيتنامية ضمن اطار مناورتها العامة تدخل في حقل الاستراتيجية لمختلف صنوف الأسلحة . ولكن اذا نظرنا اليها من وجهة نظر قائد الفرقة أو قائد السرب وجدنا انها تشكل معضلة تكتيكية .

فيتنام هي دائماً قيادات على ثلاثة أنساق قياديـة عسكرية . وهي تتبع ثلاثة مبادىء عامة ثابتة وهي : القوة والامن والاقتصاد بالقوى ، وتتطلب قدرة كبيرة على التنظيم والتوقع والتنسيق والتوزيع والتخصص . وتتمتع القيادة الامريكية بهذه الصفات بشكل ممتاز . ولكن اذا كان بوسع هذه القيادات أن تقوم بعملها بشكل جيد في الحرب التقليدية ، فإن التجربة تدفعنـــا الى الاعتقاد بأنهـــا لا تستطيع ان تستخدم في الحرب الثورية استراتيجية فعالة كتلك التي كان بوسعها استخدامها بفعالية فوق حقل المعارك في أوروبا أو في المحيط الهادىء .

القيادة الاستراتيجية :

وفي واشنطن يقوم وزير الدفـاع بمساعدة ثلاثين من « الأدمغة » المدنية والعسكرية بتحديد الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة الامريكية . وهو يمارس سلطته على القوات المشتبكة في فيتنـــام عبر طريق سلسلتين قياديتين .

السلسلة الأولى هي : سلسلة القيادة والادارة العضوية عبر أمناء سر الجيش والبحرية والطيران ، المكلفين بالإشراف على إعداد وإدامة القوات التابعة لهم، وإدارتها ودعمها إدارياً .

والسلسلة الثانية هي : سلسلة القيادة العملياتية عبر هيئة رؤساء الأركان المكلفة بإعداد الخطط العسكرية ، والعاملة مباشرة مع قيـادة القوات المسلحة في سايغون .

وتقع القيادة العامة للقوات الامريكية العاملة في فيتنام في مطار ثان سون نوت . ويملك هذا البنتاغون المصنوع من الاسمنت المسلح عقلاً اليكترونياً يعمل من برج كهربائي وستة ملاجىء ذريـــة ، وتحرسه حواجز مكهربة ، وكتيبة من الشرطة العسكرية ، وفوج من المدرعات و ٢٠٠ كلب بوليسي ،

ومخفر شرطة يشبه شكله الخارجي شكل برج دبابة ضخم . وهو يعد ويقود ويراقب العمليات من كل نوع (عمليات عسكرية عادية ، وعمليات البحث عن المعلومات على مستوى عال) فوق الأرض الفيتنامية والكامبودية واللاووسية والتايلاندية . ويقوده القائد العام الذي كان في بداية الأمر الجنرال ويستمورلاند ثم أعقبه الجنرال أبرامز بعد ٢٤ مارس (اذار) ١٩٦٨ .

القيادة العليا : الجنرالان ويستمورلاند وأبرامز :

يمثل الجنرال ويليام تشيلد ويستمورلاند الجيش الامريكي خير تمثيل . فهو ضابط طويل القامة ، عريض المنكبين ، جريء ، يتمتع بقيم معنوية عالية . وهو يحمل آمال هذا الجيش على طريق مليء بالأشواك والعقبات . ويوحي تكوينه الحربي ، وذقنه التي تنم عن الإرادة ، ونظرته الحادة ، ووجهه الصلب تحت عمرة تحمل أربع نجمات بيضاء ، بأن هناك إرادة صلبة لرجل قد من صخر ، مستعد لأن يستخدم القوة بكل معانيها ، ويسطر التاريخ بحد سيفه .

فبعد التخرج من « الكلية الحربية الوطنية » بشكل مبرز ، قاد ويستمورلاند فوج مدفعية ، ثم غدا قائداً لفوج مظليين ، وظهر في الحرب العالمية الثانية كقائد ممتاز إذ كان يقاتل بلا انقطاع ، ولا يترك للالمان مجالاً للراحة ويتعقبهم في كل مكان . وعندما بلغ من العمر ٤٢ عاماً كان أصغر جنرال امريكي . ومنذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ قادته جاذبيته الشخصية ، وذكاؤه الحاد ، وإعداده التقني لأن يكون على رأس كلية ويست بوينت العسكرية ، وقيادة الطيران الاستراتيجي من بعد . وفي يناير (كانون ثاني) ١٩٦٤ ذهب الى فيتنام الجنوبية كمساعد للقائد العام الجنرال بول هاركينز . وفي ابريل (نيسان) سماه جونسون قائداً عاماً على أن يستلم مهام منصبه اعتباراً من ١ أغسطس (آب) . وكان عمر الجنرال آنذاك ٥٠ عاماً . وبدأ ويستمورلاند يفرض نفسه بسرعة . واجتمع مع كافة المسؤولين عن القيادات والمصالح في الأنساق العليا . واهتم اهتماماً بالغاً بالقوات المقاتلة ، ونقل إرادته وحماسه ومعنوياته الى جميع المنفذين.

وصار يندفع الى حيث تجري الأحداث القاسية ليشارك جنوده فيها ويغامر معهم بحياته دون مبالاة . ويأخذ القرارات ويتطلب الكثير من الآخرين ، ولكنه يفرض على نفسه ما هو أكثر . وهو يراقب ويرى كل فرد ويتحدث معه ويقول له ما يبعث الثقة ويجلب الاحترام .

ولكن هذه الحرب الثورية المريرة لم تلبث أن ظهرت له على حقيقتها . فهي لا تشبه المعارك التقليدية التي خاضها في تونس أو النورماندي ، وتضع في مجابهته « جيشاً من الأشباح » وعدواً يختلف عن الأعداء الذين قاتلهم على حقول المعارك . انها تخدعه وتفقده الأمل أحياناً ، ولكنه لا يدع ذلك يظهر عليه . كما انها تحبط الحسابات الدقيقة القادمة من واشنطن مهدمة مخططات اولئك الذين يحاولون حل هذه المأساة . ولكنها لم تستطع رغم كل هذا ان تفقده صفاء تفكيره الذي ظهر واضحاً في ٢٤ اكتوبر ١٩٦٦ خلال مؤتمر مانيلا عندما عرض بلا مواربة الموقف في فيتنام . وفي ابريل ١٩٦٧ وبناء على توجيهات البيت الابيض أخذ يسافر بلا انقطاع الى الولايات المتحدة الامريكية . وكان يخاطب الشعب الامريكي بالاذاعة والتلفزيون عن مخططاته التي ستقود الى النصر ، ويعطي الأمل والتفاؤل . ولقد تحدث مطوّلاً مع زعماء الحزبين (الديموقراطي والجمهوري) ، وحكام الولايات . وهاجم أمام اتحاد أصحاب الصحف العاملين في دوامة السياسة تصرف المتظاهرين المنادين بالسلام . واتهمهم بأنهم « خونة يستمعون الى غناء جنيات البحر » . وألقى خطاباً باهراً بحضور مجلسي الشيوخ والنواب المجتمعين في الكابيتول ، وحدد بإلحاحه المعروف الدعم الذي يطلبه وإيمانه العميق بالنصر . فظهر آنذاك وكأنه قد هزم خصمه وخاصة عندما قال : « فإذا ما استخدمنا قوتنا النارية ، وقدرتنا الحركية العالية ، كان بوسعنا ان نحقق في عام ١٩٦٨ انتصارات تزيد على الانتصارات التي حققناها في عام ١٩٦٧ » .

ولم يكن صدى أقواله المتفائلة قد أختفى عندما ذهل العالم بهجوم

الفيتكونغ الصاعق على مدن فيتنام الجنوبية في وقت أخذ فيه فخ خيه سانه يطبق على خمسة آلاف من مشاة البحرية . وألقى هذا الهجوم ظلا كئيباً على البلاد ، وأصاب بالدهشة والذهول الامريكيين التائهين من قوة هذه الضربة المفاجئة . وانعكست خطورة الموقف وآلاف الصعوبات والشكوك الناجمة عنه انعكاساً واضحاً على الصحافة . وقالت صحيفة جورنال وول ستريت في عدد ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ « هناك سؤال لا بد من طرحه وهو : هل تملك القيادة العسكرية الحالية الموهبة والخيال المبدع الكافيين لقلب الموقف ؟ » . وفي الأسابيع التالية نشرت النيورك تايمز اجزاء متعددة من تقرير نهاية السنة الذي كان الجنرال ويستمورلاند قد أرسله في ١ يناير (كانون ثاني) الى البيت الابيض . والذي يتحدث فيه القائد العام عن ان قواته « كشفت هجمات فيتنامية واسعة في الوقت المحدد ».. « واستطاعت القضاء عليها بهجمات معاكسة سريعة » . وبينت الصحيفة ان الهجوم العام على مدن فيتنام الجنوبية يكشف خطأ توقعات ويستمورلاند وسوء تقديره . ثم كتبت الصحيفة نفسها في عدد ٢٥ مارس (اذار) ١٩٦٨ حول هذا الموضوع وذكرت ضرورة وضع « استراتيجية جديدة قادرة على تحقيق هدف البلاد المحدد » . وفي هانوي تحدثت صحيفة حزب العمال نهان دان بقسوة عن « افلاس الحرب العدوانية الامريكية » وشبهت الجنرال ويستمورلاند « الذي طاردته القوات الشعبية والجماهير بنمر سجين في قفص بعد ان فقد أنيابه ومخالبه » .

بيد أن جونسون دعمه بلا تحفظ ، وأفهم الجميع بأنه يمنحه ثقته المطلقة . والمعروف ان الحكومة عندما تريد التخلص من قائد ما فإنها تغمره بالورود ومظاهر التشريف العسكري . ولهذا تم تعيين الجنرال ويستمورلاند رئيساً لأركان القوات البرية في البنتاغون ، فلم ينس ان يصرح قبيل سفره بأنه يأسف لترك منصبه قبل انتهاء المعارك « ولكنه فخور لأن القيادة اختارته لمنصبه الجديد الهام » . وهكذا ارتحل الجنرال بهدوء بعد أن صرح « بأنه يثق ثقة

مطلقة بإمكانيات وسلطة خلفه » الجنرال كريغتون أبرامز ، الذي كان من قبل مساعده في سايغون وزميله خلال دورة الكلية الحربية في ويست بوينت .

وهكذا جاء الجنرال ابرامز (٥٤ سنة) ليحل رسمياً محل الجنرال ويستمورلاند في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ ، وليكون قائداً عاماً للقوات الامريكية في فيتنام. ان كل ما في هذا القائد القوي ذي النظرة المستقيمة والوجه المعبر يوحي « بجاذبية عسكرية » . ولكنه لا يملك حيال مساعديه السلطة والهيبة اللتين كان يملكهما سلفه . وهو اختصاصي في حرب الحركة ، قـــاد قطعة متقدمة في الخرق الذي قاده في الحرب العالمية الثانية من النورماندي الى قلب أوروبا . وعندما قام الالمان بهجومهم المعاكس في الآردين دفع ايزنهاور نحو باستوني الفرقة ١٠١ المحمولة جواً ، وتعرضت هذه الفرقة لخطر جسيم من ٢١ حتى ٢٦ ديسمبر (كانون اول) ١٩٤٥ ولكنها صمدت ببطولة أمـــام الهجمات الالمانيـــة ، عندها أمر الجنرال باتون المقدم ابرامز قائد الجمهرة الاحتياطية للتقدم وتخليص الفرقة ١٠١ . وبالفعل كان ابرامز اول من شد على يد الجنرال أوليف قائد الفرقة المحاصرة بعد فك الحصار ، وكان معطفه آنذاك ممزقاً وحاملة خرائطه مصابة بعدة طلقات . ولقد طافت هذه الصور التاريخية في طول امريكا وعرضها ، وأخذت مكانها في تاريخها العسكري . ويجسد الجنرال ابرامز التقاليد العسكرية والقيم المعنوية العالية الخاصة بالثبات تحت النار ، والعنف في الهجوم المدرع . وهو ينقل الى جميع مرؤوسيه صفات سلاحه (المدرعات) وهي : الهدوء والتجرد المطلق ، والمبادهة الجريئة ، والتوقع السريع ، والتنفيذ المتسارع .

ولقد عين في عام ١٩٦٤ كمساعد لرئيس أركان الجيش البري . ثم أرسل بعد ذلك الى فيتنام حيث شغل منصب مساعد القائد العـــام ، فاهتم بصورة خاصة بتنظيم العلاقات بين الجيش الامريكي وجيش فيتنام الجنوبية . وخصص جزء هاماً من نشاطه لدعم القدرة العسكرية والقتاليه لجيش سايغون . وهو يرى

بأن مهمة هذا الجيش القتالية تعتمد على الاندفاع والايمان . والحقيقة ان جيش فيتنام الجنوبية بحاجة الى ايمان كبير كيما يستطيع مجابهة رجال الفيتكونغ !

نظرية الدومينو والمهمات الاستراتيجية للقوات الامريكية :

لقد ارتكب ابرامز خلال وجوده في فيتنـــام خطيئة فاحشة في تقدير حقيقة الحالة الفكرية والمعنوية لجيش فيتنام الجنوبية وشعبها . ثم جاء هجوم رأس السنة الفيتنامية ، والتمزق النفسي الذي رافقه ليؤكد له وجود غموض عميق في هذا الصدد . فكيف يمكن إذن حل المعضلات الملحة ؟ وكيف يمكن السيطرة على وضع صعب يتزايد مع الايام تعقداً ؟ وكيف يمكن إعطاء الفرص المناسبة للمفاوضين الامريكيين للوصول الى حـل وسط لا بد منه يتلاءم مع مصلحة امريكا ؟

وللوصول الى كل هذا ، أخذ ابرامز على عاتقه تطبيق نظرية الدومينو[1] التي دافع عنها الاستراتيجيون الامريكيون في مختلف الأوقات . وتقول هذه النظرية ان من الضروري اعتبار فيتنام كقلعة مقاومة ضد الشيوعية . وعلى العملاق الامريكي أن لا يتهاون مطلقاً مع صنـّاع الاضطرابات والتفتيت ، لأنه إذا ما ترك فيتنام بين أيديهم كان ذلك إيذاناً بانهيار كل سلسلة الحماية في جنوب شرقي آسيا ، وتدمير هذا الشكل الجديد من « الاحتواء » والسد أمـــام

---

(١) في ٢١ نوفمبر « تشرين ثاني » ١٩٦٦ صرح السيناتور هنري كابوت لودج سفير امريكا في سايغون خلال حديث صحفي مع يو.ا س. نيوز اندورلدريورت في ٢١ نوفمبر بما يلي :

اننا اذا تركنا فيتنـام نجم عن ذلك نتائج خطيرة في البلدان المجاورة كتايلاند والفيليبين وماليزيا وفورموزا . ولن تلبث اليابان واستراليا حتى تشعران بأنهما مهددتان . ان جهدنا الحالي هو في الحقيقة أفضل ما يمكننا عمله لتحاشي حرب غير محدودة أسوأ من حربنا الحالية من جميع الوجوه .. وكان دين راسك قد شرح في ٢٣ كانون اول ١٩٦٤ نظرية الدومينو نفسها عندما قال « ان خسارة فيتنام تعني بأن عقيدة الصينيين الحمر لن تقف عند حدود فيتنام ، بل ستنتقل الى البلاد المجاورة بلداً إثر آخر ».

« الخطر الصيني » الذي يتدخل ليبطل كل حسابات الحرب الفيتنامية، ويقلبها رأساً على عقب . ان السرعة التي تزيد الصين فيها قوتهـا العسكرية تقلق الاستراتيجيين الامريكيين ، وهم يودون إنهاء حربهم دون اصطدام أو مأساة كيما يحققوا في أفضل الشروط تنفيذ مخططهم الاستراتيجي الذي يمكن إيجازه منذ بداية الصراع بمحاولة إغلاق فكي الكماشة . ويتمثل الفك الأول بالهجوم العسكري الذي يبيد قوات الفيتكونغ ، على حين يتمثل الفك الثاني بإحلال السلام في الريف ، الأمر الذي يفقد القواعد الثورية وقوات العصابات جزءاً كبيراً من قوتهـا . ولتحقيق كل هذه الأمور حدد الامريكيون أهدافاً استراتيجية لا بد من الوصول اليها وهي :

١ – **تحسين قدرة الامريكيين القتالية** : وخاصة القدرة البرية بغية تحطيم طوق الفيتكونغ ، وفتح طرق المواصلات الاستراتيجية ، وتعريض نطـاق الامن المضروب حول القواعـد ، وخلق شروط حرية الحركة الملائمة لدفاع قوي مبني على الحركية والهجمات المعاكسة القوية التي تمنع العدو من القيـام بهجمات واسعة النطاق .

٢ – **تأمين « السلام » في البلاد** : وهذا يعني ، نزع « الماء » من البركة كيما يسهل اصطياد « السمك » . وذلك عن طريق جهد سياسي عسكري مشترك . ان عوامل الاستطلاع والدعاية والحرب النفسية تزرع الاضطراب في مؤخرة الخصم ، وبهذا تضيق حلقة الشبكة بصورة مستمرة ، ثم تأتي الأسلحة لتحدق بها بالتدريج قبل أن تطبق نهائياً على الهدف . ويكون دور الأسلحة هو أن تستنزف وتضرب وتمشط .

٣ – **البحث عن قوة العدو العسكرية لابادتها** : وذلك بتدمير قواعدهـا ومنعها من اللجوء اليها ، وإجبارهـا على الاشتباك في معركة نظامية تسمح

للقوات الامريكية باستخدام تفوقها الناري الهائل ، وتطبيق الأساليب التي تستطيع تنفيذها بكل نجاح .

٤ – **تطويق وعزل الثورة في فيتنام الجنوبية** : وهذا ما يتطلب زيادة حدة ضرب فيتنام الشمالية بالطائرات والأسطول والمدفعية البحرية . وجعل تسلل الفيتناميين من شمال البلاد الى جنوبها عملية صعبة كثيرة التكاليف حتى لا تزداد قوة الثوار بالرجال والعتاد . علماً بأن كل قوة تأتي من الشمال تتطلب إرسال قوة امريكية الى الجنوب يقدّر تعدادها بناء على حسابات خاصة بحرب العصابات .

الشؤون الادارية والقواعد :

ان كل هذه القطعات وعتادها وسلاحها من كل نوع تتطلب شؤوناً إدارية متعددة . وتتعلق الشؤون الادارية بعمليات التموين من مختلف الانواع ، كما تتعلق بإيصال التموين الى حيث يجب أن يصل (وهذا يعني ارتباطها بالمواصلات) ، وتوزيعه بعد ذلك عبر قواعد مرور أو قواعد عمليات . ولذا يمكن اعتبار الشؤون الادارية عملاً من أعقد الاعمال في الفن العسكري . وهي تحتل مكاناً هاماً على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي . وتشكل في فيتنام عاملاً أساسياً يتدخل في تحديد قدرة القيادة على العمل .

ولقد أدى افتتاح مسرح العمليات الفيتنامي الى جلب عتاد ومعدات يبلغ وزنها ما يعادل ٤٠ طن لكل مقاتل [١] . ثم تلا ذلك تموين يعادل ٢٫٥ طن لكل رجل في الشهر . ويتراوح التموين اليومي لأربع فرق بين ٥٦٠٠ – ٦٢٠٠ طن . وللوصول الى تحقيق مثل هذه الحاجات قامت آلاف الطائرات والمراكب والعربات والقطارات بنقل أعداد غفيرة من الرجال ، وأكداس هائلة من العتاد والمعدات (سيارات ، ذخائر ، محروقات ، قطع غيار ، تجهيزات تخييم ،

---

(١) كان زج جندي في المعركة يتطلب في عام ١٩١٤ أربعة أطنان من المعدات والعتاد .

مؤونة .. الخ[١]) . الى مساحة تبعد عن الولايات المتحدة الامريكية بأكثر من ١٦٫٠٠٠ كلم . فإذا عرفنا طول المسافة المقطوعة وضخامة المواد المنقولة استطعنا تقدير الجهد الجبار الذي قامت به مصالح الجيش ومؤسساته الادارية .

لقد قدمت هذه المصالح والمؤسسات للقوات المقاتلة دعماً إدارياً كاملا ، وعرفت كيف تتوقع وتقدر عدد الاشخاص[٢] اللازمين لاستقبال كل المواد والمعدات وخزنها وإدامتها وتوزيعها. وأمنت حركة كل شيء بفضل نظام نقل مدروس بعناية ، وتوقيت مطبق بكل دقة . ولقد وصل وزن المواد المنقولة الى أرقام هائلة إذ كان ٤٠٫٠٠٠ طن في يوليو (تموز) ١٩٦٤ ثم ارتفع بعد سنتين الى ٧٠٠٫٠٠٠ طن[٣] . ولم يأت تموز ١٩٦٨ حتى اصبح ١٫٢٠٠٫٠٠٠ طن . واستخدمت عملية النقل ٣٥٠ مركب شحن تعمل بين سايغون والمرافىء المحلية الاخرى بالاضافة الى ٢٢٠ مركب شحن عسكري تابعة لمصلحة النقليات البحرية العسكرية و ١٥٠ مركب شحن مدني تابعة للشركات الخاصة ، و ٤٥٠ طائرة ذات أربعة محركات C - 133 و ١٨٠ طائرة نقل ثقيلة C - 141 . وفي ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ أمنت قيادة النقل الجوي العسكري الامريكي

---

(١) اذا أخذنا مادة المؤونة والاعاشة فقط كمثال على ما ينقله الامريكيون الى فيتنام ، وجدنا أنهم جلبوا في تموز ١٩٦٧ ، ٨٠ مليون وجبة طعام من نموذج ب ، و ٢٠ مليون علبة حليب ، ومليوني علبة بطاطة حلوة ، و ١٥ مليون علبة عصير برتقال ، و ١٨ مليون كيس صغير من البن المسحوق « نسكافه » ، و ٢٠ مليون زجاجة كوكاكولا ، و ٢٥ مليون زجاجة مياه معدنية .

(٢) بلغ عدد هؤلاء الاشخاص ٣٢٠٫٠٠٠ جندي و ٥١٠٫٠٠٠ موظف مدني يضاف اليهم ٧٧٠٫٠٠٠ مستخدم كرسوا في عام ١٩٦٨ كل جهودهم لتحسين سير عمل المصالح في المؤخرات ،

(٣) يعادل هذا الرقم مستوى النقل خلال الحرب الكورية .

نقل فرقة المظلات ١٠١ وتعدادها ١٠٫٥٠٠ رجل مع كافة تجهيزاتهم ووسائط نقلهم (سيارات نقل وجيب وطائرات هليكوبتر) ومدفعيتهم أي مع حوالي ٦٫٠٠٠ طن من المعدات . ولقد استمر هذا الجسر الجوي حوالي شهر كامل . وكان بوسع الامريكيين إنقاص المدة لو أنهم رأوا ذلك ضروريـــاً . وتعتقد القيادة الامريكية انهـاً ستملك في عام ١٩٧١ القدرة على نقل فرقة مشاة مع كامل عتادها ومعداتها (٢٥٫٠٠٠ رجل مع ٣٥٫٠٠٠ طن من العتاد والمعدات) في فترة لا تزيد عن ١٥ يوماً . وان هذه المدة ستتناقص في عام ١٩٧٥ الى ٧ أيام . ذلك لأن الاسطول الجوي المكون من طائرات النقل الثقيلة سيضم آنذاك حوالي مائـة طائرة من طراز C -5A [(١)] علماً بأن مردود النقل البحري قد تحسن منذ بداية عام ١٩٦٨ . وهناك برنامج لتحسين الانتشار الاداري F.D.L. مهمته استخدام مراكب شحن سريعة معدة لتقديم الدعم الاداري الى القطعات العاملة وراء البحار . كما ان زيادة مردود النقـل بالطن / ميل مستمرة بفضل برنامج واسع يتماشى مع تنظيم المرافق الحيوية الفيتنامية كلها .

وفي عام ١٩٦٥ لم يكن في فيتنام أي مرفأ مجهز بأجهزة حديثـة سوى مرفأ سايغون الذي يبعد ٨٠ كم عن البحر. ولم تكن قدرته لتتجاوز ١٥٠٫٠٠٠ طن في الشهر ، وكان غير كاف لمجابهة حركة النقـــل المتزايدة التي يتطلبها تضخم القوة العسكرية وتزايد النقل المدني . وكان إعداد مرفأ سايغون وتخفيف الزحام فيه مهمة رئيسية منذ أغسطس (آب) ١٩٦٦ . وهذا مـــا أدى الى زيادة قدرته الى ضعف ما كانت عليه في العام السابق ، ونزل فيه ١٧٠٫٠٠٠

---

(١) يعادل سعر الطائرة C - 5 A حوالي ٢٤ مليون دولار . ويبلغ وزنهـا ٣٣٠ طناً ، وهي مزودة بأربعة محركات نفاثة ، ويقودهـــا ستة ملاحين ، وتنقل الطائرة ٥٢ طن لمسافة ١٠٫٠٠٠ كلم ، وترتفع حمولتها الى ١٠٠ طن اذا كانت المسافة ٥٫٠٠٠ كلم فقط . كما انهـــا تستطيع نقل ٨٥٠ رجل مع كامل سلاحهم وعتادهم الى مسافة ٤٫٨٠٠ كلم. وبوسع هيكل هذه الطائرة ان يستوعب دبابة وزنها ٥٥ طناً .

طن من العتـاد العسكري و ٢١٠٫٠٠٠ طن من العتاد المدني . ومنذ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ بلغت قدرته ٦٨٠٫٠٠٠ طن .

وفي الوقت نفسه غدا مطار سايغون المسمى تان سون نهوت والذي يعتبر من اكثر مطارات العـالم نشاطاً ، مركزاً رئيسياً من مراكز الشبكة الجوية الامريكية . وقـــام الامريكيون في بادىء الأمر بتمريض مهبطين ، أولهما للطائرات المدنية والآخر للطيران الحربي ، ثم أنشأوا بعد ذلك مهبطين آخرين للاستخدامات العسكرية ، يبلغ طول كل واحد منهما ٣ كم . ويشاهد في هذا المطار اعداداً كبيرة من الطائرات والهليكوبتر من مختلف الانواع مبعثرة على أرض المطار أو ملتجئة داخل ملاجىء من الاسمنت المسلح . وفي الشمال تمتد مستودعات القنـابل والقذائف على مقربة من منطقة مركز المواصلات الذي تؤمن أجهزته الحديثة الاتصال المباشر مع واشنطن ، كما تؤمن راداراته كشف مواقع قطعات مدفعية الفيتكونغ ، عندما تقترب من القاعدة الجوية لتقصفها. وفي الجنوب ترتفع أبنية عديدة مخصصة لسكنى الطيارين والفنيين الامريكيين وعدد من القيادات الامريكية والفيتنامية الجنوبية . ويحيط بالقاعدة من كل جانب شبكة كثيفـة من الاسلاك الشائكة (٢٢ صف من الأسلاك في بعض الأماكن) ، وحزام من المعـاقل المزودة بأنوار كاشفة قوية وأبراج بعلو ٦ أمتار ، وتحصينات تؤمن حيطة القاعدة التي تعيش في حالة حركة كثيفة لا تنقطع ، إذ تقلع في الدقيقة الواحدة أو تهبط ثلاث طائرات . ووسط هـذا الجو المحموم ، يعيش الجنـود الامريكيون بألبستهم الخضراء وجنود القطعات الفيتنامية الخاصة بمحاربة العصابات في الادغـــال ببزاتهم المزركشة ، وجنود كوريا الجنوبية بألبسة الميدان مع القبعة المستديرة ، واستراليون يرتدون البنطال القصير وقبعة الكشافة عريضة الحواف ، ويملأون قاعة المطار القديم الذي غدا صغيراً لا يفي بكل ما يطلب منه .

عندما بدأ الصراع في فيتنـام الجنوبية كان كل شيء صغيراً ، وكان المرء

يرى الازدحام الرهيب في كل مكان . ومنذ عام ١٩٦٦ ولدت ورشات ضخمة منتشرة على اكثر من ١٠٠٠ كم وممتدة من خط العرض ١٧ حتى خليج سيام . وبدأت مشاريع امريكية كبيرة [١] ، كالمشاريع التي ينشئها الامريكيون في كاليفورنيا أو أريزونا . وأخذت هذه المشروعات تقطع الجبـال ، وتشق الأدغال ، وتسوي المنحدرات ، وتقيم قرى من المعدن ذات شوارع مرصوفة ومعبدة ، ومراكز صحية حديثة ، وتخلق حوالي ٥٠ مطاراً ، وعشرة مهابط للطائرات النفاثة ، ومائة جسر من الفولاذ أو الاسمنت ، وعشرة مرافىء ذات أرصفة داخل المياه العميقة ، كمرفأي دانانغ وكام رانه اللذين أصبحا أهم قاعدتين بحريتين جويتين في المحيط الهادىء .

وتلعب كام رانه دوراً أساسياً . ففيها رصيف طوله ٨ كم في المياه العميقة و٣ أحواض يبلغ طول كل واحد منها٥ كم [٢] ، ومعدات حوض الاصلاح الضخمة ومراكب الاصلاح وورشاتها العائمة ، ومستودعات المحروقـات العائمة أو المطمورة مع شبكة أنابيب النفط ممتدة الى أكثر من عشرة كيلومترات داخل القـاعدة ، وعنابر واسعة من القماش المطاطي وبراكسات عديدة من ألواح التوتياء المموجة ، وعربات محولة الى مراكز قيـادة متحركة [٣] تعمل وسط غابة من هوائيـات (آنتينات) الأجهزة اللاسلكية . وملاجىء مطمورة للطائرات [٤] ، ومهابط للمطاردات النفاثة ، ومطار واسع لطائرات الهليكوبتر يعتبر اكبر مطار من نوعه في العالم أجمع [٥] . ووسط كل هذا ، وفي قلب ضجيج

---

(١) يعمل في هذه المشاريع ٦٠٫٠٠٠ عامل و ٥٫٠٠٠ فني ومهندس ، ولقـد كانت ميزانيتها في عام ١٩٦٨ مقدار ملياري دولار .

(٢) بحيث ترسو بآن واحد ١٠ مراكب شحن وناقلتي بترول ضخمتين (١٢٠٫٠٠٠ طن) .

(٣) عربات خاصة معدة لتكون عربات قيادة .

(٤) تحتوي هذه الملاجىء على مصعد لرفع الطائرات وباب مصفح .

(٥) تبلغ مساحته ٥٠ كم مربع يتكدس فيها آلاف الخيام ، ومئات من طائرات الهليكوبتر ، وآلاف العربات والمدرعات .

كضجيج الجحيم تعيش كام رانه حمى نشاطها ، ويعمل عمال التحميل ليل نهار وسط سيل مستمر يضم ٦٠٠٠ سيارة نقل ، وعدد لا يحصى من المراكب — الشاحنة[١] (L. A. R.C) . وعلى الهضاب البعيدة تعمل القواحط والمسويات والرافعات وجبالات الاسمنت فوق كيلومترات عديدة ، انها تنظف الادغال ، وتسوي الارض ، وتبني المعاقل . ويؤمن الحيطة المباشرة للقاعدة نطاق من الخنادق والاسلاك الشائكة والالغام مع دوريات حراسة تستخدم الكلاب البوليسية ، وتتجول في المنطقة محاولة تعريض منطقة الحيطة مـا أمكن . بالاضافة الى مئات الانوار الكاشفة الموضوعة على شكل شطرنجي فوق ثلاث دوائر متحدة المركز لتمنع الفدائيين(نظرياً) من التقدم نحو القاعدة. ويمكن ان نجد مثل هذه الإعدادات وبحجم متفاوت في جميع القواعد البحرية الجوية الاخرى الموجودة على طول الشاطىء مثل : كي نونه ، وفين ثو ، ونها ترانغ . كما اننا نجدها في القواعد البرية في بيان هو، وبلي كو ، وبلي مي، وآن خي، وداك ثو حيث يتمركز الامريكيون بقوة وسط مواقع محصنة.

الاداة الاستراتيجية

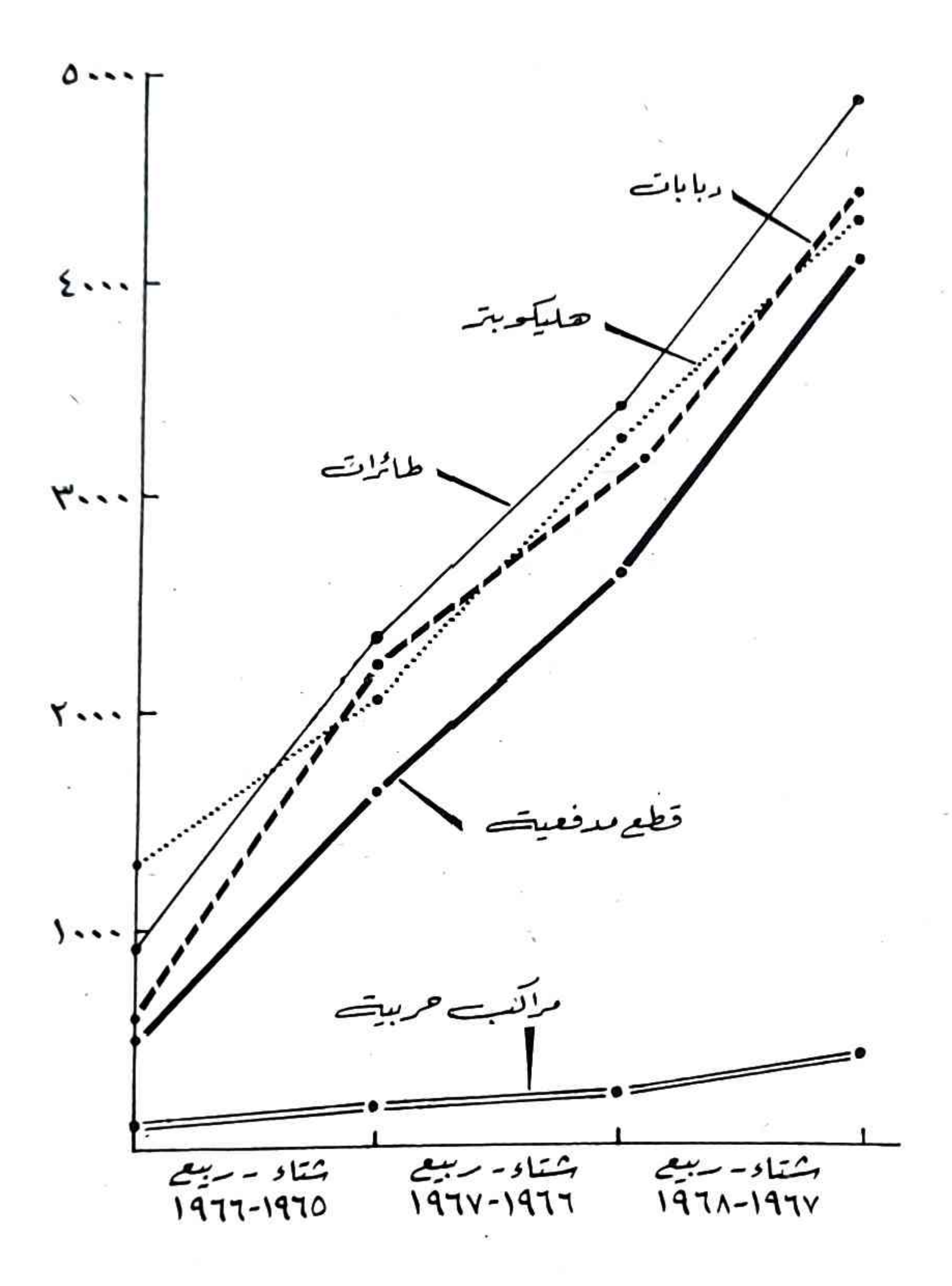
العتاد والتسلح :

ان شن الحرب بحاجة للرجال والعتاد . وتشكل المعادلة عتاد — رجال مع تفضيل العتاد وتقديمه أداة مثالية في الحروب التقليدية المعاصرة . ولقد كتب الجنرال فولر في عام ١٩٤٨ « يعود النصر في ٩٩ ٪ من الحالات لمن يملك عتاداً وسلاحاً أفضل »[٢] .

---

(١) السيارات ـ المراكب L. A. R.C. عبارة عن سيارات شحن من حمولة ٤ أطنان ، تسير على الرمال وتعوم فوق الماء بسهولة تامة .

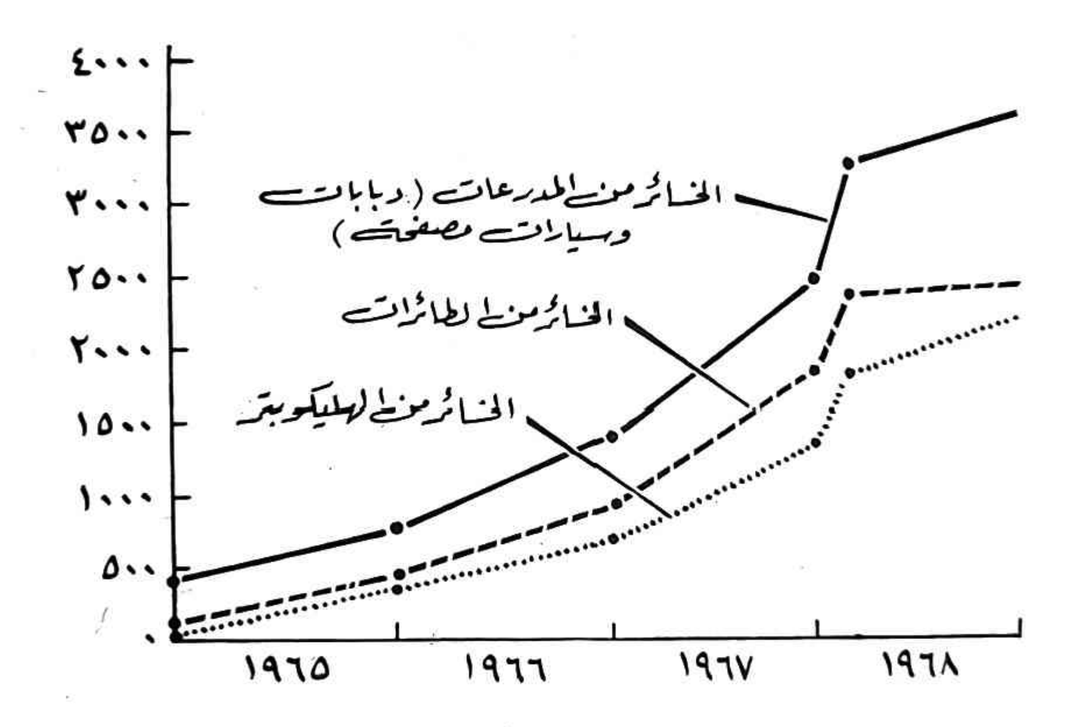
(٢) الجنرال فولر : تأثير التسليح على التاريخ Payot, 1948 .



٥٠٠٠
٤٠٠٠
٣٠٠٠
٢٠٠٠
١٠٠٠
دبابات
هليكوبتر
طائرات
قطع مدفعية
مراكب حربية
شتاء - ربيع
١٩٦٥-١٩٦٦
شتاء - ربيع
١٩٦٦-١٩٦٧
شتاء - ربيع
١٩٦٧-١٩٦٨

ويملك الامريكيون في فيتنام تفوقاً ساحقاً [١] بالعتاد . ويدل المخطط البياني التالي تزايد هذا العتاد عبر السنين .

وتملك المعدات والأسلحة الامريكية قوة متزايدة يوماً بعد يوم بفضل تزايد عددها وقوة نارها وحقل عملها . ولكنها تتحمل كل يوم خسائر جسيمة متزايدة كما يدل على ذلك الخط البياني التالي :



ملاحظـــة :

١ – تختلف الاحصائيات حسب مصادرها بشكل واضح . وتدل دراسة مثالين فقط على مدى تباينها :

---

(١) سندرس ميزات الأعتدة والأسلحة والمعدات المستخدمة في الفصل المخصص لاستخداماتها الاستراتيجية والتكتيكية .

لقد أعلنت هانوي عن تدمير ما يلي :

– في سبعة أشهر (شتاء ١٩٦٦ ربيع ١٩٦٧)	١٨٠٠ طائرة ١٧٨٥ مدرعة ٣٤٠ مدفعاً ١٠٠ مركب حربي نهري
– في ستة أشهر (من ٣٠ يناير حتى ٣٠ يوليو ١٩٦٨)	٤٤٠٠ طائرة هليكوبتر ٨٧٣٠ عربة عسكرية ٦٢٠ مدفعاً ١٦٥ مركباً حربياً نهرياً .

٢ – أما فيما يتعلق بالطائرات ، فإن هناك الملاحظات التالية :

آ – تقل الخسائر بالنسبة للطلعات من عـــام الى آخر رغم تزايد عدد الخسائر المطلق مع ازدياد قليل في عام ١٩٦٨ كما هو مبين فيما يلي :

السنة –	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
النسبة –	٣ر٢ ٪	٢ر٢ ٪	٧ر١ ٪	٩ر١ ٪

ب – ان متوسط الخسائر من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٨ هو حوالي ١٠٠٠ طائرة سنوياً ، موزعة كما يلي :

طائرة مدمرة في أجواء فيتنام الشمالية	طائرة مدمرة في أجواء فيتنام الجنوبية	طائرة مدمرة على الأرض أو نتيجة حادث	المجموع
٤١٠	١٣٠	٤٦٠	١٠٠٠

ج – بين ٣٠ مارس (اذار) و ٢٣ ابريل (نيسان) فقد الامريكيون ٣ طائرات مطاردة قاذفـــة ف – ١١١ ذات أجنحة متحركة من أصل ٦ طائرات من هذا النوع وصلت الى تايلاند وبنى عليها الامريكيون آمالاً كبيرة. وتعتبر الطائرة ف – ١١١ طائرة « كل المناسبات » وهي تكلف ٦ر٥ مليون دولار تقريباً ، وتعمل على مدى عمل واسع ، وتستطيع الاقلاع والهبوط على مدرج يقل طوله عن ١٠٠٠ م . وتبلغ سرعتهـا ٢ر٥ سرعة الصوت ، ويصل سقف طيرانها حتى ٢٠ر٠٠٠ م .

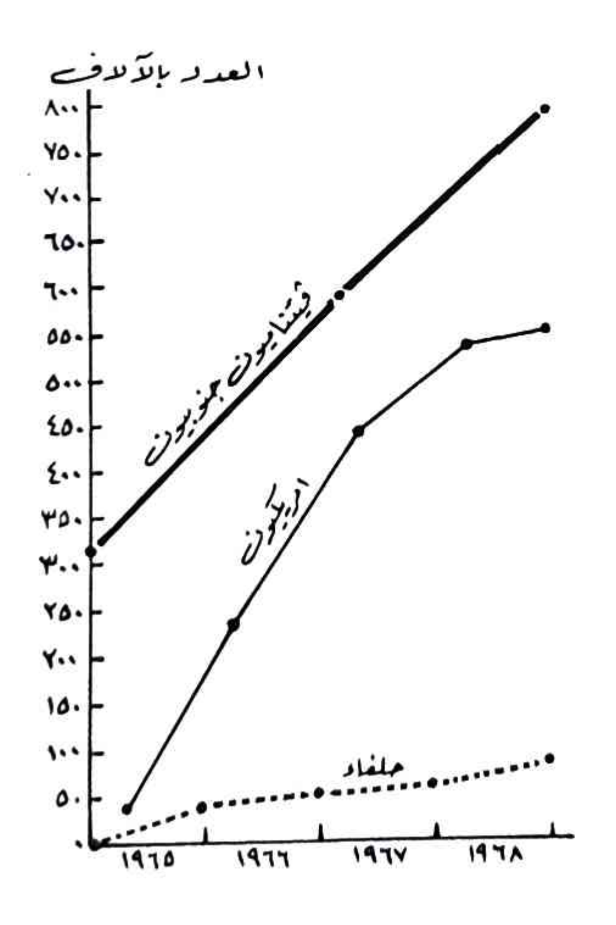
ولا يعطي هذا « النزيف » بالعتاد نتائجه المطلوبة . ولو حسبنا النتائج بناء على العتاد المدفوع الى المعركة وطبقنا حسابات الحرب العالمية الثانية لـكان على امريكا أن تربح الحرب منذ أمد بعيد . ولكن قاعدة فولر فقدت كل معناها بعد عشرين سنة فقط من قولها . لقد كانت تترجم من قبل صورة متفائلة لما تستطيع الأمم الغنية تحقيقه . ولكنها تجاهلت عاملاً هاماً تزايدت أهميته مع الأيام ومع تطور الحروب الثورية وهو « العامل البشري » .

العامل البشري

القوات الامريكية ، والفيتنامية الجنوبية ، وقطعات الدول المتحالفة :

يشكل العـــامل البشري أكثر معضلات الحكومة الامريكية تعقيداً وإزعاجاً . فمن سنة الى أخرى يتصاعد عدد القوات الامريكية بسرعة كبيرة تحت إلحاح القيادة العليا وضغط ظروف القتال. ولقد ارتفع عدد العسكريين الامريكيين المفرزين الى فيتنام الجنوبية كخبراء ومدربين من ٧٨٥ في عـــام ١٩٦٠ الى ٢ر٠٠٠ في عام ١٩٦١. ثم زاد العدد في عام ١٩٦٢ ليصبح ١١ر٠٠٠. وفي عام ١٩٦٣ وصل العدد الى ١٦ر٠٠٠ وما لبث ان غدا في عام ١٩٦٤ ،

٢٣٠٠٠٠ رجل ، و ٣٠٠٠٠ في مطلع عام ١٩٦٥ . ثم قفز الرقم قفزة هائلة ليصبح في ابريل (نيسان) ١٩٦٦ ، ٢٣٠٠٠٠ رجل ، وليصعد في ابريل (نيسان) ١٩٦٧ الى ٤٤٨٠٠٠ رجل . ولم يأت ابريل ١٩٦٨ حتى وصل الرقم الى ٥٢٥٠٠٠ رجل . وصعد في نهاية عام ١٩٦٨ الى ٥٥٠٠٠٠ رجل [١] . فإذا أضفنا الى ذلك القوات المشتبكة أو المتمركزة في فيتنام وتايلاند والفيليبين وعلى مراكب الاسطول الامريكي السابع ، وعلى المؤخرات البحرية في المحيط الهادىء كان مجموع القوات المشاركة في القتال ٦٣٠٠٠٠ رجل امريكي .



الامريكيون (المتمركزون في فيتنام) :

في نهاية عام ١٩٦٨ : ٦ فرق مشاة ، فرقــة محمولة جواً ، فرقــة منقولة جواً . لواءان مدرعان للاستطلاع . فرقتـان من المشاة البحرية .

ومن أصل ٥٥٠٠٠٠ رجل هناك ٦٥٠٠٠ تابعين للطيران و ٣٨٠٠٠ تابعين للبحريـة ، و ١٥٠٠٠ لحرس الشواطىء . على حين يعود ٣٢٠٠٠٠ رجل للخدمات التقنيـة والادارية .

---

(١) ينبغي أن نذكر هنا بأننا لم ندخل في الحساب ٣٨٠٠٠ بحار تابعين للاسطول السابع و ٤٠٠٠٠ رجل متمركزين في تايلاند يعود ثلثاهم الى سلاح الطيران . بالاضافة الى ان هناك ٢٠٠٠٠ جندي امريكي تم استبدالهم في فبراير (شباط) ١٩٦٩ بقطعات فيتنامية جنوبية .

الفيتناميون الجنوبيون :

في نهاية عام ١٩٦٨ : ١٠ فرق مشاة ، ٤ ألوية مظلات ، بعض القطعات المستقلة (مدرعات ، قطعات خاصة لمطاردة العصابات في الادغال ، قوات خاصة) وتشكل كلها جيشاً برياً تعداده ٣٧٠٫٠٠٠ رجل . يضاف اليها ٣٨٠٫٠٠٠ رجل من القوات المساعدة (مليشيا ريفية ، شرطة ، قوات الدفاع السلبي) .

وتضم القوات الجوية ٨ مجموعات جوية من المطاردات والقاذفات (حوالي ٦٠٠ر طائرة سكاي ريدر و ف ٤٨ و ب ٢٦) كما تضم ٢٥٫٠٠٠ رجل .

وفي البحرية ٦ كتائب من رماة البحرية ، وقطعات نهرية صغيرة ، ودفاع ساحلي مع ١٠ مراكب حراسة ، وحوالي ٥٠ مركب قتال ومراكب صغيرة اخرى . ويضم سلاح البحرية ١٧٫٠٠٠ رجل .

الحلفاء :

كانت قوات الحلفاء في نهاية عام ١٩٦٨ تضم ٢٠٫٠٠٠ كوري جنوبي ، و ٧٫٧٠٠ أوسترالي ، و ٢٫٠٠٠ من الفيليبين (غير مقاتلين) ، و ٨٠٠ من نيوزيلندة ، و ١٥٫٠٠٠ تايلاندي (فرقة كاملة شكلت في مطلع عام ١٩٦٨) .

ولكي نستطيع تقدير القوة القتالية الحقيقية لمثل هذا العدد الكبير وخاصة للقوات الامريكية المشتركة ، لا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار كافة المعضلات الناجمة عن بناء وتكوين جيش معاصر . فهناك جنديان من كل ثلاثة جنود مخصصان لتأمين المهمات التقنية والادارية (إدامة العتاد ، أعمال الهندسة ، حماية القواعد ، تموين ونقل القطعات .. الخ). ولا يتجاوز عدد المقاتلين ثلث تعداد القوات العام . أي انه لا يتجاوز ١٨٠٫٠٠٠ رجل ، يعود ١٢٠٫٠٠٠ منهم الى القوات البرية ومشاة البحرية . وهذا يعني ان هناك

١٠٠ الى ١٢٠ كتيبة مقاتلة فعلاً ، وهذا عدد غير كاف نظراً لاتساع حقل العمليات ولطبيعة الحرب الفيتنامية نفسها[١] ، وللمهات التي تكلف بها التشكيلات القتالية عندما يقوم الفيتكونغ بهجوم واسع النطاق .

ومما لا شك فيه أن قوات الحلفاء تقدم دعماً لا يستهان به ، ويمكن أن نقول بأن التشكيلات النيوزيلاندية والفيليبينية تمثل قوة رمزية لا أكثر . أما الفرقة التايلاندية التي تم انشاؤها في مطلع عام ١٩٦٨ فلم تخض حتى الآن تجربة حربية على مسرح العمليات لتحدد قيمتها القتالية الحقيقية . ويقدم الاستراليون عدداً ضئيلاً من خيرة القطعات المدربة على تنظيف الادغال ومزارع الارز ، وتطهير المناطق المشبوهة ومختلف عمليات الهجوم ضد مواقع الثوار . وتتمتع الفرقتان الكوريتان الجنوبيتان « النمر » و « التنين الأزرق » بقدرة قتالية نادرة . وهما تسيطران على ١٠,٠٠٠ كم مربع من الشواطىء وحقول الارز . ولقد تعرض أفرادهما الى تربية ايديولوجية ونفسية خاصة رفعت مستوى الحقد والعنف والروح العدوانية لديهم . كما أن حسن اختيار الرجال وتدريبهم البدني العنيف جعلهم قادرين على العمل بفاعلية كبيرة خلال الكمائن والدوريات وكل عمليات الردع بمختلف أشكالها . وهم مختصون باستخدام الخنجر وضربات اليد والذراع (كاراتيه)[٢] لذا يستطيعون قتل خصمهم

---

(١) تدل تجارب الحرب الثورية ان على القوات النظامية المضادة للعصابات ان تحصل على تفوق يعادل ١٠ الى واحد لتحقق النصر في العمليات . ومما لا شك فيه ان بوسع الامريكيين ان ينقصوا هذه النسبة في فيتنام بفضل كميات العتاد الضخمة التي يستخدمونها، ولقدرتهم على زج عدد من القوات المظلية أو المحمولة بالهليكوبتر . ومع هذا فان الامريكيين والفيتناميين الجنوبيين وحلفاؤهم لم يصلوا حتى الآن الى تحقيق تفوق يعادل خمسة الى واحد نظراً لأن خصمهم يزيد من اعداده بشكل مستمر .

(٢) Le Karaté (الكاراتيه) أسلوب من أساليب القتال القريب والاشتباك يسمح بقتل الخصم بضربة عنيفة من راحة اليد أو مقدمة الذراع .

دونما ضجيج ، ويأسرون القليل من الرجال . ويمكن أن نقول بأن روح المقاتل تتغلب عندهم على روح الانسان .

ولا يتمتع جيش فيتنام الجنوبية بمثل هذا الحماس أو العنف ، ولكنه لا يتورع عن معاقبة المواطنين بشكل عنيف ، وضربهم ضرب عشواء ، وسفك دمهم بلا مبرر . ويعتبره المسؤولون في البلاد خير درع لحماية النظام ، لذا نراهم يزيدون من تعداده وتسليحه باستمرار . ولقد بلغ تعداده في عام ١٩٦٨ حوالي ٨٠٠ر٠٠٠ رجل . ويتوقع المسؤولون أن يصل الى مليون رجل في عام١٩٧٠ . وفي صيف ١٩٦٧ تمت إعادة تنظيم وتشكيل عدة فرق بغية خلق قطعات تضم عدداً أقل من الرجال القادمين من سلاح واحد (كتائب ، ألوية) والمزودين بأحدث الأسلحة والأعتدة. ودعمت هذه القطعات بتشكيلات قوية من الطيران .

نقاط الضعف في جيش فيتنام الجنوبية :

يشكل هذا الجيش قوة حربية كبيرة ، ولكنها قوة معرضة لأن تتفتت في كل لحظة ما دامت فيتنام مقسومة الى معسكرين متنازعين . ولا شك في أن التمزق الايديولوجي داخل الشعب يجعل هذا الجيش حساساً يسهل تفتيته. وتوقظ الحرب رغبة البعض بالربح عن طريق السوق السوداء. ولقد رأينا كيف أنها كانت سبباً لانفجار فضائح كبيرة . ويخضع كل شيء لقانون البيع والشراء بما في ذلك الضمائر والذمم . ويحاول المواطنون الأغنيـــاء بلا خجل تخليص أبنائهم من الخدمة العسكرية . ويقوم الشباب الموسرون الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٠ سنة بتبذير أموال ذويهم بلا حساب ، وهم يدفعون مبالغ طائلة للحصول على شهادة طبية تثبت عدم صلاحيتهم للخدمة العسكرية ،ويستخدمون صلاتهم ومعارفهم ، ويجدون دائمـاً بعض المرتشين الذين يساعدونهم في الحصول على شهادة أو جواز سفر ، ويقومون بعد ذلك بدراسة لا تنتهي في فرنسا أو الولايات المتحدة الامريكية . وتؤدي مثل هذه الأعمـــال الى جعل الخدمة

العسكرية عبثاً يكرهه كل من تضطره الظروف الى القيام به ، ولا يتحمله سوى الفقراء الذين يثورون على أوضاعهم فيلحقون بقوات الفيتكونغ ، أو يخضعون بسلبية للواقع المرير فيعملون بلا حماس ، وهم ينتظرون يوم تسريحهم ، ويحسون بقلق دائم ، وينهش الشك الدائم قلوبهم . فكيف يمكن للجندي أن يقتل أخاه إذا لم يكن يعرف جيداً سبب عمله ؟ إنه بحاجة الى مثل أعلى ومصالح عميقة الجذور ليجابه الموت والجوع بلا تردد . ويود الجنود بلا شك ان يخدموا في جيش متلاحم مع الشعب ، يحس بالحماس للقضية التي يخدمها ويقاتل من أجلها. هذا هو الحلم الذي يؤرقهم دون أن يستطيعوا تحقيقه عندما يلتحقون بأحد معسكرات التدريب الكبيرة المتناثرة حول سايغون ، والتي يجتمع فيها عشرات الآلاف من المجندين الجدد .

وتبدأ العلاقات بين القائد وجنوده في هذا المعسكر . ويتعلق مستوى الجنود الجدد العسكري والمعنوي بنوعية الضباط المدربين الذين يقدمون لهم المثل والقدوة . ويتسلم مهام القيادة والتدريب مدربون فيتناميون وامريكيون وأوستراليون ونيوزيلانديون يتم اختيارهم عادة من مشاة البحرية أو رجال « القبعات الخضراء » . ولكن الجنود لا يتقبلون كل هؤلاء المدربين بإيجابية وفاعلية . وهناك من يستطيعون فرض احترامهم ومحبتهم نظراً لإمكانياتهم وفضائلهم وقدرتهم على القيادة . وهم يعملون لأنهم مقتنعون ، وتنبع قناعتهم من استمرارهم في العمل ، ويحاولون تجسيد قناعاتهم ونقلها الى المجندين الجدد الذين يرتبطون معهم برباط وثيق . والى جوار هؤلاء القادة الممتازين ، هناك قادة لا يوحون بأية ثقة . وهم لا يتمتعون بالتجرد والولاء والاخلاص – وهي صفات يتمتع بها مقاتل العصابات – ويهتمون بالمغريات والمكاسب اكثر من اهتمامهم بالشرف . لذا يتعذر عليهم ان ينقلوا الى جنودهم أي مثل أعلى ، كما يتعذر عليهم إذكاء هذا المثل والحفاظ عليه من الضعف والوهن . وهم لا يرافقون في القتال الجنود الذين دربوهم – وهذه خطيئة متبعة في معظم مراكز

التدريب – ولعل هذا من حسن حظهم لأن الرجال ما كانوا ليسيرون معهم في الملمات والمهمات الصعبة ، وما كانوا ليضحوا بأنفسهم معهم أو من أجلهم في سبيل قضية لا تهمهم .

وتملك اطارات « الضباط » الفيتناميين الجنوبيين بصورة عامة نقاط ضعف تخلق إحساساً بالضيق وتهدّم الثقـة . وتأتي المذاهب والطوائف والقبلية مع المجندين لتحفر في أسفل البناء هوة تفصل بين الضابط المتخرج من ويست بوينت ، والضابط الذي حصل على رتبتـه خلال خدمته الفعلية العملية في القطعات . ويلاحظ ان بينهما اختلافاً في السن والصفات والطبقة الاجتماعيـة والتصرفات بشكل ينعكس على الجو المعنوي العام . ويكون الاول في أغلب الأحيان يافعاً مملوءاً بالغرور والكبرياء ، ومدعومـاً من البورجوازية ، ويميل الى معاملة زميله بترفع واستعلاء ، ويعتبر نفسه سيداً يستحق استلام القيـادات على أعلى المستويات . وهو لا يهـتم بالقطعة ولا يعتبر الانسان اكثر من رقم أو عجلة صغيرة في آلة ضخمة . فإذا ما صادفه الحظ وكان من خريجي احدى مدارس التطبيقات الامريكية ، أو كان ممن تخرجوا من كلية الحرب الوطنية ، أحس بأنـه مؤهل للعمل في هيئات الأركان الكبرى ، أو في مراكز سياسية عليا ، حيث يلاقي معارضة اخرى. وإزاء هذا التصرف يحس الضابط المسن المتخرج من الصف ببعض النقمة . وهو يحس أمام الرجال بكل مسؤوليته ، ولا يتجاهل كيان مرؤوسيه ولكنه يعمل جاهداً ليشعرهم بأنه يحترم هذا الكيان ويعطي بذلك لجيش فيتنام الجنوبية شيئاً من الجدية والشرف والفاعلية التي مـا كان بوسع هذا الجيش أن يصمد لولاها . وهو يعمل بلا كلل ، ويؤثر بشكل فعال في القطعات المختارة – مظليين ، قطعات خاصة لمطاردة العصابات في الأدغال ، رماة بحرية ، قوات خاصة – التي يدفعهـا حماسها في بعض الأحيان الى صنع المعجزات ، حتى في أوضاع يعتبرها البعض ميئوسة لا يمكن للقطعات الاخرى ان تخرج منها بأية نتيجة .

وتعيش القطعات العادية وسط القلق والشك . وهي معرضة للترنح تحت أية ضربة معادية . ولا شك في أن تزايد الهاربين من الخدمـة[1] لا يدل على وجود مقاتلين صمموا على الصمود ، و « عندما لا يثبت الجنان تغدو الأسلحـة قليلة الجدوى » . والوضع هنا مشابه لما تذكره الالياذة ، إذ ان قيمة المقاتل لا تتعلق بقوة درعه او مضاء سيفه فحسب ، ولكنها تتعلق قبـــل كل شيء بحالته المعنوية . وتبدو معنويات الفيتناميين الجنوبيين في بعض الأحايين ضعيفة معرضة للانهيار . لذا فإن بوسعنـــا النظر الى بعض أجزاء الجيش الفيتنامي الجنوبي دونما تفاؤل لأنها لا تتمتع بالتماسك والجرأة ، ولا تملك أيـة روح ، وتمزقها التناقضات وتتقاذفها الأهواء . ويتجاذب الامريكيون المهتمون بهذا الأمر ميلان متعارضان . انهم ينادون بخلق « فرق من النخبـة » يمكن من خلالهـا « تطبيق برنامجهم العسكري ، وإجراء تحسين مستمر ، وخلق روح النصر من جديد » ، ولكنهم لا يلبثون أن يكتشفوا بأن « من المستحيل الاعتماد كلية على قوات فيتنـام الجنوبية ، أو منح الثقة لقياداتها » ويلاحظون بكل جلاء بأنها « تفقد يوماً بعد يوم قدرتها العملياتية » ويكتشفون اخطر أخطائها وعللها وهي : « عدم الفاعلية ، وفقدان الروح المعنوية ، وانعدام الهدف في القتال » . وتذكر الصحافة والأوساط السياسية الامريكية التي أصابتها خيبة أمل مريرة كل هذه المساوىء . ففي ٣ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ كتبت مجلة نيوزويك مقالاً تحت عنوان « أسودهم وأرانبنا » قارنت فيـــه بين رجال

---

(١) كنا قد لفتنا انتباه القارىء من قبـل الى هذه النقطة الخاصة في فصل : الاستراتيجيـة الاقتصـادية والنفسية لدى الفيتكونغ . ويكفي هنـــا أن نذكر بأن عدد الهاربين من الجيش النظامي لفيتنام الجنوبية بلغ في عام ١٩٦٥ حوالي ٩٨٫٠٠٠ رجل ، وفي عام ١٩٦٦ وصل العدد الى ١٢٥٫٠٠٠ رجل ، وفي عام ١٩٦٧ ارتفع الى ١٤١٫٠٠٠ رجـل . ويقول ثوار الفيتكونغ ان ١٦٧ موقعاً حكومياً انضمت الى صفوفهم في ١٢ شباط ١٩٦٨ . ومن الجدير بالذكر ان عدد الهاربين من صفوف الفيتكونغ لم يصل الى ربـع هذه الارقـــام حتى في أسوأ الحالات وأقسى الظروف .

الفيتكونغ وجنود قوات فيتنام الجنوبية . ولكنها لم تأت بأشياء جديدة كالتي أخذت تتردد على ألسنة المسؤولين الامريكيين. ففي ١٠ فبراير (شباط)١٩٦٨ وعندما كانت معضلات التجنيد في الولايات المتحدة الامريكية تأخذ شكلا حاداً ، صرح السيناتور روبيرت كينيدي قبيل موته بقليل بما يلي : « ان حليفنا حليف بالاسم فقط ، ولا نستطيع الاعتماد على جيشه ... ويمكن ان نؤكد بأن تجاهل هذه الحقيقة يعني الوقوع التام في الاوهام » .

صعوبات التجنيد ووجود الاطارات في امريكا :

ان افلاس وفشل جيش فيتنام الجنوبية ، وتزايد قوة وعنف واصرار الفيتكونغ الذين طالما استخف الجيش الامريكي بهم بدأ يضغطان على القيادة الامريكية . وتتصرف هذه القيادة بشكل غير متزن نظراً لقلقها وتوتر أعصابها وتعرضها لصدمات مفجعة . لقد بدأت الحرب بقناعة وثقة ، ولكنها وجدت بعد ذلك انها بحاجة لأن تقف قليلا وتقوم ببعض المراجعات . وهي تشعر بأن « الله والرجال » تخلوا عنها . وتميل الى استخدام كل أساليب العنف والقوة .

فكيف يمكنها صد هجمات الشماليين النظامية في منطقة خط العرض ١٧ والنجود العالية ، ومجابهة هجمات العصابات الشاملة على الشاطىء وفي دلتا نهر الميكونغ دون ان يكون لديها احتياطي قوي ، ودون زيادة في تعداد قواتها[١]؟ ويتضمن طرح الموضوع بهذا الشكل معطيات معقدة بشكل كبير . انه يسبب

---

(١) تتعرض جميع جيوش القمع التي تجابه الحروب الثورية الى هذا النوع من الحيرة . فهي لا تعرف هل ينبغي عليها التبعثر بشبكة « تربيع » واسعة تغطي جميع البلاد وتسيطر عليها فتكون ضعيفة في كل مكان وغير قادرة على صد هجمات القوات الثورية النظامية (التي يمكن اعتبارها جيشاً نظامياً منبثقاً من العصابات بعد تطورها) ، أم ان عليها ان تتجمع لصد هذه الهجمات فتترك أجزاء كبيرة من البلاد لتسيطر عليه العصابات . « المعربان »

في المجال السياسي سيلاً من الاعتراضات ،لا مثيل له . ففي ١٠ مارس (اذار) تساءل السيناتور مايك مانسفيلد زعيم الأغلبية الديموقراطية قائلا : « كيف لا نفضح تعطش البنتاغون الذي يطلب كل يوم مزيداً من الرجال » . وكان السيناتور روبيرت كينيدي قد تحدث في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٦٨ وكشف هذا الميل ، وطرح سؤالاً هاماً يتعلق بموضوع عدد المقاتلين الامريكيين المقاتلين في فيتنام قال فيه : « كيف يمكننا أن نتصور ان نصف مليون جندي امريكي و ٧٠٠٫٠٠٠ جندي فيتنامي يملكون السيطرة المطلقة في الجو والبحر ويحملون أحدث المعدات والاسلحة يقفون عاجزين عن تأمين حماية مدينة واحدة من هجمات العدو ؟ » .

إلا أن هذه الانتقادات والمواقف التي بدأت تتزايد وتتوضح في الولايات المتحدة لم تفاجىء القيادة وأجهزتها المختصة . وقد اعتبر المسؤولون « هذه المواقف الخاطئة ، وفذلكات المثقفين كتجسيد للقلق الذي يتصف به عصرنا » وأعربوا عن خيبة أملهم وعن رغبتهم « بوضع حد لهذا العمل التخريبي » لتحقيق النجاح في مهمتهم الصعبة التي تزداد مع الأيام تعقيداً ، نظراً لأنهم مجبرون على توقع جميع حاجاتهم قبل الأوان والتقيد بالتعليمات ، وبما تملكه البلاد حقاً من احتياط استراتيجي فعلي . الأمر الذي يزيد من المسؤوليات ، ويفرض بعض الحلول ، ويتطلب إجراء تصرفات تؤدي في النتيجة الى فقدان الشعبية أمام الجماهير . ويعتمد الجهد الحربي يوماً بعد يوم على الامريكيين من رجال واطارات ، في وقت يطالب به الرأي العام « أن يتم قتال الفيتناميين بفيتناميين مثلهم ».

وليست الصعوبة هنا عددية . فسكان الولايات المتحدة الامريكية وتعدادهم ٢٠٠ مليون نسمة قادرين على تقديم عدد من الجنود لا يقل عن ٣٫٤٦٤٫٣٠٢ رجل (حسب تقديرات عام ١٩٦٨) ، بيد أن هذا العدد يتطلب عدداً كبيراً من الاخصائيين والمحترفين أي من المتطوعين علماً بأن نقص المتطوعين في الاسلحة

التقنية كالبحرية والطيران يزيد من صعوبات التجنيد . ففي الربع الاول من عام ١٩٦٥ كانت البحرية تطالب بـ ٥٤٫٥٣٦ تقنياً لإملاء شواغرها . ولكنها لم تجد سوى ٤٥٫٠٩٧ متطوعاً منهم عدد كبير من ذوي الامكانيات التقنيـة الضعيفة والضائعين في متاهات النسيان. ثم تعرضت البحرية لصعوبات اكبر لحل هذه المعضلة في السنوات التالية . وفي عام ١٩٦٨ اضطرت الى إرسال ٦٫٠٠٠ مجند الى فرق مشاة البحرية التي لم تكن تقبل بين صفوفها سوى المتطوعين . وتعرض سلاح الطيران الى المتاعب نفسها، ولم يستطع في الربع الاول من عام ١٩٦٥ ان يجد سوى ٣٧٫٣٢٩ متطوعاً مع انه كان بحاجة لـ ٤٧٫٤١٠ شخصاً . وفي عام ١٩٦٨ قبل بين صفوفه ١٢٫٠٠٠ مجند لإملاء النواقص والشواغر .

ويقضي المجندون الذين يعملون سنتين في خدمة العلم ،عاماً كاملاً في فيتنام . وفي بداية الأمر كانت نسبة المجندين في القوات العاملة في فيتنام ١٠٪ من مجموع القوات ، ثم تزايد عددهم حتى زاد عن ٣٠٠٫٠٠٠ مجند في عام ١٩٦٨ . ولقد التحق بالقوات البحرية الامريكية في فيتنام ٨٫٠٠٠ مجنـد في يوليو (تموز) ١٩٦٤ و ١٧٫٠٠٠ في يوليو ١٩٦٥ و ٦٠٫٠٠٠ في يوليو ١٩٦٨ . ولقـد أقلق هذا التزايد في عدد المجندين المرسلين الى فيتنام بال الكونغرس ودفعه لأن يصدر منذ ١ يوليو (تموز) ١٩٦٧ قانوناً جديداً للتجنيد يلغي « القانون العسكري العام المتعلق بالتدريب والخدمة » والصادر في عام ١٩٥١ . ويلاحظ أن القانون الجديد أشد من سابقه ، ويسعى الى الإقــلال من التلاعب وعدم المساواة ، ويلغي مبدأ القرعة في اختيار العناصر ، كما يضع حداً لبعض حالات التأجيــل ، ويعدل لوائح الشروط الجسمية والعقلية التي تفتح الباب أمام المواطنين للانخراط في الخدمة العسكرية . ولقد رمى هــذا القانون الى إكمال النواقص من الجنود والاطارات وخاصة في مستويات الجيش البري الصغرى.

ومنذ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ سحبت القوات البريـة ٢٠ ٪ من الضباط وضباط الصف العاملين في القطعات الامريكية المتمركزة في المانيا الغربية .

وكان قسم من النقباء والرواد قد عين من قبل للخدمة مرة ثانية في فيتنام . ولقد خاض ٣٠٪ من التعداد غمار القتال كما ان عدداً كبيراً من الخدمات جعل هذه النسبة ترتفع في بعض الأحايين الى ٧٥ ٪ . ويعتبر الاسطول السابع مشتبكاً كلية في عمليات مباشرة أو غير مباشرة . كما أن ٤٥ ٪ من رجال البحرية الامريكية يعملون لصالح الحرب . ويبدو عبء الطيران باهظاً ، ففي عام ١٩٦٨ اشترك في حرب فيتنام ١٦ ٪ من الطيران التكتيكي ، و ٥١ ٪ من طيران الاستطلاع ، و ٧٣ ٪ من طيران النقل ، و ٣٩ ٪ من الطيران الاستراتيجي . وبلغ نقص الطيارين في الاسلحة الثلاثة ١٦٫٩٦٣ طياراً ، منهم ٤٫٨٧٦ للقوات الجوية ، و ٣٫٧٥٨ للبحرية ، و ١٫٤٨٧ لمشاة البحرية .

تدريب الجنود الامريكيين :

لقد ذكرنا من قبل ان اعداد الطيارين عملية باهظة التكاليف تتطلب وقتاً وجهداً كبيرين [١] .. ولا تتطلب مهمتهم معرفة تقنية عالية فحسب ، ولكنها تتطلب معنويات وصحة لا تعرف الوهن . كما تتطلب جميع اطارات الجيش البري صفات مشابهة بدرجة أقل ارتفاعاً . ويتعرض أفراد هذه الاطارات مع جنودهم قبل ترك الولايات المتحدة الامريكية الى تدريب عنيف تحت اشراف مدربين أكفاء في المعسكرات العديدة المنتشرة في جميع الولايات ... وتقترب شروط حياتهم قدر المستطاع من الشروط التي تفرضها الطبيعة الفيتنامية . ويتم تدريبهم في جو حار مشابه لجو الدلتا وعلى ارض جبلية مغطاة بالغابات والممرات المفخخة والوديان المزروعة بالارز بعد ان أعد فيها قرى مشابهة للقرى الانامية بمخابئها ، ودهاليزها المطمورة ، ومعاقلها المخفية تحت الارض ، ومدفعيتها الملتصقة بالصخور وسط نباتات البامبو التي لا يمكن اختراقها ، كما يكون

---

(١) فصل الاستراتيجية الاقتصادية : ثمن الحرب .

التدريب قريباً من الحقيقة . وفي مثل هذا الجو ، وخلال ثلاثة شهور متوالية يتعلم الرجل بأسلوب عملي مدروس كيف يتقن فن القتـال ، ويكتسب مهارة اليدين وقـوة الذراعين وقدرة الساقين على المسير الطويل السريع ، ويصبح جسمه قادراً على تحمل جميع الأعباء دونما تعب أو إرهاق .

ويساعده برنامج التدريب [1] المعد بشكل يتلاءم مع واقع الحرب على أن يزحف وينتقل في جميع الظروف ، وأن يرمي في وسط الظلام ، وأن لا يرتجف عند تحرك الأعشاب والأغصان أمـامه . ويساعده التدريب على معرفة السلاح واستخدامه ، وتطبيق تكتيكات القتال وحيله . ويثير فيه الشجاعة والارادة والمبادهة التي يحتاج اليها كحاجته لعضلاته وسلاحـه . ويعلمه كيف يفكر ، ويتحمل المسؤولية ، ويتدبر شؤونه في أصعب الظروف ... وتدفع القطعات التي ينقصها التدريب أو الثقة ثمناً غالياً في قلب الأدغال : إذ يبدأ الرجـال العمل مترددين تائهين. وتـُزهق في هذه الحالة أرواح بشرية عديدة بلا جدوى. وهنا تبدو أهمية قيم القائد المادية والمعنوية ، لأنها تشكل ركيزة البناء كله.

ويتصف الضابط الامريكي بفلسفة هادئة ، ومعرفة عميقة لمعداته القتالية . ولقد أثرت عليه الحرب الفيتنامية تأثيراً بالغـاً فقوّت إرادته ، وزادت من سلطته ، وصبغت قيادته بالقدرية ، وكشفت نفسيته المرحـة وعقليته العملية وميوله الرياضية ، ودفعته الى معرفة النفس البشرية بشكل أفضل . وهو يحس داخل وحدته بأنه يعيش وسط أسرته ورفاقه. فالجميـع متعارفون ، ويتعرضون لخطر مشترك ، ويشكل كل واحد منهم جزء من الأداة الحربية الكبيرة . ولقد اعتادوا خلال تجربتهم الطويلة على تقبل المتاعب ، وتحمل على انواع المشاق .

---

(١) يتضمن المنهاج تطبيق التمويه ، والمسيرات، والقتال الليلي، والرمي الحقيقي والمناورات المشتركة المزدوجة لمختلف صنوف الاسلحة ، وعمليات الانزال مع اجتياز المرتفعات بالحبـال ، بالاضافة الى اعداد نفسي يجعل كل جندي « مقاتلاً عنيفاً ضد الشيوعية » .

القوى المعنوية للمقاتل الامريكي :

لقد اتخذت القيادة الامريكية كافـة التدابير لدعم الروح المعنوية وتقوية جذوة نارها . وتعمل الدعـاية السياسية على إثارة روح العداء ضد الشيوعية لدى كل فرد وتقنعه بأنه يقاتل دفاعاً عن قضية عادلة . ويقدم الدين دعماً لا يستهان بـه في حرب يحاول الامريكيون اعطاءها صفة « الحرب المقدسة » . ومن المعروف ان الكاردينال سبيلمان بطرك نيويورك والمسؤول الديني العـام للقوات المسلحة الامريكية عبارة عن « مكارثي [١] » متحمس ووطني متشنج. وقبيل وفـاته بسنة واحدة قام يوم ٢٥ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٦ وخلال صلاة عيد الميلاد بمهاجمة « الشيوعيين الملحدين » ، وأعلن دونما مواربة عن دور الايمان العميق بقوله : « انني مؤمن بأمريكا وبدورهـا العظيم ... في أن تقف وسط شعوب الارض كمثال مضيء يتعاون الدين فيه مع الوطنية ويتكاملان.. انني اعتبر الجنود الامريكيين كمبشرين يعملون لاكتساب النفوس وربحها في سبيل المسيح . ان حرب فيتنام دفاع عن الحضارة. ولا يمكن أن نتصور حلاً آخر سوى النصر »[٢].

وتترجم هذه التصريحات أفكار القيادة الامريكية الـتي تقوم بسلسلة من التدابير بغية تقوية الروح المعنوية لدى المقاتلين خلال إقامتهم في فيتنام مدة عام كامل ، وهي مدة قصيرة لا ينقطع الجنود خلالها عن الاتصال بوطنهم ، ولا يجدون الوقت الكافي لتبني عقائد سياسية جديدة . وهناك تدابير متعددة

---

(١) تجسد المكارثية العداء الحـاد الموجه ضد الشيوعية . ويعتبر جوزيف مكارثي داعيتها الاول . ولقد كان مكارثي عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٤٧ . فاستغل منصبه كرئيس للجنة الأبحاث المنبثقة عن مجلس الشيوخ ، وقـام حتى عـام ١٩٥٤ بمطاردة الشيوعيين والاشتراكيين وحتى اللبراليين بعنف يذكرنا بمحاكم التفتيش .

(٢) أثارت أقوال الكارينال سبيلمان الرأي العام الكاثوليكي، حتى أن عدداً من رجال الدين الغربيين ، والفرنسيين بصورة خاصة ، أعربوا عن عـدم موافقتهم على مثـل هذه التصريحات البعيدة كل البعد عن روح المحبة المسيحية .

لتسليتهم والترفيه عنهم . فإذا كانوا طيارين وجدوا في قواعدهم أو على ظهر حاملات الطائرات من ٢٠ الى ٦٠ جهـــاز تلفزيون تبث البرامج التي يراها المشاهد الامريكي قبل ٢٤ ساعة. وهناك مخازن غاصة بالبضائع ، ومكتبة غنية تؤمن حاجاتهم . وإذا كانوا يقاتلون براً جاءتهم الفرق المسرحيـــة والغنائية المشهورة . وبعد ان قام مشاة البحرية بمعارك ضارية متعددة صار بوسعهم ان يستريحوا ثلاثة ايام كل اسبوع . وللافـــادة من هذه الراحة الى أقصى مدى يزور مشاة البحرية معسكرات خاصة تدعى « R and R. »[1] وهي معدة للاستراحة والتسلية . ويتمتع كافة الجنود كل شهرين بإجازة مدتهـــا ٤ ايام ، فيطيرون الى سايغون وبانكوك ومانيليا أو طوكيو ، وهناك يعيشون وسط المسرات وفي جو شرقي يحاول تقليد الحيـــاة الامريكية ، فيقتلون متاعبهم ويغرقون مخاوفهم . وقد تقل المدة الفاصلة بين الاجازات عن الشهرين اذا كانت ظروف القتال قاسية جداً .

وهناك امور كثيرة معدة لدعم تفاؤلهم وتأمين رفاه نسبي وحياة رغدة . فهـــم يتلقون تموينهم من البر او الجو ، لأن مصالح الشؤون الادارية منظمة بشكل رائع . ويعكس ذلك رغبة الامريكيين بالحياة بشكل انساني مرفه ، كما يعكس قدرة مجتمع صناعي واثق من نفسه ويتمتع بثروة لا تنضب ... وبعد محادثة لاسلكية ، أو بناء على مخطط دقيق موضوع مسبقـــاً تقوم طائرات الهليكوبتر بجلب كل شيء : كالخيام والبيوت الخشبية الخضراء مسبقة الصنع ، ومضخات مبيدات الحشرات ، ومعدات الإقامة والتخييم والاطعام ، وأدوات الزينة ، ومختلف الألبسة الداخلية والخارجية ، والقمصان المضادة للرصاص ، والأدوية وحبوب الفيتامينات ، والأدوات الموسيقية ، والسجائر والشوكولاتة وكل أنواع الحلويات ، وزجاجات الويسكي ، واللبان ، والمرطبات التي تقدم في قلب المعركة .

---

(١) وهي اختصار لـ : Rest and Recuperation

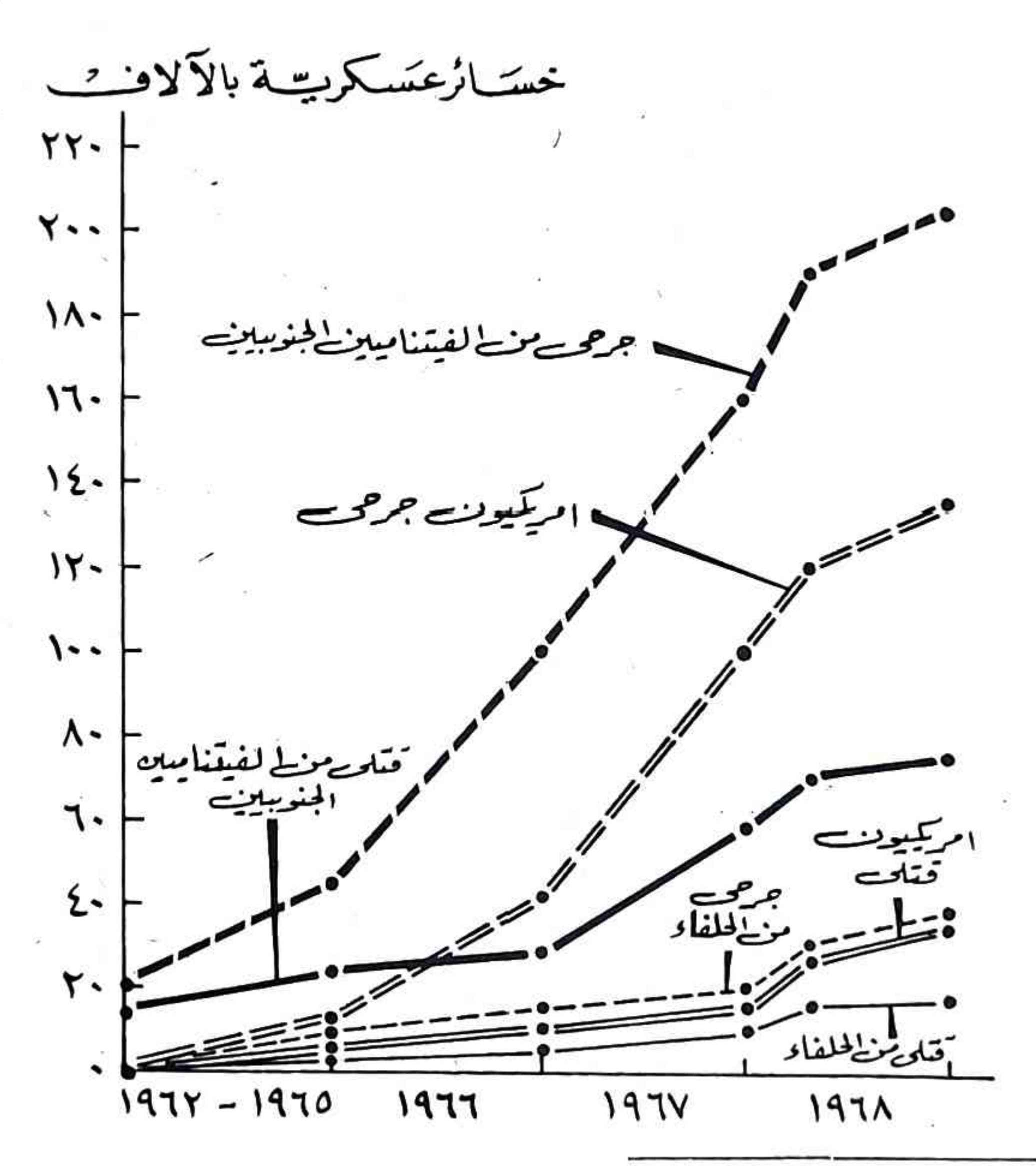
ويبذل اهتمام خاص بالغـذاء : ويقدم للمقاتلين الشاي ، والحليب المركز ، والقهوة ، والمياه المعدنية ، والكوكاكولا ، وعصير الفواكه ، والبيض الطازج، والخضار والفواكه ، وعشرة انواع من اللحوم من الروزبيف والديك الرومي والخنزير المقدمة في اكياس من السلوفان الى شرائح الجامبون المعلبة . وهـذا ما يسمح لكل فرد بأن يأكل على هواه طعاماً متنوعاً ومغذياً بمـا في ذلك وجبات القتال المحفوظة بشكل جيد .

وهناك مصلحة خاصة لنقل البريد الشخصي الذي لا يتأخر مطلقاً . وتوزع الرسائل بانتظام مرتين او ثلاث مرات كل يوم . وتقوم الرسائل مع الصحف والمجلات والنشرات وأجهزة الترانزيستور بربط المقاتلين مع الشعب الامريكي برباط وثيق . وهكذا تعمل القيادة على تغذية نفوس الجنود وأجسامهم كيما يروا الامور بمنظار مضيء ، ويكونوا اكثر قدرة على تحمـل التعب الجسمي والعصبي الذي يؤثر على المعنويات ويحطمها .

وتتم المحافظة على المعنويات ايضاً بفضل خدمات صحية منظمة . ويملك كل فرد حقيبة صحية صغيرة [1] تقدم له في بعض الاحيان اسعافاً سريعـاً كبير الفائدة . وتنقل طائرات الهليكوبتر الخاصة بالاخلاء الصحي للجرحى خلال عدة دقائق من اصابتهم . ويقوم الاطباء في المركز الجراحي الميداني، والموجود على ارض المعركة نفسها ، بانعاش الجرحى ، وإعطـاء الاسعافات الاولية مستخدمين البلازما المحفوظة ، ثم ينقلون من يجب نقلهم الى اقرب قاعدة حيث تستقبلهم مستشفيات ميدان مجهزة بأفضل التجهيزات ، او نحو المستشفى العائم (مركب خاص) الذي يعتبر أفخم المستشفيات في العالم وأحدثهـا وأفضلها تجهيزاً وعنـاية . ويوضع القتلى الذين يسقطون في المعركة داخل اكياس من البلاستيك المفضض ذات سحاب معدني يغلقهـا من الوسط . ولا يمكن في أية حال من الاحوال ، ومهما كانت ظروف المعركة تركهم أو دفنهم في ارض

(١)وفيها أنابيب مورفين، وحقن تحت الجلد،وشاش، وأربطة ، ورباط ضاغط لمنع النزيف..الخ

فيتنامية ... حتى ان القيادة دفعت طائرات الهليكوبتر لالتقاط قتلى داك تو وخيه سانه بغيـــة إرسالهم بالطائرات الى مسقط رأسهم في الولايات المتحدة الاميركية . ومن الملاحظ ان نسبة من يموتون بتأثير جروح الحرب قليلة جداً[1]. وهذا دليل واضح ومباشر على نشاط وبراعة مصلحة الصحة العسكرية الامريكية في فيتنام.



(١) وصلت هذه النسبة في فيتنام الى ٢ر١٪ في عام ١٩٦٨، على حين أنها كانت ١ر٣٪ خلال حرب الهند الصينية في عام ١٩٥٤ و٢ر٤٪ في عام ١٩٤٥ و ٩٪ خلال الحرب العالمية الأولى.

خسائر الامريكيين والفيتناميين الجنوبيين والحلفاء:

بالرغم من هذه التدابير الدقيقة يقع في هذا الصراع الجهنمي عدد من القتلى والجرحى يتزايد على مر السنين (كما هو مبين في الخط البياني). ففي عام ١٩٦٨ خسر الامير كيون ١٤٫٥٢١ قتيلاً و ٩٢٫٥٦٤ جريحاً ، على حين كانت خسارتهم في عام ١٩٦٦ ، ٥٫٠٠٨ قتيلاً و ٤٠٫٦٣٣ جريحاً ، كما كانت في بحر السنوات الست السابقة ١٫٦٨٠ قتيلا و ٩٫٧٦٣ جريحاً . وفي عـــام ١٩٦٨ أصبحت الأرقام الاحصائية مشوهة كثيرة التناقض، وهي تدل على ان الخصمين المتحاربين يخفيان الحقيقة ويقدمان ارقامـاً مغلوطة . الأمر الذي يؤدي الى استنتاجات متناقضة كل التناقض. ولا يذكر الامير كيون خسائرهم من الزنوج الذين يخسرون نسبياً ضعف ما يخسره البيض [١] .

ويتزايد عدد القتلى والجرحى من الفيتناميين الجنوبيين بسرعة مشابهة. ولقد كانت خسائرهم في نهاية عـــام ١٩٦٥ عبارة عن ٢٧٫٦٥٥ قتيلا و ٤٨٫٧١٣ جريحاً . ثم ارتفعت في نهاية عام ١٩٦٦ الى ٣٨٫١٦٤ قتيلا و ٩٦٫٨٧٦ جريحاً، ووصلت في نهاية ١٩٦٧ الى ٤٩٫١٧٥ قتيلا و ١٦٨٫٨٧٦ جريحاً ، ولم تلبث ان قفزت في نهاية عـام ١٩٦٨ الى ٧٥٫٠٠٠ قتيل و ٢٢٠٫٠٠٠ جريح . وتفقد قوات الحلفاء الآخرين خسائر تتناسب مع تعدادها. ويقع خطها البياني بين خط خسائر الامير كيين وخط خسائر الفيتناميين الجنوبيين (انظر الخط البياني) .

وتقلق كل هذه الخسائر الرأي العـام الاميركي . وتهز ضمائر المسؤولين في أعلى المراكز القيادية . وتبرهن لهم على ان عدوهم قادر على أخذ المبادهة بعمليات كبيرة ، وتحقيق المفاجأة الاستراتيجية أو التكتيكية رغـــم أقوى أجهزة الاستخبارات في العالم .

---

(١) يمثل الزنوج ١٠ ٪ من مجموع الشعب الامريكي . ولكنهم يخدمون في فيتنام في القطعات المقـاتلة ، وتبلغ نسبتهم حسب الاسلحـة ٢٨ – ٣٢ ٪ ، كما انها تصل في قطعات المظليين الى ٣٥ ٪ .

أجهزة الاستخبارات الامريكية :

تعمل مصالح الاستخبارات على مستوى وكالة المخابرات المركزيـة .C.I.A التابعة للبنتاغون ، وهيئات أركان مختلف الصنوف في سايغون ومقرات قيادة القطعات الكبرى . وهنـــاك مركز متخصص يراقب المعلومات الملتقطة ويحللها ويركبها .

وتعتبر وكالة المخابرات المركزية المنتشرة في كل أنحاء العالم « مصنعاً حقيقياً للمعلومات » وهي تملك وسائط استعلام وعمل لا يستهان بها . وتضم عشرات الآلاف من الموظفين ، وتعادل ميزانيتها ميزانية وزارة الدفاع الفرنسية تقريباً. وتستخدم في فيتنام مصادر ووسائل كبيرة ، ومع هذا فهي لا تحصل في بعض الأحيان إلا على نتائج مخيبة للآمال .

ويدرس البنتاغون المعلومات العسكرية الهـامة ، وتجمع آلاته الحسابية الاليكترونية بحراً من المعطيات الواقعية وتحللها وتركبها لتقدم في أقصر وقت ممكن وبفضل تحليل منطقي متسلسل تقديراً كاملاً للموقف . وتحل هذه الآلات كل المعضلات ، وتقدم كل معطيات القرار . ولكن ليس هناك مناسبة قادت فيها العوامل البشرية الناجمـة عن الاندفاع المعنوي الى نتائج مغلوطة مخادعة كالنتائج التي تتوصل اليها الآلات الحاسبة في الحرب الفيتنامية . ولقد كتبت مجلة يو. اس. نيوز اند ورلد ربورت في يوم ٢٠ مارس (اذار) ١٩٦٨ في هذا الصدد ما يلي : « ان الآلات الحاسبة لا تعطي أية نتيجة حول إرادة العدو وقدراته » .

وتملك هيئة اركان القيادة العـامة في سايغون مصلحة استخبارات منظمة بشكل رائع . وهي تعمل بسرعة وكفــاءة ، وتملك قواعد منتشرة حتى على مؤخرات الخصم . وتستخدم أجهزتها الاليكترونية الضخمة ١٫٢٠٠ أخصائي ، كما تستخدم مئات الآلاف من بطاقات المعلومات ، وتقلب عشرات الأطنان من الوثائق الى لوائح وبطاقات .

ولكن من أين تأتي هذه الوثائق ؟ انهـــا تأتي من جميع مراكز التنصت والمراقبة البرية والجوية والبحرية [١] . كما تأتي من مختلف هيئات الأركان [٢]، ومن المفارز الآلية الخاصة [٣] ، ومن الاستطلاعات والصور الجوية التي تأخذ على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي أهمية كبرى .

وتتم مهمات الاستطلاع والتصوير الجوي على الطرق والمسالك والنقـــاط الحساسة والمناطق الخطيرة بشكل دوري. ويؤدي هذا العمل احياناً الى كشف نوايا العدو. وتقوم طائرات التجسس الخاصة التي تحلق بدون طيارين، وصواريخ الاستطلاع Tattletale [٤] بإضافة معلوماتها الى معلومات طيران الاستطلاع الذي يستخدم عدة انواع من الطائرات وخاصة Northrop F-5 التي تعتبر في الوقت

---

(١) من المفيد هنـا أن نذكر بأن اسطولاً حقيقيـاً من مراكب التجسس المستترة وراء اسم مراكب الأبحاث العلمية ينتشر على طول شواطىء الصين وبلاد جنوب شرقي آسيا ، ويعمـل أحياناً لصالح وكالة المخابرات المركزية مباشرة . وتحمل مراكب التجسس عدداً من الهوائيات والأجهزة الاليكترونية التي تلتقط المحادثات اللاسلكية وتحل رموزها . ومن هذه المراكب مثلا بويبلو وليبرتي المشهورتين .

(٢) وهي تنقل المعلومات عن المشبوهين، والتحقيقـات مع الاسرى، وتقـارير الدوريات ، ومعلومات العملاء المحليين، والرسائل والوثائق المستولى عليها من العدو .

(٣) تعمل هذه المفارز العديدة في كل بقعة من الارض الفيتنامية، وفي داخل البلاد المجاورة. وهي تضم عادة شخصين أو ثلاثة أشخاص ممن يتكلمون اللغـة المحلية ، وتزود بأحدث أجهزة الاتصال اللاسلكية . وتتوغل داخل الأدغال حيث تمكث في بعض الأحيان شهرين قبل العودة الى قواعدها .

(٤) وهي عبارة عن صاروخ صغير يحمـــل في رأسه آلة تصوير سينمائية تنفصل عن الجسم عندما يصل الصاروخ الى ذروة ارتفاعه ، وتبدأ بعد ذلك بالهبوط فوق مواقع العدو ، وتقوم بالتصوير خلال عملية الهبوط . وعلى ارتفاع ٢٠٠٠ م تقوم طائرة صغيرة بالتقاطها وإعادتهـــا مع أفلامها .

نفسه مطاردة تكتيكية ، وطائرة فانتوم RF - 4c [1] التي ضاعفت قيمة الاستطلاع مرتين . وهكذا يرد الاستطلاع على عدة أسئلة : كالموقف في هذا القطاع او ذاك ، وحركات القطعات المعادية وقدرتها القتالية ، وهدف كل عملية من العمليات ، ومعلومات عن الأهداف ونتـــائج الهجوم الصديق . وينقل التلفزيون بلا إبطاء صورة موقف القوات المعادية .

الاستراتيجية الجوية - البحرية

تعتبر القوة الجوية العنصر الأساسي في الاستراتيجية الامريكية . ولقد قال عنها الجنرال ويستمورلاند « انها القوة الوحيدة القادرة على إلحاق الهزيمة بالعدو بفضل عمل عسكري مستمر يختار أهدافه وسط بنية العدو العامة ... اننـا نقوم بحرب استنزاف لأن استراتيجيتنا تستبعد استخدام حرب الإفنــاء » (نيسان ١٩٦٧) .

---

(١) الطائرة فانتوم RF - 4 C طائرة ذات محركين ، تفوق سرعتهـا سرعة الصوت ، ويمكن أن يركب فيها شخصان ، وتقوم بمهمات الاستطلاع الليلية ، وهي مزودة بآلات تصوير وكاميرات سينمائية دقيقـــة تغطي مساحات واسعة . وتبلغ قوة الاضاءة التي تستخدمها عند التصوير ۰۰۰ر۰۰۰ر٥ شمعة ، وهذا ما يسمح لها بأن تضيء في الليل أهدافـــا متحركة جداً كقوافل السيارات وان تصورها بعد ذلك ، وتشوش أجهزتهـا الاليكترونية على أجهزة رادار العدو . وفي الطائرات جهاز رادار حساس طراز(S. L. A. R.) يعطي الطيار صورة دقيقة لشريط عرضه ٢٠ كم من الارض التي يحلق فوقها ، كما ان فيها جهازاً من طراز A.A.S. 18 يستخدم الأشعة تحت الحمراء ، ويكشف منابـع الحرارة كالسيارات المموهـــة ، ونيران أماكن الاقـامة المختفية وسط الادغال . وهو يشبه الجهـاز الموجود على طائرات الهليكوبتر طراز Mohawk . ومـــا أن يكشف الجهاز مكان مصدر الحرارة على شاشته حتى تقوم آلة اليكترونية بحسـاب موقعه على الارض ، وتنقـل احداثيات الرمي بصورة آليـة الى بطاريات المدفعية المستعدة للرمي .

ومنذ مارس (اذار) ١٩٦٥ دخل الصراع في مرحلة الحرب الشاملة . وضُربت مواقع الفيتكونغ وملاجئهم بالنابالم والأسلحة الكيماوية والقنابل العادية بمعدل قنبلة كل ١٠ أمتار، وعلى منطقة تغطي مساحتها في بعض الأحيان عشرات الكيلومترات المربعة [١] . وبالاضافة الى ذلك فإن خط العرض ١٧ لم يعد موجوداً . إذ يمارس الامريكيون يومياً قصف فيتنام الشمالية التي تملك جهازاً إدارياً وصناعة وجيشاً تقليدياً وسلطة سياسية . وتأمل القيادة الامريكية من ذلك أن ينحني الشماليون تحت عبء الضربات ويطلبون المفاوضات، الأمر الذي يجبر الفيتكونغ على السير وراءهم . وفي ٣١ مارس (اذار) ولتسهيل مهمة مباحثات باريز أعلن جونسون عن « إيقاف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية فوراً باستثناء الاراضي الواقعة شمالي المنطقة المجردة ، والمحصورة بين خطي العرض ١٧ و ٢٠ » .

وفي عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ ركز سلاح الطيران الاميركي غاراته على طرق

---

(١) يستخدم الامريكيون أنواعاً متعددة من القنابل : قنابل زنة ٥٠٠ ليبرة (تنفجر على سطح الارض) وقنابل زنة ٣٦٤ ليبرة (تأخيرية) وقنابل زنة ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ ليبرة. وقنابل منشار ذات كرات أو قنابل تتشظى (CBU - ABC) من نوع « أناناس » و « جوافه » . وتلحق هذه القنابل المضادة للأشخاص بالأهالي المدنيين خسائر تفوق ما تلحقه بالأهداف الاستراتيجية .

ولزيادة فاعلية القصف الجوي في الغابات يقوم الامريكيون باستخدام النابالم بالاضافة الى مواد تسقط اوراق الشجر ، فما أن تسقط الاوراق حتى يبدأ الهجوم الجوي عمله .

وغدت فيتنام « حقل تجارب واسع » تم فيه استخدام غازات مختلفة مختلطة . وزودت الولايات المتحدة الامريكية جيش فيتنام الجنوبية بغازات من نوع CN و CS و BZ وكلها غازات غير قاتلة . أما الغازات من نوع N3 DM فهي غازات تسيل الدموع وتسبب القيء وتخلق احساساً بالضيق، وتخرج الرجال من المعركة لعدة ساعات. وتأتي مشتقات الميسكالين المعد منذ عام ١٩٦٥ مع الغازات التي « تقتل القدرة » ، وهي تؤدي الى شل القدرة على العمل بصورة مؤقتة ، أو تسبب التخيلات والأوهام، او تخلق نوعاً من الخمول المشوب بالسعادة بشكل يمنع المرء من القتال ، او تنشر نوعاً من شلل الارادة والهلع .

المواصلات ، وجسور الطرق والسكك الحديدية ، وقوافـــل القوارب النهرية والبحرية ، ومستودعـات المحروقات ، والقوافل والمعسكرات الحربية ، والتحصينات، والممرات المؤدية الى طريق هوشي مينه . كما تابع قصفه المنهجي للتحصينات ووحدات المدفعية الشمالية المتمركزة قرب المنطقة المنزوعة السلاح، والتي تقوم بقصف مواقع الاميركيين ومعسكراتهم.

بيد أن كل هذه التخريبات لم توقف نشاط الفيتناميين. فزاد الاميركيون ضغطهم في الجنوب ، كما بدأوا منذ عام ١٩٦٧ يقصفون مصادر القوة الاقتصادية في فيتنـــام الشمالية : مصانع الذخيرة ، ومستودعات المحروقات ، والصناعات المعدنية ، ومصانع الاسمنت ، وعقد المواصلات .. الخ . وتابع التصعيد مساره خطوة إثر أخرى . وفي خلال صيف ١٩٦٧ هاجم الطيران الاميركي أهداف جديدة فدمر معبد هانوي وقطع خط مواصلاتهـا الرئيسي (جسر دومر) ، وضرب أهدافـــاً قريبة من الصين على جسور ومحطة لانغ – سون ، وعزل هايفونغ ، وهدم ورشاتها البحرية ، ودمر جسورها الأربع التي تنقل عبرهـا البضائع . وفي خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٦٨ توجـــه الطيران الى ضرب المطارات ، وبعد ٣١ مارس (اذار) تلقى الطيران أمراً من جونسون لمهاجمـة الأهداف في المناطق غير المحمية ، وارتفع حجم الذخيرة المستهلكة ، وغدت الغارات الجوية دقيقة دقة متناهية.

اعداد وتنفيذ المهمات الاستراتيجية :

يتوصل ملاحو الطائرات الاستراتيجية الى هذه الدقة بفضل أجهزة تسديد اليكترونية دقيقـة بشكل رائع ، وبفضل إعداد المهمات إعداداً كاملا . وهم يعدون إضبارة كاملة لأهدافهم يجمعون فيهـــا الصور والمخططات المفصلة والمعطيات التقنية والجوية . وعندما يجلسون في مقاعدهم الوثيرة وسط « غرف الانتظـــار » ينقل اليهم لوح مضيء معلومات هامة محفوظة في ذاكرته الاليكترونية عن آلاف الأهداف التي يحتمل ضربها ، فيسجلون ما يشاؤون

من معلومات وأرقـام . ويتابعون التوجيهات والأسهم المرسومة على خارطة مضيئة كبيرة تحـــدد لهم طرق سيرهم وخطوط مناوراتهم . ويستمعون الى الشروح الشفهية اللازمة لذلك .

وينفذ الملاحون عادة قصفهم الجوي عندما تكون طائراتهم في الوضع الأفقي وعلى ارتفاع ١٢٫٠٠٠ قدم في مأمن من رمي المدفعية المضادة للطائرات . فإذا ما ارتفع مستوى تدريبهم صار بوسعهم القصف وهم على ارتفـاع منخفض ، فيحققون المفاجأة نظراً لأن الرادارات لا تستطيع في هذه الحالة كشفهم [١]. وتشتبك المطاردات الاميركية التي ترافق القاذفات أحيـانا بمعارك جوية مع طائرات الميغ التابعـــة لسلاح الطيران الفيتنامي الشمالي . ويتابع المركز الرئيسي على شاشات الرادار في القاعدة أو حاملة الطائرات تقـدم الطائرات وتحركاتها . ويقوم حاسب آلي بالعمل بسرعة كبيرة لجمع المعلومات العملياتية وفرزها وتصنيفها ووضعها بلوائح واضحة . وترسل كل هذه المعلومـات الى جميع القيادات الكبرى الجوية والبرية والبحرية . وهكذا تخضع الطائرات

---

(١) وللتخلص من الرادار ومن صواريخ سام السوفييتية الحديثة يستخدم الامريكيون عدة أساليب : فهم يلجأون الى دهن طائراتهم بدهان من أوكسيد الحديد بشكل يجعلها أقل ظهوراً على شاشات الرادار . ولمجابهة الكاشفات الفيتنامية تحت الحمراء يستخدم الامريكيون قنابل خاصة تتجه آلياً الى مصادر الحرارة. وتحدد صواريخهم الجوية الكهر ـ طيسية « Strikes » موجات الرادار فتتبعها لتدمر الجهاز المرسل . وتتلقى الطائرات C-121 مهمة محددة : فهي مزودة برادار يكشف قاعدة الصواريخ في لحظة الاطلاق . وعندما يتم الكشف ترسل الى كافة القاذفات اشارة لاسلكية كيما تأخذ تدابير مضادة « ايجابية فعالة » كالدوران بسرعة ، والأنقضاض امام الصواريخ . بيد ان الطائرات C-121 لا تستطيع القيـام بمهمتهـا إلا اذا خفضت سرعتهـا وارتفاعهـا . وهذا مـــا يجعلها عرضة لنيران المدافع المضادة للطائرات ونيران الرشاشات والبنادق أحياناً .

ومن الجدير بالذكر انه تم تزويد طائرات ب ـ ٥٢ منذ اكتوبر « تشرين اول » ١٩٦٧ بأجهزة تسمح لها بتشويش الرادارات التي توجه الصواريخ سام نحو أهدافها بشكل يجعل الصواريخ تخطىء الهدف وتنفجر بعيداً عن القاذفات .

للمراقبة منذ إقلاعها حتى وصولها الى الهدف والعودة منه الى قاعدتها البرية أو البحرية .

الطيران الاستراتيجي في تايلاند :

تمثل تايلاند عاملاً أساسياً في الاستراتيجية الاميركية . ولقد وضعت فيها القيادة الجوية والاستراتيجية عدداً من القذائف الذرية التكتيكية. ومن الممكن استخدامها ضد فيتنام الشمالية ، وضد « البطن الرخو » للصين . ويقع مقر القيادة الجوية الاستراتيجية في خورات (شمالي شرقي بانكوك) . وتستخدم ثلاثون طائرة ب ـ ٥٢ [١] مهبطين واقعين على خليج بانكوك وطول كل واحد منهما ٤ كيلومترات . كما ان هناك ٤ قواعد للصواريخ و ٣ قواعد للهليكوبتر وسبع قواعد جوية تعمل فيها ٦٠٠ طائرة مطاردة مقاتلة [٢]، و ٢٠٠ طائرة نقل . وفي قاعدة اوبون ، وهي مركز تدريب الطيارين الفيتناميين الجنوبيين، تتمركز

---

(١) تعتبر قاذفات القنابل الثقيلة ب ـ ٥٢ السلاح الرئيسي بيد القيادة الجوية الاستراتيجية. وهي مزودة بثمانية محركات نفاثة . وتحلق بسرعة ١٫٢٠٠ كلم في الساعة ، وتستطيع قطع مسافة ٢٠٫٠٠٠ كلم دون تزود بالوقود. نظراً لأنها من فصيلة بوينغ ٧٠٧ (عابرة المحيطات). ويعمل على هذه الطائرة ٦ ملاحين ، ويبلغ وزنها ٢٠٠ طن ، ٣٠ طن منها عبارة عن قنابل موجهة بواسطة جهاز تسديد آلي . وتتطلب مدارج هبوط طويلة وقوية . وهي مجهزة لحمل ٤ قنابل نووية تعادل قوتها قوة قنبلة هيروشيما مضروبة بـ ٨٨٠ مرة (أي حوالي ١٧٫٦ ميغاطن). كما تستطيع حمل صاروخ جو ـ ارض من طراز Hound - Dog الذي يبلغ مداه ١٠٠٠ كلم.

(٢) ينطلق ٨٠٪ من الغارات الموجهة الى فيتنام الشمالية من مطارات تايلاند وأهم المطاردات القاذفة هي:

– فانتوم F - 4 وهي طائرة مقاتلة متعددة المهمات ذات محركين نفاثين قويين سرعتها ٢٫٤ سرعة الصوت. ووزنها ٢٠ طن . تقاتل في جميع الاوقات وترمي ٧ أطنان من النابالم او القنابل، وهي مزودة بثمانية صواريخ ذات رؤوس باحثة .

– لوكهيد F - 105 طائرة مقاتلة ذات محركين. سرعتها ٢٫٣ سرعة الصوت. وهي مزودة برادارات وآلات حاسبة ومدفع ٢٠ مم ذي ست سبطانات وصواريخ وجو ـ جو، وجو ـ ارض.

مطاردات متخصصة بحماية الهليكوبتر المعدة لأن تلتقط ، بالتعاون مع مراكب الانقاذ الجوية المائية ، الطيارين الاميركيين الذين تسقط طائراتهم في البحر خلال العمليات فوق فيتنـــام الشمالية او الجنوبية . ويعطي أسلوب الالتقاط الممتاز نتائج جيدة جداً . ويعرف الملاحون الامريكيون ان الجميع سيأخذون كافة التدابير لإنقاذهم .

الوسائط الاستراتيجية للاسطول السابع :

وبالاضافة الى القوات الجوية والبريـــة تملك الاستراتيجية الامريكية قوة كبيرة تتمثل بالبحرية الحربية . ويضع الاسطول السابع قوتـه الرئيسية على خط الطول ١٦٠ من خليج سيام حتى مضيق بيهرينغ. وتراقب مراكبه باستمرار ويقظة حركة الملاحة على الشاطىء ومداخل الأنهار . وتتدخل مباشرة ضد الأهداف الواقعة على الشاطىء سواء كانت تجمعات معادية أو بطاريات مدفعية. ويملك الاسطول السابع صواريخ ذات حشوات نووية وتقليدية ، ويشكل مع حاملات الطائرات ارامادا بالغة القوة . ويعمل بتعاون وثيق مع « فيلق المشاة البحرية » التابعة لهيئة الأركان البحرية . ويتضافر الانتقـاء الجيد ، والاهتمام الكامل ، وإفراز وحدات طيران ملائمة لجعل « فيلق المشاة البحرية » القديم نخبة القوات المسلحة الاميركية في فيتنام [1] .

---

(١) يضم هذا الفيلق في جنوب شرقي آسيا فرقتين تعد كل واحدة منها ٢٠٫٠٠٠ رجـل و ٣٥٠ طائرة و ١٥٠ هليكوبتر. وتتمركز مفاوز من مشـاة البحرية على سلسلة الجزر المحيطة بالشواطىء الآسيوية. وهناك حوالي ١٠٫٠٠٠ طائرة منها ٦٠٠ قاذفة من أحدث طراز،وألف صاروخ عابر للقارات طراز Minuteman تقف مستعدة لتدمير الصين، وتشكل مستودعاً للأسلحة النووية من عيار ٥٠٫٠٠٠ ميغا طن .

الاستراتيجية والتكتيك في الجو والبر

الاستراتيجية :

يحس الشعب الاميركي إزاء الاستراتيجية الجوية بخيبـة أمل مريرة . فمنذ فبراير (شباط) ١٩٦٥ تقصف الولايات المتحدة فيتنام الشمالية دون جدوى لأن هانوي لم تخضع . كما ان حدة العمليات البرية في الجنوب تتزايد يوماً بعد يوم . ففي نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٦ طلب وزير الطيران من لجنة خاصة ان تقدم له تقريراً حول فاعلية سلاح الطيران ، فجـاء تقرير اللجنة يقول : « لن يستطيع رجال الفيتكونغ الصمود... فهم يخافون من القصف بشكل رهيب». ولكن تجارب سنوات طويلة من الحرب أثبتت انه كان من الخطأ الاعتماد بهذا الشكل على تأثير القصف الجوي . ولقد اكد ماكنمارا قبل ان يترك منصبه « بأن قصف الشمال بغية إجبار الجنوب على الخضوع استراتيجية سيئة ». كما ان الجنرال جيمس غافين الذي يتمتع باحترام كبير لدى الرأي العام الاميركي، صرح تصريحاً مشابهاً عندما قال [١]:« تؤدى عمليات القصف الاستراتيجي ضدفيتنام الشمالية الى نتيجة معاكسة للنتيجة المرجوة . ولا شك في ان إيقـاف القصف يصلح الاستراتيجية ويرفع الحـالة المعنوية ، لذا لا بد من إيقافه فوراً » . ولقد دافع عن هذا الأمر ايضاً آرثور غولد بيرغ ، الرئيس السابق للبعثة الاميركية في الأمم المتحدة ووضع دفاعـه ضمن دراسة نشرت اعتباراً من ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ [٢] .

---

(١) الجنرال جيمس غافين : نعم « ان بوسعنا ترك فيتنام » صحيفة الفيغارو الأدبية من ١١ حتى ١٧ مارس ١٩٦٨ .

(٢) « أمام العالم المعاصر » صحيفة لوموند من ١٠ حتى ١٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ .

تذبذب الموقف الاستراتيجي من عام ١٩٦٥ حتى هجوم رأس السنة الفيتنامية :

ولا تصمد الاستراتيجية البرية أمـــام تجارب السنين بشكل أفضل من الاستراتيجية الجوية . ففي الوقت الذي تقوم فيه المطرقة بالضرب في الشمال بقوة وعنف تقوم مطرقة أخرى بتسديد ضربات عنيفة في الجنوب ، ولكنها ضربات مبعثرة وغير منسقة . وتتناقص أهمية نتائج عمليات الاميركيين نظراً لأن الخصم يتلقاها ويمتصها بطبعه الاسفنجي . وهكذا تضيع القوات الاميركية المبعثرة والمحرومة غالباً من المبادهة الاستراتيجية وتسير في طريق استراتيجي مسدود .

ولكي يتم الحفاظ على الحرب ضمن بعض الحدود بانتظار حـل دبلوماسي ، طالب الجنرال غافين في عام ١٩٦٥ [١] ما أسماه « باستراتيجية النقاط المحمية » التي لم يتم تطبيقها بشكل دقيق . وكان يطلب من القوات الاميركية التي تأتي الى فيتنام تباعاً [٢] ان تتمركز في قواعد تؤمن بعد تنظيمها حيطة نسبية جيدة ، على ان لا يحاول الاميركيون الخروج منها لطرد عدوهم من مواقعه ، او حرمانه من السيطرة على مناطق واسعة .

وظهر « التربيع » عاجزاً عن تحقيق مهمته . كما فشل برنامج « إحـــلال السلام في الريف » الذي عمل فيـــه ٩٠٪ من القطعات الفيتنامية الجنوبية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ١٤٥٫٠٠٠ في سبتمبر (ايلول) و٢٠٠٫٠٠٠ في ديسمبر (كانون اول). وفي ٦ شباط ١٩٦٥ نزلت أول قطعات المشاة البحرية في دانانغ ، وفي أيار ١٩٦٥ تشكلت قاعدة قوية في شولاي وهي تقع على مسافة ٨٠ كلم جنوبي دانانغ. وفي آب ١٩٦٥ تمركز الطيران ومشاة البحرية في فوباي وهو مطار مدينة هوي، وكانت القيادة الامريكية آنذاك تعتقد بأن ٦٥٫٠٠٠ رجل يشكلون قوة كافية لإحلال السلام في المنطقة الواقعة بين هوي وخط العرض ١٧. كما ان ٢٠٠٫٠٠٠ امريكي يكفون لإحلال السلام في ربوع فيتنام الجنوبية كلها .

و ٤٠،٠٠٠ « متطوع من اجل السلام » منظمين داخل ألويـة خاصة . وعندما تعرضت قوات جبهة التحرير الوطنية لقصف جوي مكثف ولصدام مباشر مع أول القطعات الاميركية القادمة سارعت الى هجر المعارك الواسعة وتقسيم قطعاتها الكبيرة الى أجزاء صغيرة ، وعادت الى أساليب قتـــال العصابات . وضاعفت عملياتها ضد المطارات والمخافر المنعزلة . ثم شنت في اغسطس (آب) هجومـــاً في القسم المركزي من فيتنام ، وفي اكتوبر (تشرين اول) ضاعفت عملياتها في اقليم بينه دينـــه . واصطدمت قوة اميركية فيتنامية تضم ١٥،٠٠٠ رجل بلا جدوى مع الفوج ٣٢٥ مشاة التابع لجيش فيتنام الشمالية.

ودارت في النصف الأول من عام ١٩٦٦ عمليات تمشيط هـــامة متفرقة . ولكنهـــا فشلت ولم تحقق إلا نتائج تكتيكية محدودة . واستغلت فيتنام الشمالية لزيادة نسبة مساعدتها ، وقدمت للجنوب دعماً بالرجال والعتاد .

وفي اغسطس (آب) ١٩٦٦ وعلى الطريق الاستراتيجي رقم ١٩ [١] ، شنت الفرقة الفيتنامية الشمالية ٦٣٠ هجوماً من النجود العليـــا باتجاه البحر مستفيدة من فصل الامطار الغزيرة . وكان هدفها قطع فيتنام الى قسمين ، فزجت ٤ أفواج لمسك الطريق بشكل متين ، وخلق قاعدة يمكن دفع العمليات منها باتجاه الشرق . وهنا خرجت القوات الاميركية بسرعة من قواعدها في الدلتا لإيقاف تقدم الثوار الذين استطاعوا رغم الأمطار ان يثبتوا الفرقة الأولى من الخيالة الجوية . وسيطر رجال الفيتكونغ عـــلى جزء كبير من الدلتا . وشنوا هجمات متلاحقة لا تنقطع أجبرت قوات فيتنام الجنوبية على تخفيف قبضتها . ومدوا نفوذهم الى الدلتا ودانانغ ونها ترانغ وهوي ، وتلاحقت انتفاضات الأهالي في كل مكان ، ودلت التحركات على حساسية موقف الجنرال كاوكي ، وتعثرت الحرب على جميع الجبهات وبدت أطول مما كان متوقعاً ... وكيلا يتورط الاميركيون في هذه الحرب اكثر من ذي قبـــل ، وحتى يحافظوا على

---

(١) يخترق الطريق الاستراتيجي رقم ١٩ فيتنام الجنوبية كلها .

مرونتهم رغم تعرض قواعدهم ومؤخراتهم للخطر ، أخـذوا يكثرون من عمليات التمشيط ، ويزيدون رقعة الارض التي يحتلونها . ويضعون في كل مكان منشآت قتالية مسبقة الصنع ، ويخلقون نطاقات الحيطة والامن حول القواعد . وبذلوا اهتماماً واحداً بعمليات الهجوم ، ومحاولات إحلال السلام ، وعمليات الدفاع المطبقة كلها بآن واحد على مختلف مسارح العمليات . ومنذ اوكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ حتى مارس (اذار) ١٩٦٧ شن الامريكيون مع الفيتناميين الجنوبيين وحلفائهم ألف عملية لن نعود هنا الى ذكر تفصيلاتها [١] .

وتعرضت عمليات « اتيلبورو » و « جونكشن سيتي » التي تمت على مستوى فيلق الى فشل ذريع . ولقد حطم جياب عملية « جونكشن سيتي » بكل عنف عندمـا دفع ثلاث فرق عبر المنطقة المنزوعة السلاح . عندها زجت القيادة الامريكية على جبهة خط العرض ١٧ بمجموع قواتها الاحتياطية الاستراتيجية ، وكانت عبارة عن فرقتي مشاة من مشاة البحرية ، وعناصر هامة من الفرق الاولى من الخيـالة الجوية . وهكذا وقع الامريكيون في الفخ المنصوب لهم وجمدوا بغباء بمجموع تشكيلاتهم وجعلوها مضطرة الى اخذ موقف الدفاع . وكانت الفرق الفيتنامية الجنوبية المختارة الثلاث تمسك حول خط العرض ١٧ وجنوبه جبهة ثانية يبرز منها ٤ « قنافذ » تذكرنا بقنافذ الحرب العالمية الثانية في روسيا . ولم تكن هذه القنافذ سوى قواعد امريكية محاصرة ، يحتلهـا مشاة البحرية ، وتتعرض بلا انقطاع الى قصف مدفعية فيتنام الشمالية . وهكذا أخذت قوات التحرير الوطنية من الامريكيين المبادهة وحرية العمل في دلتـا نهر الميكونغ وفي النجود العالية وقرب خط العرض ١٧ .

وكانت الفرقة الاولى من الخيـالة الجوية تقاتل على المسرحين الثاني والثالث

---

(١) لقد تم بحث هذا الأمر في فصل الاستراتيجية العسكرية الفيتنامية، الانتشار والمناورات الاستراتيجية .

بكل تصميم منذ سنتين . وكانت قطعاتها مبعثرة لدرجة جعلت ألويتها تعمل متباعدة بمقدار ٤٠٠ كلم . وأخذت السلطات الرسمية تعلن بأن أفواجها تهاجم مواقع الخصم باستمرار ، ومع هذا بقيت هذه المواقع سليمة قوية، وثبتت معظم القوات الامريكية في النجود العليا و في الشمال بغية تخفيف الوطأة عن المناطق الجنوبية في البـــلاد . وسحب الامريكيون جزءاً من قواتهم الموجودة على الشاطىء بغية التجمع في داك تو التي كانوا يعتبرونها قاعدة عمليات متقدمة في حرب مواقع ُفرضت عليهم بمهارة . وفي الوقت نفسه حاصر ٢٠٫٠٠٠ فيتنامي قاعدة خيه سانه الامريكية التي يشبهها البعض بديان بيان فو. وأحست القيادة العليا في سايغون بالخطر المحدق المتزايد . ورأت أن عليها ان تعيد لقطعاتها شيئاً من حركيتها وتمنحها قسطاً اكبر من حرية العمل عن طريق إخلاء بعض القواعد وخاصة في الجبهة الشمالية . ولكن قرارها جاء متأخراً . فلقد كانت القواعد متلاحمة بشكل يجعل من الصعب فصلها (١) . كما ان حذف جزء منهـا كان يعرض صلابة المجموع لخطر ماحق .

الدفعات الاستراتيجية خلال هجوم رأس السنة الفيتنامية :

وهكذا ومع كثير من الحذق والمهارة وضع جياب خصمه أمام معضلات صعبة . ففي بداية عام ١٩٦٨ بدأ ينتزع منه المبادهة ويجبره على أخذ مواقف الدفاع . لقد عزله وسجنه داخـل معسكرات متخندقة عاجزة عن الانطلاق بعمليات خارج حدود تمركزها. وحُطم خط ماكنارا المشهور الذي بدا عاجزاً عن إيقاف تدفق القوات من الشمال الى الجنوب . وشن جياب هجماته على جميع الجبهات بآن واحد ، دون ان يسمح للامريكيين بتقدير حقيقـة نواياه . ووضع

---

(١) لقد كانت مدفعية كامب كارول تحمي قاعدة خيه سانه . وكانت دونغ هـــا تشترك في الدفاع عن جيو لينه ، على حين كانت داتانغ تشارك في الحفاظ على وضع الجبهة الشمالية عن طريق دعمها جواً .

الطعم لعدة أفخاخ استراتيجية ليجبر الخصم على كشف نفسه فيأخذه بالمفاجأة وهو في وضع غير مستقر .

فهل نجحت مخططاته في الهجوم العام يوم ٣١ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٨ ؟ لقد اندلعت المعركة فجأة في جميع انحاء البلاد . وبدأ الفيتكونغ يقصفون المدن بمدافع الهاون وقاذفات الصواريخ . ثم انقضوا واشتبكوا مع عدوهم بقتال التحام عنيف . وكانوا يملكون في كل مكان خلايا ونقاط استقبال استطاعوا بفضلها تحقيق السيطرة على السكان وشل الادارة الحكومية . وكانت المفاجأة عامة والفوضى شاملة . ولم يعرف الامريكيون المكان الذي سيشن منه الثوار الفيتناميون هجومهم الرئيسي . لقد كانوا ينتظرونهم في خيه سانه وفي الجزء الشمالي من فيتنام الجنوبية . ولم يكن في الدلتا سوى ثلاثة آلاف جندي امريكي عندما دخل الفيتكونغ سايغون ، وتغلغلوا في حدائق القصر الجمهوري ووسط مبنى السفارة الامريكية .

وترددت القيادة العليا أمام ضغط الأحداث ، وظنت ان الأمر يتعلق بعمليات مشاغلة وتشتيت . وقالت بأن هدف العمليات الباهرة في المدن هو تحقيق كسب سياسي ، وجذب انتباه القوات الامريكية لمنعها من تركيز جهودها على الجبهة الشمالية وخيه سانه حيث يقع الهدف العسكري الرئيسي . وصرح الجنرال وهيلر الناطق باسم البنتاغون ورئيس اركان القوات البرية « بأن الجبهة تعمل بالتعاون مع هانوي لدفعنا الى سحب جزء من قوات معسكراتنا الواقعة قرب المنطقة المنزوعة السلاح » ثم أكد بأن مكان المعركة الاساسية هو الشمال ، ولا بد من تركيز الوسائط القتالية هناك . بيد ان المعلومات المعاكسة جاءت لتبدل القرار . وبدا للامريكيين بكل وضوح إن ترك الجنوب بيد الثوار والتخلي عن سايغون ، أهم مركز سياسي في فيتنام كلها ، يشكل خطيئة فادحة . خاصة وان انهيار نظام فيتنام الجنوبية سيكون له نتائج خطيرة جداً . وهكذا قرروا الدفاع عن الشمال والجنوب بآن واحد . وكان على الجنرال

ويستمورلاند ان يقود العمليات على هاتين الجبهتين المتباعدتين بمقدار ١٠٠٠ كلم.

وكان لديه في بادىء الأمر ٤ ألوية امريكية[1] تتمركز حول العاصمة حيث يتمركز عددمن خيرة قطعات فيتنام الجنوبية (مظليين، مغاوير ، رماة بحرية). ثم طلب دعماً[2] ، وقام بعرض عضلاته. وعرفت سايغون القتال العنيف خلال ١٥ يوماً ، واجتاحتها مأساة مضرجة بالدماء . وبدأ الامريكيون يقومون بعمليات تمشيط الأحياء بين الخرائب ووسط الشوارع المكتظة بالجثث. وأخذت المدرعات وطائرات الهليكوبتر بتحطيم المقاومات ، وزرع الخراب ، وضرب ضواحي المدينة بالصواريخ والرشاشات . ولم يتورع الطيران عن إبادة أحياء ومدن كاملة بالنابالم . واختفت مدينة بن تري من الوجود مع سكانها البالغ عددهم ٣٥٫٠٠٠ نسمة . وصرح العقيد الامريكي جيمس دراف بقوله : « ولإنقاذ المدينة كان لا بد من تدميرها تدميراً كاملاً » !! وسيبقى هذا التصريح حياً نازفاً في كتب التاريخ العسكري .

وفي الجبهة الشمالية جابه ٧٥٫٠٠٠ من مشاة البحرية بكل صعوبة عنف هجمات خصمهم ومرونة تحركاته . واضطر الجنرال ويستمورلاند لدعمهم ، وخاصة في منطقة هوي ، بعدد من القطعات الكبرى ممثلة بالفرقة الاولى من الخيالة الجوية (٣ ألوية) واللواء الثاني من الفرقة ١٠١ المحمولة جواً ومجموعة « الفهود السوداء » التابعة للفرقة الفيتنامية الجنوبية الاولى .

وقامت هذه التشكيلات المختارة من نخبة القطعات بمعارك ضارية خلال اسابيع بدت طويلة لا تنتهي ، وكانت تعمل أمام نهر العطور وفي هوي . ورفرفت أعلام الثوار وعلم فيتنام الشمالية الأخضر والأحمر ذو النجمة الصفراء فوق

---

(١) تعود هذه الألوية الى فرق المشاة : ١ و ٩ و ٢٥ .

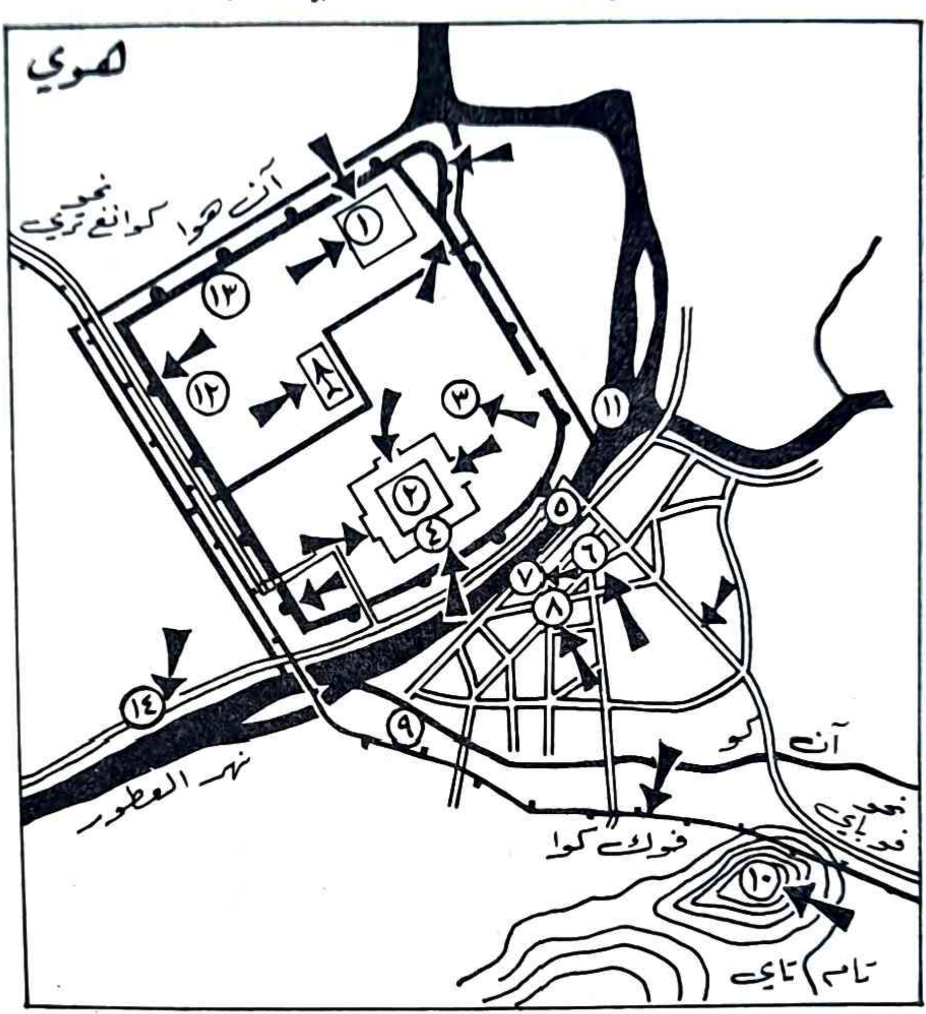
(٢) تحركت أرتال من الآليات تسبقها الدبابات والسيارات المدرعة وتوجهت بسرعة الى ضواحي سايغون ، وجاءت من لونغ بينه الواقعة على بعد ٢٥ كلم من العاصمة . ونزلت قوات محمولة جواً فوق تان سون نهوت بغية تقوية الدفاع عن المطار ودعم مقر قيادة القائد العام. ولقد جاءت هذه القوات من قاعدة بين هوا القريبة من العاصمة والتي نزلت فيها قطعات لواء المشاة الامريكي الخفيف ١٩٩ المحمول بالهليكوبتر .

قلعة هوي القديمة التي شيدها مهندسون فرنسيون من عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٣٠[١].
وكانت هذه الأعلام المرفوعة في مكانها المشرف تسيطر على الوادي والأفق البعيد ، وترتسم على السماء الصافية ، وتغمرها أشعة الشمس ببهائها معترفة لها بالنصر والمجد . وكانت تبدو محلقة بفرح فوق حافة من القرميد القاتم ، تحملها رياح منبعثة من قلب التاريخ الفيتنامي العريق الذي غدا في ذلك اليوم اسطورة تعيشها الثورة الفيتنامية ، وتملأ قلب الفيتناميين المحاصرين داخل القلعة بإيمان صادق عنيف . وأظهر الثوار المتمركزون في القلعة شجاعة نادرة امام الهجوم المعاكس . وصمدوا امام جيش قوي رغم آلامهم ونفاد مؤونتهم . وكان تنفيذهم الرائع لمهماتهم خير دليل على قيمتهم العسكرية العالية . لقد قاتلوا حتى الرمق الأخير في القلعة نفسها وفي المنازل المجاورة التي حولوها الى معاقل وربطوا فيما بينها بخنادق المواصلات . واستبسلوا في الساعات الرهيبة الأخيرة . وكتبوا بدمائهم قصة ملحمة بطولية رائعة ، ثم سقطوا تحت وطأة سيل جامح من القوات المعادية . لقد أمطرتهم الطائرات والدبابات الامريكية يوماً بعد يوم بالقنابل والنابالم ، وهاجمهم الجنود من كل جانب بلا انقطاع ، ولكنهم قاتلوا شارعاً شارعاً وبيتاً بيتاً . لقد بلغت تضحيات الجميع درجة عالية لا يمكن الوصول اليها . ودفع الامريكيون عدداً كبيراً من القتلى مقابل كل متر من الارض . واجتازوا بدورهم مرحلة من أصعب مراحل مأساتهم ، وتكبدوا أقسى المشقات قبل أن يرفعوا في ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٦٨ علمهم فوق برج مراقبة شوهته القنابل ، ليرفرف بلا فخر وسط الجثث المتناثرة ، والجدران المهدمة ، ووسط جو كئيب حزين يتردد فيه صدى نحيب بعيد ..

---

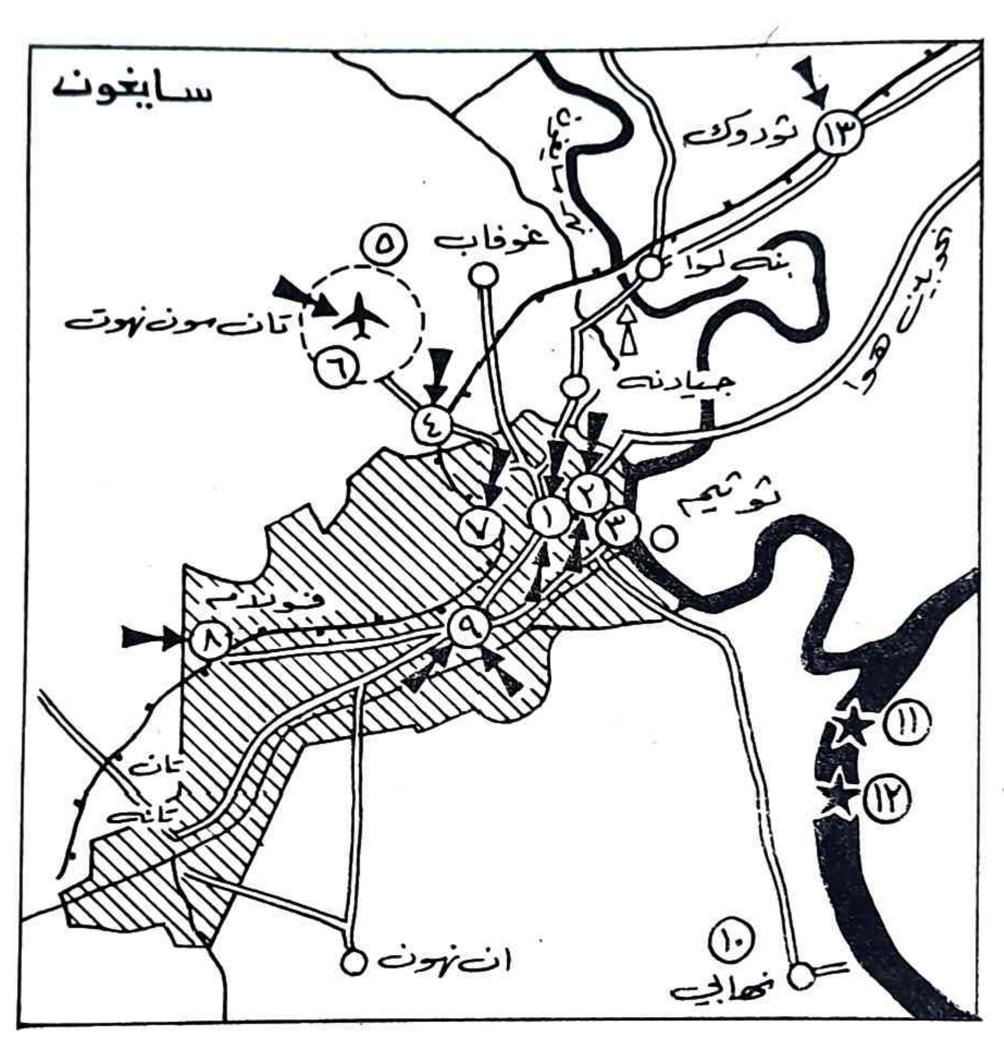
(١) كانت هوي في القرن التاسع عشر حصناً من أهم الحصون الحربية في آسيا . ويبلغ عرض الخندق الذي يحيط بها ٣٣ متراً كما يبلغ طوله ١٢ كلم . ويحيط بالمدينة سور ارتفاعه ٢٠ متراً. وكانت القلعة التي تضم القصر الامبراطوري مربعة الشكل ، طول ضلعها ١٫٦٠٠ متراً وعلى جوانبها ١٢ برجاً مسلحاً .

الهجوم العام للفيتكونغ في رأس السنة الفيتنامية ١٩٦٨



١ - ثكنة مانغ كا
٢ - القصر الامبراطوري القديم
٣ - شارع مي ثوك لوان
٤ - القصر الملكي القديم
٥ - جسر ترنغ تيان
٦ - فندق توان هوا
٧ - مركز الحاكم المحلي
٨ - السجن
٩ - المحطة
١٠ - معسكر الفرقة السابقة لصفوة الفيتنامية الجنوبية
١١ - تحطيم مركب نهري اميركي
١٢ - مي لا لوا
١٣ - حائط حصن هوي
١٤ - قوات الفيتكونغ تعترض امدادات العدو

خي سانه "والقطاع الشمالي" لفيتنام الجنوبية



١ ـ قصر الاستقلال
٢ ـ سفارة الولايات المتحدة
٣ ـ قيادة مشاة البحرية الفيتناميين الجنوبيين

٤ ـ هيئة قيادة الاسلحة المشتركة
٥ ـ القاعدة الجوية
٦ ـ مقر القائد العام
٧ ـ مقر قيادة سايغون
٨ ـ مركز الاذاعة واللاسلكي

٩ ـ مديرية البوليس
١٠ ـ القاعدة الادارية الاميركية
١١ ـ بواخر اميركية محملة بالذخائر
١٢ ـ مركز توليد الكهرباء
١٣ ـ مستودع اسلحة وذخائر

واقد أدى هذا العمل العسكري الامريكي ومـــا يسببه من دمار وتقتيل الى إعجـاب البعض واشمئزاز البعض الآخر من الامريكيين ، وزرع الشك والحرج في قلب القيادة الامريكية العليا التي وقعت حائرة قلقة يؤرقها كابوس مأساة رهيبة . ولكن ألم تكن البلاد معرضة لمأساة اكبر لو أن الامريكيين ساروا على السبيل الذي اقترحـــه الجنرال مارك كلارك قائد القوات المتحالفة السابق في كوريا ؟ عندما صرح في ٢٣ مارس (اذار) قائلاً : « ان بوسعنـــا تبرير استخدام السلاح الذري التكتيكي [1] إذا بدا لنا ان هذا الاستخدام ينقذ أبناءنا من المذبحة » . وصرح الجنرال وهيلر رئيس الأركان العـامة الامريكية انه لا يستبعد نهائياً استخدام مثل هذه الأسلحة . لقد كان الانذار شديداً وبقي الشك مخيمـــاً على الموقف العسكري كله . وفي مارس (اذار) انشأ الجنرال ابرامز مقر قيادة متقدم في فو – بي قرب هوي ، وتساءل الجميع : هل سيبدأ ابرامز حرب الحركة من جديد لتخليص القواعد المحاصرة ؟ وفي هذا الوقت ، ووسط جو من التساؤلات والغموض ، استدعـاه الجنرال ويستمورلاند الى سايغون في (٨ مارس) ، وأعلن عن انشاء قيـــادة جديدة بإمرة الجنرال روسّون (مشاة) تضم الفرقة الاولى للخيالة الجوية والفرقة ١٠١ مظلات والفرقة الجديدة « امريكا » . بيد ان هذه القوة المعادلة لمجموع فرق المشاة البحرية كانت تقف عاجزة عن صد هجمات ٦ فرق فيتنامية ، تقوم فرقتان منهـــا – وهي ٣٢٥ ج و ٣٠٤ المدعومة – بمحاصرة خيه سانه .

وهكذا جمع الامريكيون معظم قواتهم الرئيسية في الشمال، من خيه سانه الى دانانغ ، وفي الجنوب حول سايغون . ووقفوا مع حلفائهم في موقف الدفاع

---

(١) ليس السلاح الذري التكتيكي قنبلة عادية ولكنه صاروخ طوله ٥ أمتار وقطره ٥٠ سم – من طراز Davy crockett أو Little John – يحمل الى مسافة ١٠ كلم قذيفة ذات حشوة ذرية تبلغ قوتهـــا قوة ١٠٠ طن من الـ ت.ن.ت. (وهي أضعف من قنبلة هيروشيما بـ ٢٠٠ مرة).

من خط العرض ١٧ حتى شبه جزيرة كامان ، معرضين أنفسهم بذلك الى حرب استنزاف تجمعت فيها كل وسائطهم الاستراتيجية . واستطاعوا في نهاية الأمر إيقاف هجمات الفيتكونغ وتأمين حماية المدن .

وفي مارس (اذار) وابريل (نيسان)١٩٦٨ قام الامريكيون بأكبر عملية حربية دعوها « مصممون على النصر » واستخدموا فيها ٥ فرق ، فرقتان منها فيتناميتان جنوبيتان [١] ، بالاضافة الى عدد من القطعات المختـــارة الخاصة كالمغاوير والمظليين ورمـاة البحرية ، ومئات من الطائرات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر [٢] . ولكن ضربات هذه القوة الجبارة سقطت في الفراغ لأن قوات الفيتكونغ النظامية التي كانت تحاصر العاصمة اختفت فجأة [٣] دون ان تسمح للامريكيين بأن يبنوا حول مخططهم الاستراتيجي أوهام كاذبة . وكانت سبباً من الأسباب التي دعت البنتاغون الى تبديل القيادة العسكرية في سايغون من بعد .

ولم يتلق الجنرال ويستمورلاند — كما رأينا من قبل — جميع مـا طلبه من رجال وعتاد لإنشاء احتياطه الاستراتيجي. ولما وجد أن احتياطه الاستراتيجي محدود أوقف تنفيذ استراتيجيته « المطاردة والتدمير » واستخدم مكانهـــا استراتيجية أقل طموحـاً هي استراتيجية « التطهير والثبات » . فأوعز قبل رحيله بإنشاء تجمعات دفاعية حول اكثر المناطق كثافة بالسكان . وجاء خلفه الجنرال أبرامز ليجد نفسه مضطراً الى تضييق مساحة انتشار قواته ، وتطبيق

---

(١) وهي فرق المشاة الامريكية (١ و ٩ و ٥) وفرقتـا المشاة الفيتنامية الجنوبية (٥ و ٢٥) ويبلغ مجموع الفرق الخمس ٩٠ كتيبة .

(٢) في مارس (اذار) جاءت ٤٠٠ طائرة و ٨٠٠ هليكوبتر مـن مختلف الأنواع لسد النقص بالطائرات .

(٣) انسحبت فرق الفيتكونغ التي كانت تحاصر سايغون في بداية مارس (اذار) ولم تترك خلفها سوى ستارة حماية رقيقة ، مهمتها إخفاء الانسحاب وإزعاج العدو . ولقد تم الانسحاب نحو مناطق التجمع الآمنة قرب الحدود الـكامبودية .

استراتيجية اكثر حذراً تعتمد على حماية المدن والقواعد خوفاً من « رأس سنة دام جديد » . ومنذ نهاية اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٨ ، وبعد مرحلة طويلة من الهدوء وضع ابرامز « برنامجاً سريعاً لإحلال السلام » بغية تخليص الريف من قبضة الفيتكونغ ، ولكن برنامجه باء بفشل ذريع .

التكتيك

مبادىء عامة :

رأينا في الفقرة السابقة كيف وزعت الاستراتيجية الامريكية قواتها فوق مسرح العمليات الفيتنامي . ولقد كانت هذه الاستراتيجية تعطي لكل قوة متمركزة في قطاع معين مهمات محددة دقيقة هي : البحث عن العدو وتدميره ومطاردته بالدبابات والوحدات الثقيلة مع استخدام الطيران والهليكوبتر بشكل كثيف ، بالاضافة الى دعم افضل شؤون ادارية عرفها العالم .

ويؤمن التكتيك داخل المناورة الاستراتيجية العامة عملية مطابقة حركية مختلف الاسلحة مع امكانياتها النارية . وتتسم المعركة في فيتنام بأن فيها كثير من العمليات المشتركة البرية — الجوية أو البحرية — البرية . ويقوم الطيران والبحرية بضرب الخصم ضربات قاسية ، ويقدمان للقوات البرية الدعم الأقصى ، ولكنهما لا يحلان محلها ، ويتطلب قتال القوات البرية تعاوناً وثيقاً بين مختلف الاسلحة البرية وارتباطاً كاملاً مع سلاح الطيران . كما يتطلب مركزية في القيادة التكتيكية ، ووسائط مواصلات على درجة عالية من الكفاءة . ولا تستطيع القطعات العاملة في الغابات أو مزارع الارز ان تكسب المعركة إلا إذا استخدمت الاجهزة اللاسلكية على أوسع نطاق . ويملك قادة الفرق أجهزة لاسلكية خفيفة لا تتأثر بالتشويش المحلي ، وتتسم بالدقة والامن والمرونة . وهي تؤمن الاتصال على عشر موجات لا يحتاج استخدامها إلا الى ضغط بعض الازرار المحددة . وهكذا تستطيع الفرقة ، رغم الموانع الطبيعية ، ملاءمة مهمتها مع

أوضاعها ، وتتابع مناورة القوات الصديقة المجاورة ، وتستفيد من النجاح الذي تحققه ، وتعمل على مساعدتها عند الضرورة .

ويتبع التكتيك الامريكي للمبادىء العامة الأساسية وهي : الحيطة ، والاقتصاد بالقوى ، والتجمع ، والمناورة التي يتم خلالها تنسيق واستخدام مختلف الوسائط . وتؤمن هذه المبادىء مجموعة من الاحتمالات منذ « أصغر وحدة قتالية » أي أصغر عدد من الرجال قادر على ان يعيش ويسير ويقاتل منعزلاً خلال عدة أيام على مؤخرة العدو ، حتى القطعات الكبرى من مستوى الفرقة أو العناصر الفرقية التي تنفذ عمليات من نوع محدد.

« القوات الخاصة » – « قوات القبعات الخضراء » :

تبتعد القوات الخاصة عادة عن مبادىء التكتيك التقليدي ، وتستقي أساليبها القتالية من أساليب الحرب الثورية . وتتألف هذه القوات من قطعات صغيرة محمولة ، وتضم جنوداً من نوعية خاصة يملكون الخبرة في القتال ضد العصابات .

ويتم اختيار مقاتلي القطعات الخاصة بكل عناية من بين الرجال الأشداء . ويبلغ متوسط أعمارهم ٢٥ عاماً . وبعد عملية الاختيار يبدأ التدريب العنيف . وما أن يتم تدريبهم حتى ينقلوا الى معسكرات خاصة [1] يتلقون فيها تدريبات تتلاءم ومهماتهم . وتهدف هذه التدريبات رفع مستوى قدراتهم على جمع المعلومات والقتال ضد العصابات وتطوير الصفات اللازمة لذلك كالمحاكمة ، والبداهة ، والانضباط ، والمرونة الكاملة في القتال ، والارادة ، والتحمل ،

---

(١) توجد هذه المعسكرات في فيتنام ، وتايلاند ، والولايات المتحدة الامريكية ، وامريكا الوسطى . وتملك « القيادة الجنوبية » في فورت غوليك (باناما) معسكر تدريب مجهز بشكل رائع. تم فيه حتى الآن تدريب ٣٠٫٠٠٠ ضابط من امريكا اللاتينية ، وعدد كبير من رجال « القبعات الخضراء » الامريكيين الذاهبين الى فيتنام .

وروح التعرض ، وروح الامن والحيطة ، والمهارة في استخدام الأسلحة . ولا يلبثون بعد فترة أن يصبحوا رياضيين ذوي لياقة بدنية عالية ورمـــاة مهرة قادرين على إصابة الهدف بالسكين والمسدس . وهم يتكلمون الفيتنامية بطلاقة ، ويملكون معرفة متكاملة عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ، كما يعرفون المنطقة التي يعملون فيهـا . ويحمل معظمهم شهادة مظلي ، كما يقودون بعض طائرات الهليكوبتر وجميع أنواع الآليات . ويمارسون كل أنواع الرياضـات والرمايات القتالية من الجيدو الى القتال القريب ، ومن رمي الخنجر حتى الرمي الغريزي بالبندقية الآلية .

ويتخصص هؤلاء الرجال بتنفيذ المهمات الشاقة الخطرة ، وهذا مـا يدفع القيــادة الى مضاعفة رواتبهم ، وإرسالهم كل ٦ شهور الى الولايات المتحدة الامريكية كما يستعيدوا نشاطهم بفضل الاستراحات في الجبال ، والعطلات مع العائلة ، ثم يأتي بعد ذلك تدريب مدته ستة أسابيع . وبعـد فترة الراحة يعود قسم كبير منهم الى فيتنام . وهناك من يعود اليها للمرة الخامسة .

وتتصف مهماتهم التي تدوم من عـــدة ساعات الى عدة أيام بالدقة التامة وتكون : إما عمل استطلاع ومخططات ، أو مهاجمة مقرات القيادة ، او جلب بعض الأسرى ، او تحديد مواقع الدفـاع ، او تخريب المصانع ، او تدمير مستودعات المحروقات والتموين [١] ، او توجيه رمي الطائرات من طراز ب — ٥٢ [٢] أو جمع وتأطير القوات غير النظامية المعادية للثورة . ولكي يتمكنوا من تنفيذ مهماتهم تقوم الطائرات بإنزالهم بالمظلات أو يتم إنزالهم من الهليكوبتر

---

(١) وهي أهداف مطمورة ومموهة لا يستطيع الطيران تحديد مواقعها.

(٢) تقوم دوريات القطعـات الخاصة بتوجيه الطائرات ب ـ ٥٢ عندمـا تقصف لاوس. ويتضمن عملها قبل كل شيء رصد تحرك الارتال الهامة على طريق هوشي مينه . ولا تضم الدورية غالباً سوى اثنين من الامريكيين ودليلين جبليين، ولكنها قد تضم في بعض الأحيان أربعين رجلاً. ويتم تموينها بطائرات الهليكوبتر أو بواسطة المظلات.

بسلالم من حبـال النايلون . وهم يحملون عتاداً يتلاءم مع مهماتهم : كالأسلحة الهجومية[1]، والخرائط ، وأدوات التوجه ، وجهـاز لاسلكي خفيف من طراز (Manpack)[2] يؤمن اتصالاتهم على مسافة قدرهـا ٨٠٠ كلم عبر الادغال والأحراج الكثيفة . ومـا ان تنتهي مهمتهم حتى تأتي طائرات الهليكوبتر لالتقاطهم واعادتهم الى قواعدهم .

ويدل رمزهم العسكري « Seals » على مهمتهم الثلاثية[3] . بيد ان للبحرية أيضاً قواتها الـ « Seals » الخاصة التي تضم ٥٠٠ رجل من المظليين والرجـال الضفادع المدربين على كل أنواع القتال والتخريب . وهم يتلقون مهمات حساسة خطرة على طول الشاطىء الفيتنامي ، وفي دلتا نهر الميكونغ وتتضمن مهماتهم ما يلي : البحث عن المعلومات الدقيقة ، وتدمير شبكات حماية الموانىء والحواجز المغمورة تحت الماء ، وإغراق المراكب المحملة بالسلاح أو المؤونة ، وزرع الألغام المغناطيسية أو نزعها ، واستطلاع شواطىء الإنزال واختيار أفضلهـا . وهم يملكون عادة قوارب مطاطية وأجهزة غوص فردية ، ويستخدمون في بعض الأحيان غواصات صغيرة، وتلتقطهم بعد العمليات مراكب حراسة الشواطىء.

قوة الدوريات النهرية واسطول الانقضاض النهري :

وتتعاون القطعات الخاصة تعاوناً وثيقاً مع قوة الدوريات النهرية الامريكية والأساطيل الصغيرة المساعدة الفيتنامية التي تعتمد في شؤونها الادارية على المدن

---

(١) خنجر ، ومسدس مزود بكاتم صوت ، ومسدس رشاش، ومسدس إشارة، وقنابل يدوية صغيرة ذات حشوة شديدة الانفجار ، وبندقية نصف آلية مع منظار مزود بأشعة تحت الحمراء ، وألغام صغيرة من البلاستيك، وقاذفة قنابل مركبة على البندقية تطلق قذائف من عيـار ٤٠ مم قادرة على تدمير معقل من مسافة ٤٠٠ م .

(٢) يعمل هذا الجهـاز على موجات قصيرة ويزن ١٢ كلغ . ويتألف منبعه الكهربائي من بطاريات جافة عادية او من التيار العام أو من دينامو ميداني.

(٣) الرمز(Seals)هي اختصار الكلمات Sea - Air - Land (بحر- جو- ارض)

النهرية في الدلتا (سايغون وميتو وكانتو وتودوموت وفين لونغ) .

ولقد أنشأت البحرية منذ بداية عـــام ١٩٦٧ « أساطيل انقضاض نهرية صغيرة » . وهي تشبه « فرق الانقضاض البحرية » التي استخدمها الفرنسيون خلال حرب الهند الصينية وتعمل على أنهار دلتا الميكونغ ، وتدعم القطعات العامة على ضفاف الأنهار والقنوات . وتنقـل قطعات الانقضاض مع سلاحها وعتادها [١] . ولقد اشترك الاسطول النهري الأول في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ في العملية التي شنها الامريكيون على بعد ٣٠ كلم جنوبي سايغون . واستطاع في ٢٠ يونيو (حزيران) ان يخرج مئات من رجال الفيتكونغ خارج المعركة . وفي ٨ مارس (اذار) عمل على فك الحصار عن سايغون، واكتشف على شواطىء نهر سايغون شبكة من التحصينات والأنفاق والخنادق المحفورة على بعد ٢٠ كلم من العاصمة . ولكي يتم استطلاع وإبطـــال هذه الشبكة اضطرت القيادة الامريكية الى استخدام « الجرذان الخضراء » [٢] وهي تشكيلة لا مثيل لهـا

---

(١) يستطيع الاسطول النهري الصغير نقل كتيبة مشاة وعناصر من المدفعية ، كما يستطيع دعم القوات النـــازلة على الشاطىء . وهو مزود بمركب ورشة ومركب للاشارة وعدة مراكب قتالية تحمل مدافع ٢٠ و ٤٠ مم وهاونات ٨١ مم و ٦ رشاشات ثقيلة وقاذفة رمانات م ١٨ وحاملات جنود مدرعة . وهي في الحقيقة قوارب إنزال صغيرة مهمتها الرئيسية نقــل الرجال والعتاد بسرعة الى مناطق العمليات.

(٢) « الجرذان الخضراء » رجال يتمتعون بالقوة والمرونة بـآن واحد. ويتم اختيارهم نظراً لجرأتهم وصغر حجمهم (١٫٥٨ م كحد أقصى). وهم لا يدخنون ولا يشربون الكحول ويستطيعون العيش والتنقل والقتال طويلاً وهم يرتدون أقنعة الغاز أو يسيرون في ظلمة الأقبية. وتتمثل مهمتهم في تطهير شبكات التحصينات الفيتنامية المتطورة حتى حدود كامبوديا. ويرتدي هؤلاء الرجـــال لباساً لا يقبل نفوذ الماء يلاصق أجسادهم ، وقفازات وواقيات ركبة من الجلد تساعدهم على الزحف والسير على أربع ، وخوذة لها واقيات للاذنين . ويحملون مصباحاً يدوياً قوياً يستخدمونه لإصابة عدوهم بالبهر ، ومسدساً كاتم الصوت عيار ٣٨ ، وبندقية صيدبراونينغ مثلثة السبطانات تطلق حزمة من حبات الرصاص ، وحشوات ت.ن.ت. مقـادة كهربائياً عن بعد ، وقنـــابل يدوية صغيرة مدخنة يستخدمونها لاعلان خروجهم من الدهاليز وكيلا يقوم زملاؤهم بالرماية عليهم تحت تأثير المفاجأة .

في العالم. وفي ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ عمل الاسطول النهري على طول قناة تاك لاك بالتعاون مع خمس كتائب فيتنامية جنوبية فاستطاع هزيمة ٣ كتائب من الفيتكونغ بعد أن كبدها خسارة تعادل ٣٦٥ رجل . بيد أن كتيبة الثوار ٥٠٢ المتخندقة بقوة في الارض أبدت مقاومة ضارية مما أجبر المدفعية والدبابات والطائرات والهليكوبتر على التدخل لحسم الموقف .

استخدام الأسلحة تكتيكياً :

تضم **المدفعية** الامريكية سلسلة من القذّافات (هاوتزر) والمدافع الطويلة[1]. وتستخدم أسلوباً خاصاً في الهجوم يتمثل في صب ستارة رهيبة من الحديد والنار على العدو ، وبصورة خاصة على مواقع بطارياتـــه ومراكز قياداته وخطوط مواصلاته . ويستطيع رميهـا بالعمق (من ٣ – ٣٠ كلم) إصابة أهداف تقع على مؤخرة ومجنبات منطقة الهجوم الرئيسي . ويؤمن جهاز الارتباط الجيد تركيز قوة عدة بطاريات على نقطة واحدة بسرعة . وليس من النـــادر تركيز ٣ أو ٤ أو ٦ مجموعات أحياناً على هدف واحد .

---

(١) يمتاز المدفع عن القذاف بأنه اكثر طولاً. ويستطيع القذاف تنفيذ الرمي السابح والرمي المستقيم، ومن اكثر القذافات المحمولة استخداماً القذاف 105. H H. 2 (مداه ١١ كلم) ، والقذاف 155. HH. 1 (مداه ١٥ كلم). والهاون القذاف من طراز Moritizerx. 70 عيـــار ١١٥ مم (مداه ١٦ كلم) والمزود بمخزن يحمل ٦ قذائف، الامر الذي يسمح باجراء الرمي بوتيرة سريعة جداً .

وتستخدم كافة هذه الأسلحة قذائف متفجرة ، وقذائف خارقة ، وقذائف مدمرة (ضد المعاقل). ومنذ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ استخدمت القوات الامريكية قذافاً جديداً من عيار ١٠٥ مم يرمي قذائف مضادة للاشخاص من طراز X M. 546 يتناثر منهـا عند الانفجار آلاف السهام الفولاذية القاتلة . وهناك المدافع من عيـار ١٧٥ مم وهي أقوى المدافع الامريكية ، ويبلغ مداها ٣٠ كلم .

وتلعب **الدبابات**[1] دوراً هامـاً كسلاح للخرق التكتيكي ، وتصنع بيد المشاة قوة صدمة رهيبة . وهناك دبابات منقولة بالهليكوبتر ، كما أن هناك دبابة يمكن اعتبارها دبابة طائرة [2] حقاً ، وهي تذكرنا بالآلية **Potez. 75** الفرنسية التي بقيت في مرحلة التجربة . ويساعدها محرك نفـاث موجود في مؤخرتهـا على الطيران بسرعة ٨٠ - ٧٠٠ كلم / ساعة . والهبوط على أرض طولها ١٥٠ م . وتدخل هذه الآلية في تشكيلات بعض الافواج المدرعة بمعدل ٥ أو ٦ سرايا تعمل لدعم الجهرات التكتيكية . وتملك الافواج المدرعة احتياطاً من الدبابات ، وعدداً من الفنيين المدربين على الاصلاح وذلـك لتسهيل عملية تعويض الخسائر المدرعة الناجمة عن التدمير [3] أو الإعطال .

وتقدم طائرات **الهليكوبتر** مساعدات لا تُنكر ، وتقلب الحسابات التقليدية في المعارك . وتتراوح سرعتها بين ٢٧٥ و ٣٧٥ كلم / ساعة . وتحمل عادة حمولة

---

(١) يملك الامريكيون أنواعاً متعددة من الدبابات يتراوح وزنهـا بين ١٤ و ٥١ طن . من الـ Shafec حتى الـ Tigre بما في ذلك الـ Ontos وسلسلة الدبابات M مثل : **M 48** و **M 113** و **M B 70** .. الخ . وتطلق هذه الدبابات قذائف عيارها ٧٥ و ٩٠ و ١٠٦ و ١٥٥ و ١٧٥ مم .

والدبابات الامريكية مزودة برادار اليكتروني للكشف ، وبجهاز قيادة ليلية يستخدم الأشعة تحت الحمراء ومحرك ممتاز ذي عدة مفحمات، ويعمـل بالتبريد الهوائي، وتتراوح قوته بين ٢٥٠ و ١٤٧٥ حصان بخاري. وتستطيع هذه الدبابات اجتياز مجاري مياه عمقها ٤ – ٦ أمتار. ويؤمن لهـا جهاز الاهتزاز والتوازن السير على ارض متضرسة دون تغيير زاوية رمي المدفع. وتستطيع الرمي بدقة على أهداف تبعد ٢٨٠٠ م بفضل جهاز تسديد يمكن استخدامه ليلاً نهاراً. كما تستطيع السير بلا تموين مسافة تتراوح بين ٢٠٠ و ٦٠٠ كيلومتر بسرعة قدرها ٥٠ – ٧٠ كلم / ساعة.

(٢) تتمتع هذه الدبابة الطائرة بتصفيح يقـاوم قنابل المدفع ٣٧ مم المضـاد للطائرات. وهي تحمل سبعة رشاشات وقاذفتي رمانات وعدداً من الصواريخ جو – أرض.

(٣) تشكل الاسلحة الخفيفة المضادة للدرع والمستخدمة من قبل الفيتناميين سلاحـاً فعالاً يستطيع إلحاق الخسائر بالمدرعات من مسافة ٢٠٠ م. وتستطيع الدبابة **tigre** مقاومة الحشوات الجوفـاء بشكل نسبي، إلا أن الدبابات **shafec** وحاملات الجنود المدرعة تشكل هدفـاً ثميناً للاسلحة المضادة .

تعادل ٤٥ ٪ من وزنها الكلي . ويبلغ مدى طيرانها الأقصى ٣٧٠ كلم . إلا أن بعض الطائرات تستطيع قطع مسافة أطول بفضل أجهزة التموين أثناء الطيران.

وتنفذ طائرات الهليكوبتر في فيتنام ثلاث مهمات تكتيكية رئيسية هي : الاستطلاع والحركة والنار . وتجمع المعلومات بفضل آلات تصوير وأجهزة تلفزيونية . وتهاجم جزر المقاومة بالصواريخ والمدافع والرشاشات . وتشارك أيضاً في عمليات المطاردة والتطويق وزرع الألغام ، وتغطي انسحاب القطعات بستارة دخانية كثيفة . وتقلب جميع المفاهيم القديمة الخاصة بالتموين ونقل القطعات والعتاد فوق ارض المعركة. ويعطي استخدامها الواسع سرعة عملياتية كبيرة للقطعات ، وهذا ما يساعد على تحقيق المناورة والمفاجأة. وهناك حالات كاد فيها الفيتكونغ ان يحققوا النصر ، فإذا بقوات جديدة مستريحة تسقط عليهم من الجو تحت دعم ناري قوي فتزعجهم وتقلب الموقف ضدهم [١] .

الطيران التكتيكي (أو طيران الانقضاض) وطيران الاستطلاع :

يحتل الطيران التكتيكي مكاناً واسعاً في المعارك بفضل قوته النارية المركزة الفعالة. ويقدم للقوات البرية « دعماً جوياً مباشراً »وصفه الجنرال ويستمورلاند بقوله : « انه دعم يتجاوز كل ما عرفه التاريخ العسكري من قبل ». انه يدعم العمليات الهجومية ، ويحمي نقاط التمفصل ومجنبات القطعات المشتبكة ،ويدمر الهجمات المعاكسة ، ويوقف سير أرتال التموين . وتقوم طائرات ف ١٠٥

---

(١) في خلال المعارك التي دارت في منطقة داك تو في نوفمبر(تشرين ثاني)١٩٦٧ استطاع الامريكيون التخلص من موقف كان من الممكن ان ينقلب الى كارثة. وكان ذلك بفضل تكتيك استخدام الهليكوبتر لإنزال بطاريات مدفعية في العراء بغية دعم قطعات المشاة الهابطة على مؤخرات ٤ أفواج فيتنامية وطرق مواصلاتها. وهكذا تم فك الحصار عن القاعدة. ولولا ذلك لتكرر في داك تو ما وقع في ديان بيان فو، ولكانت النتائج محطمة للمعنويات.

والفانتوم والقاذفات الثقيلة ب ٥٢ عادة باستخدام القنابل والنـابالم لتخفيف الضغط عن القواعد الامريكية .

وتوجه الطائرات غالباً طائرات استطلاعية صغيرة [١] تحدد الهدف وتدل القاذفات عليه بإلقاء قنابل مدخنة صغيرة . ويستطيع طيران الاستطلاع اعلام الطيران وكشف السبيل أمامه ، وتقديم أجوبة على كثير من الأسئلة المطروحة ، وتحديد قواعد العدو المتقدمة وأماكن تجمعاته وتمركز قواتـه الاحتياطية . ودراسة الطبيعة وحقـل المعركة وانتشار الدفاعات المعادية وخاصة مواقع المدفعية . وتتصف صوره الجوية بأنها ذات قيمة كبيرة نظراً لدقة الآلات التي تلتقط الصور او تحمضها او تطبعها .

ويبدو التعاون بين طيران الانقضاض او الاستطلاع والقوات البريـة أمراً ضرورياً يشبه تعاون الأعمى والكسيح. وهناك شبكات اتصال لاسلكية خاصة بالدعم الجوي تسمح بإيجاد اتصال دائم بين الطيران والقوات البرية .

المشـــاة :

بيد أن استخدام أسلحة الدعم القويـــة كالمدفع والدبابة والهليكوبتر والطائرة لا ينقص دور **المشاة** . ويزيد في أهمية هذا الدول أن القتـال يجري في الادغال ومزارع الارز أمـام عدو مصمم . وتقوم المشاة باحتلال الارض والحفاظ عليها . وهي تحدد في النهاية مصير المعركة حيث تلقي بكل ثقلها المؤثر بفضل سلاحها وعتادها اللذان يزدادان مع الايام تحسناً وقوة. وتستخدم قوات المشاة الامريكية اسلحة ومعدات تقنية متقدمة قوية الفاعلية كالرشاشات

---

(١) تكون هذه الطائرات غالباً من طراز Cessna. o. 1 التي يقودهـا ضابط يقوم بالتحليق على ارتفاع منخفض، ومراقبة الارض بالعين المجردة . ويبقى ذكاء الطيار وحدة بصره في هذه الحالة أفضل وسائط الاستطلاع وأكثرها فاعلية.

والبنادق والمسدسات الرشاشة والبنادق M 16 سريعة الطلقات [١] وقاذفات القنابل المضادة للدبابات [٢] ، والقنابل اليدوية.. الخ. وهذا ما يؤمن لها غزارة نارية وتنوعاً في الرمايات (رمي مستقيم ورمي منحني) . ويشكل الكشاف بمسدسه ، ورماناته، وخنجره ، وبندقيته M. 16 ، وذخائره المحفوظة في كيس لا يقبل البلل ، مقاتلاً فعالاً يحمل قدرة تدميرية لا تنكر .

وتطبق المشاة الامريكية حركات تكتيكية جريئة بفضل وسائط اتصال لاسلكية حسنة تمنع قطعاتها من الانعزال وتجعلها بارتباط دائم مع جوارها الذين تعمل بتعاون وثيق معهم . ويمكن للمشاة ان تحصل على دعم الطيران والمدفعية والدبابات دونما انتظار . وتعمل الخدمات الادارية في خط النار [٣] على تموينهم بصورة يومية مستمرة ، الأمر الذي يساعد على الإفادة بشكل كامل من مواهب القادة التكتيكية وشجاعة الرجال وتضحياتهم .

أمثلة عن القتال :

وعندما يأتي فصل الجفاف الملائم للعمليات يشن الامريكيون وحلفاؤهم عمليات واسعة النطاق تستخدم وسائط ضخمة لم تعرف من قبل ، وتحقق على جميع المستويات اكبر تعاون عملي بين مختلف صنوف الاسلحة .

---

(١) تعتبرالبندقية M 16 سلاحاً مثالياً في القتال القريب داخل الأدغال.فهي خفيفة(٣ كلغ) سريعة الطلقات(٨٠٠ طلقة في الدقيقة) بالاضافة الى أنهادقيقة الرمي قوية التركيب.

(٢) ونذكر من هذه القاذفات البازوكا « Lockheed - Viper »: ويبلغ طولها ٧٥سم ويمكن استخدامها من قبل رجل واحد. وهي تطلق قذيفة موجهة تسير بسرعة تفوق سرعة الصوت على محرك مسف. ووزنها ٤٠ر٥ كلغ ومدى رميها ٨٠٠م.

(٣) يمثل التموين اليومي للفرقة المشتبكة على خط النار حوالي ٢٠٠طن، منها ٤٠ طن من المواد الغذائية .

قتال الكتيبة :

أثبتت وقائع الحرب في فيتنام ان الكتيبة تشكيلة خفيفة بشكل يجعلها ملائمة للقتال في الادغـــال . وهي أصغر قطعة عسكرية مؤهلة للعمل منعزلة انعزالاً تاماً في بعض الاحيان ، وقادرة على استخدام وسائط المشاة بالاضافة الى وسائط الدعم كالدبابات والمدفعية والطيران . ولكل سلاح مكان خاص ومهمة محددة تعمل بتوافق وانسجام مـــع المهمات الاخرى بشكل لا يترك مجالاً للمفاجآت غير المتوقعة . وتتعلق فاعلية المجموعة كلها بقيمة الرجال وعمل قائد الكتيبة الذي يجمع الجهود وينسقها .

ولقد كانت كتيبة مشاة البحرية دائماً رأس الحربة في عمليات التمشيط . وهي تنتقل عادة وراء ستار كثيف من نيران أسلحة الدعم . وتقاتل بمعنوياتها وروحها العدوانية كقتالها بسلاحها.

ومن أمثلة قتال المشاة ما وقع في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ ، ففي الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم اصطدمت الكتيبة الاولى من الفوج الخامس لمشاة البحرية [١] وسط مزارع الارز على بعد ٢٠ كلم من دانانغ مع سريتين فيتناميتين متخندقتين وتابعتين للكتيبة الثانية من الفوج ٩٥ الفرقة ٣٢٥ . ودام القتـــال طوال الصباح ، ووقـــع مشاة البحرية تحت تأثير نيران كثيفة فاضطروا الى التوقف ، وطلبوا دعم الطيران والمدفعية والاسطول . وجاءت موجتان من طائرات ب ٥٢ لتقصف مواقع الثوار التي كانت مدافع ٥ مدمرات وطرادين تصب نيرانها عليها . وفي حوالي الساعة ١٤٫٠٠ قامت طائرة هليكوبتر ضخمة بانزال ١٠٠ من المظليين على الهضاب المشجرة المجاورة . وفي الساعة ١٩٫٠٠ قامت الدبابات ومشاة البحرية بالانقضاض . بيد ان الفيتناميين تملصوا من الفخ

---

(١) تضم هذه الكتيبة ٧٨٥ رجلا. وهي تتلقى دعـــماً ممثلا بـ ١٠ دبابات مقاتلة ، و ٣ دبابات باثقات لهب، و ٢٠ عربة مدرعة وستة مدافع عديمة التراجع، و ٦ جرارات برمائية قادرة على العوم في الماء والسير على الارض واجتياز المستنقعات.

بكل سهولة ، وانسحبوا تحت جنح الظلام ، ولم يجد مشاة البحرية أمامهم في الصباح سوى عدد صغير من الرماة المنعزلين .

قتال الفرقة : (قتال الفرقة الاولى من الخيالة الجوية) .

لقد حققت الفرقة الاولى من الخيالة الجوية التي تتمركز قيادتها في آن خيه أعمال تكتيكية حقيقية على طول خط العرض ١٧ ، وفوق النجود العالية ، وفي المنطقة الواسعة المحصورة بين لاووس والبحر . وذلك بالتعاون الوثيق مع اللواء ١٧٣ المحمول جواً ، والفرقة الثانية من جيش كوريا الجنوبية .

وتملك هذه الفرقة وسائط ضخمة [١] وقدرة حركية تجعل منها أداة مرنة مؤهلة لمجابهة أخطر المسؤوليات وأصعب المواقف . وتتمركز قيادتها بشكل يساعدها على التلاؤم مع كل موقف [٢] . كما أن المواصلات السلكية واللاسلكية

---

(١) تضم هذه الفرقة ١٥٫٨٠٠ رجـل وعتاداً عضوياً ضخماً هو : ١٨ طائرة و ٤٨٠ هليكوبتر للنقل والقتال. ومدفعية فرقية (١٢٠ مدفعاً من عياره ١٠٥ مم) وفوج دبابات يضم خمس سرايا دبابات (٨٠ دبابة مزودة بمدفع و ٦٠ دبابة باثقة لهب). وكتيبة هندسة فرقية مع ٥٠ قاحطاً مدرعاً ، وسيارات جيب كاسحة ألغام، وعربات برمائية ، وعبارات وجسور قابلة للفك ، ووحدات للمصالح : سريـة التموين ، وكتيبة الاشارة ، والكتيبة الطبية ، وكتيبة الاصلاح ، وسرية الادارة .

وتضم الفرقة ٥ - ٧ جمهرات تكتيكية . وتستطيع تشكيل جمهرات تكتيكية مؤقتة من مستوى لواء. وتعتبر عناصر المشاة بأسلحتها الخفيفة وهاوناتها ومدافعها عديمة التراجع من عيار ١٠٦ مم الجزء الأساسي في الفرقة .

(٢) يعطي قائد الفرقة أوامره مباشرة الى فروع أركانه . وتضم هـذه الاركان فرعين رئيسيين هما : فرع « G » (عمليات واستطلاع) وفرع « A. Q. » (تموين ونقل). ولقادة أسلحة الدعم (مدفعية ، هندسة، دبابات ، اشارة) أركانهم الخاصة ولكنهم يعملون كمستشارين لدى هيئة أركان الفرقة .

ويعمل قائد الفرقة من مقر قيادته الأمامي أو مقر قيادتـه الخلفي . ويضم مركز القيادة الأمامي الفرع « G » وممثلا عن الفرع « A. Q. » وأركان الدبابات والمدفعية والهندسة والاشارة ويضم مركز القيادة الخلفي الفرع « A. Q. » وقادة الخدمات والمصالح . وتجتمع القيادتان في الايام العادية في مكان واحد .

مؤمّنة فيها بشكل مرن جداً بفضل مراكز اتصال تشمل كل قطعات الفرقة ومصالحهـــا . وفي كل جمهرة تكتيكية مركز اتصال تنشئه وتديره كتيبة الاشارة الفرقية . وبسبب هذه الاتصالات تستطيع الفرقة استخدام حركية عناصرها في الهجوم وتحقيق المناورة على اوسع نطاق . وتأمين الدفاع المرن في جميع الاتجاهات ومراقبة الثغرات الواقعة بين نقاط الاستناد الدفاعية . وتحتل نقاط الاستناد عادة قوة دفاعية صغيرة ، على حين يتجمع كبد القوات ليشكل عنصر صدمة قادر على الحركة والضرب في جميع الاتجاهات .

فكيف تشترك كل هذه العناصر في المعركة ؟ في١٧ اوكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ تلقت الفرقة الاولى من الخيالة الجوية مهمة تدمير الفوج الفيتنامي ١٠١ من الفرقة ٣٢٥ المتمركز على مسافة ٢٠ كلم شمالي شرقي آن خيه .

وكانت طائرتا هليكوبتر قد حددتا في ١٥ و ١٦ مواقع الثوار بكل دقة ، بعد أن دلت صور الاستطلاع الجوية على وجودهم في منطقة محددة. وفي يوم ١٦ قام ثلاثة ضباط من فرع « العمليات والاستطلاع » في أركان الفرقــة بدراسة دقيقــة لمنطقة الخصم التي كان عليهم أن يجروا فيهـــا عملية استطلاع دقيقة بالهليكوبتر . وبعد عدة ساعات انتقل الضباط الثلاثة مع ثلاثين رجلاً مسلحين الى منطقة عدوهم داخل طائرات هليكوبتر . وتوقفت الطائرات الضخمة برهة في الجو فنزل الرجــال الى الارض بواسطة سلالم من خيوط النايلون واستطلعوا (ارض الهبوط) [1] وحموها وحددوها بغية تأمين هبوط طائرات الهليكوبتر الضخمة التي ستنقل كتائب الانقضاض .

وفي فجر ١٧ اوكتوبر (تشرين اول) بدأ رمي التمهيد الجوي ، وقامت

---

(١) ولتنظيف ارض الهبوط يقوم الامريكيون بفتح ثغرات داخل الغابات بواسطة قذائف تحمل حشوات محرقة تصل حرارتها الى ٣٦٠٠ درجة مئوية .

١٠٠ طائرة فانتوم بقصف مواقع الدفاع بالنابالم والقنابل والصواريخ[١] ، فحرثت المرتفعات التي يتشبث بها الفيتناميون . ثم قامت ٨٠ طائرة هليكوبتر Iroquois بالتحليق فوق الأهداف وأطلقت رشقة تعادل ٤٨ صاروخ[٢] ، وتبعتها طائرات هليكوبتر أخرى فنظفت ارض الهبوط بالرشاشات الثقيلة والصواريخ . وفي ذلك الوقت كانت حوالي ١٠٠ طائرة هليكوبتر من طراز Chinook تحلق فوق ارض الهبوط حاملة الرجال والعتاد ومستعدة للعمل تحت تغطية طائرات Sioux الصغيرة ، وغيمة كثيفة من الدخان الواقي الناجم عن قنابل دخانية ترميها الطائرات أو من علب دخانية تفتحها عناصر المقدمة التي تنزل قبل عملية الإنزال الرئيسي .

وخلال ٢٠ ثانية انزلت كل هليكوبتر ٣٠ رجلاً مع سلاحهم الخفيف والثقيل وذخيرتهم . وبعد ١٠ دقائق كانت ٦ كتائب تشغل مواقعها على قواعد الانطلاق مستعدة للهجوم . وبدأ عشرون قاحطاً مدرعاً جلبتهم الرافعات الطائرة بفتح الممرات أمام القوات المهاجمة وسط الأدغال حيث يختفي من بقي حياً من الفيتناميين داخل المغاور والحفر . ولما أحس ثوار الفيتكونغ بجسامة الخطر وعدم تناسب القوى اخلوا مواقعهم وانتشروا داخل الادغال. وحاولت « قوة صدمة » قطع طريق انسحابهم ، كما قامت « قوة مطاردة » بإجبارهم على ترك الادغال والاتجاه الى الارض المكشوفة . وهناك قامت طائرات الهليكوبتر المحملة بالجنود بملاحقتهم بقفزات صغيرة متتالية (كقفزات البرغوث) . وكان قائد الفرقة يتابع من مقر قيادته الأمامي قتال وتقدم جميع قطعاته بفضل شبكة تلفزيونية محلية ، ويتلقى المعلومات ، وينظم التعاون والدعم بالنار ،

---

(١) استخدم الامريكيون في هذه العملية ٢٠٠ طن من النابالم وألف طن من القنابل زنة ٣٥٠ كلغ و ١٠٠٠ كلغ بالاضافة الى ألفي صاروخ.

(٢) أي ما يعادل ١٠ رشقات من اسلحة دارعة زنة ٥٨٫٠٠٠ طن .

ويعطي أوامره القتالية باستمرار ، ويقود المعركة الى نهايتها [1] .

جحيم خيه سانه وداك تو :

يعتبر حصار خيه سانـــه ومعركة داك تو من أهم الأحداث الرهيبة التي تحدثت عنها الصحافة العالمية بإسهاب .

وتمثل خيه سانه معسكراً متخندقاً يبعد ٩٠ كلم عن هوي ، ويقع على مقربة من طريق هوشي مينه فوق مفرق واد كبير ينحدر نحو لاووس . وهي تشكل في الحقيقة بؤرة تثبيت في مركز من المراكز الحساسة قرب المنطقة المجردة من السلاح المحيطة بخط العرض ١٧ . ولقد احتل الفيتكونغ المرتفعات المحيطة بها ، وأخذوا يحفرون فيها خنادق متعرجة تتجـه نحو الأسلاك المحيطة بالقاعدة ، وتصل في بعض الأحيان الى مسافة لا تزيد عن ٥٠ متر منها . وكانت ضربات معاولهم المكتومة تصل الى مسامع الامريكيين المحاصرين الذين كانوا يعرفون بأن الثوار يحفرون تحت أقدامهم بلا كلل عدد من الممرات والدهاليز المطمورة .

وكان مشاة البحرية الامريكية قد أنشأوا في خيه سانه جهازاً كثيفـاً من التحصينات تصل بينها مجموعة من خنادق المواصلات المحمية بأكياس الرمل . وفوق هذه الارض المحصنة قاتل الامريكيون خلال عدة شهور ضد عدو يفوقهم

---

(١) في هذه المعركة لم تساعد الارض الفيتناميين على استخدام اسلوبهم المعهود في الاختفاء السريع بعد الضرب . واستطاعت فرقة الخيالة الجوية الاولى تحقيق نتيجة ايجابية . وخسر الثوار ٢٨٠ قتيلا و ٦٢٨ جريحاً وكمية من العتاد والسلاح.

بيد ان هناك عمليات مماثلة باءت بفشل ذريع رغم كبر القوات وجسامة التحضيرات. كالعملية التي قام بها ٥٠٠٠ جندي امريكي في اغسطس (آب) ١٩٦٥ الى الجنوب الغربي من بلي - كو . والعملية التي قام بها ٨٠٠٠ جندي امريكي في يناير (كانون ثاني) ١٩٦٦ في « المثلث الحديدي » على بعد ٤٠ كم من سايغون. وكانت نتيجتها بعد يومين من القتال مقتل فيتنامي واحد. أمـا العمليات التي جرت في عام ١٩٦٨ قرب خط العرض ١٧ فقد عرف بعضها قسطاً من النجاح، على حين سقط البعض الآخر في « فراغ » كامل.

عدداً . وكان عددهم منذ بداية الحصار حتى نهايته يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٦٠٠٠ رجل . ومع هذا فقد أوقفوا هجوم فرقتين ثم ٤ فرق مزودة بالمدفعية . وكانوا يعملون ليل نهار ويدعمون مواقعهم ويحفرون الارض ويزرعون الألغام ويجهزون بائقات اللهب .

ووسط هذا الجحيم لعب العقيد دافيد ادوارد لوندز قائد القاعدة وقائد الفوج ٢٦ من المشاة البحرية دوراً أساسياً هاماً . ولقد اهتمت به جميع أجهزة الدعاية الامريكية ومنحته شهرة كبيرة . ولم يكن لوندز جندياً منذ صباه ، فقد تخرج من جامعة رود ايـلاند ، وحلم بأن يكون مهندساً زراعياً ، بيد ان الحرب العالمية الثانية أجبرته على ترك أحلامه والالتحاق بالجيش كملازم ثان احتياطي . وظهر نشاطه في معارك المحيط الهادىء ضد اليابانيين ، ثم قاتل في كوريا وأبدى هناك كثيراً من الهدوء ورباطة الجأش والفاعلية . وجاء بعد ذلك الى فيتنام وعمره ٤٧ سنة ليؤثر بشخصيته وعناده على رجاله ويجبرهم على الصمود أمام عدوهم . ولقد سأله أحد الصحفيين مرة : « ألا تخشوا يا سيدي العقيد أن يجتاحكم هجوم كاسح ؟ فرد عليه بهدوء « ان مهمتي هي ان اصمد وسأصمد » .

ويمكن أن أقول بأنه استطاع صد اندفاع الثوار بفضل قدرة رجاله القتالية ، والمثل الذي كان يضربه أمامهم ، دون أن ننسى عاملاً رئيسياً ساعده على الصمود ، وهو دعم المدفعية والطيران . فقد كانت المدفعية ترمي في الليل رمياً معلماً للازعاج على مناطق تتوقع وجود الأهداف فيها . وما أن يطلع النهار حتى تتعرض لرمايات الصواريخ وأسلحة المشاة ، فتعمد الى الرمي على النقاط القريبة من القاعدة . وكانت السماء مليئة بالطائرات من مختلف الأنواع : طائرات الاستطلاع الخفيفة التي كانت تراقب تطورات المعركة ، وطائرات « Skyraiders » التي كانت تنقض وتلقي بحممها على مواقع الثوار ثم تعود لتحلق وتختفي عن الأنظار ، وطائرات ب ٥٢ التي كانت تلقي قذائفها من ارتفاع ١٨٫٠٠٠ ألف م في عملية تطهير منهجية . وكانت الطائرات الضخمة

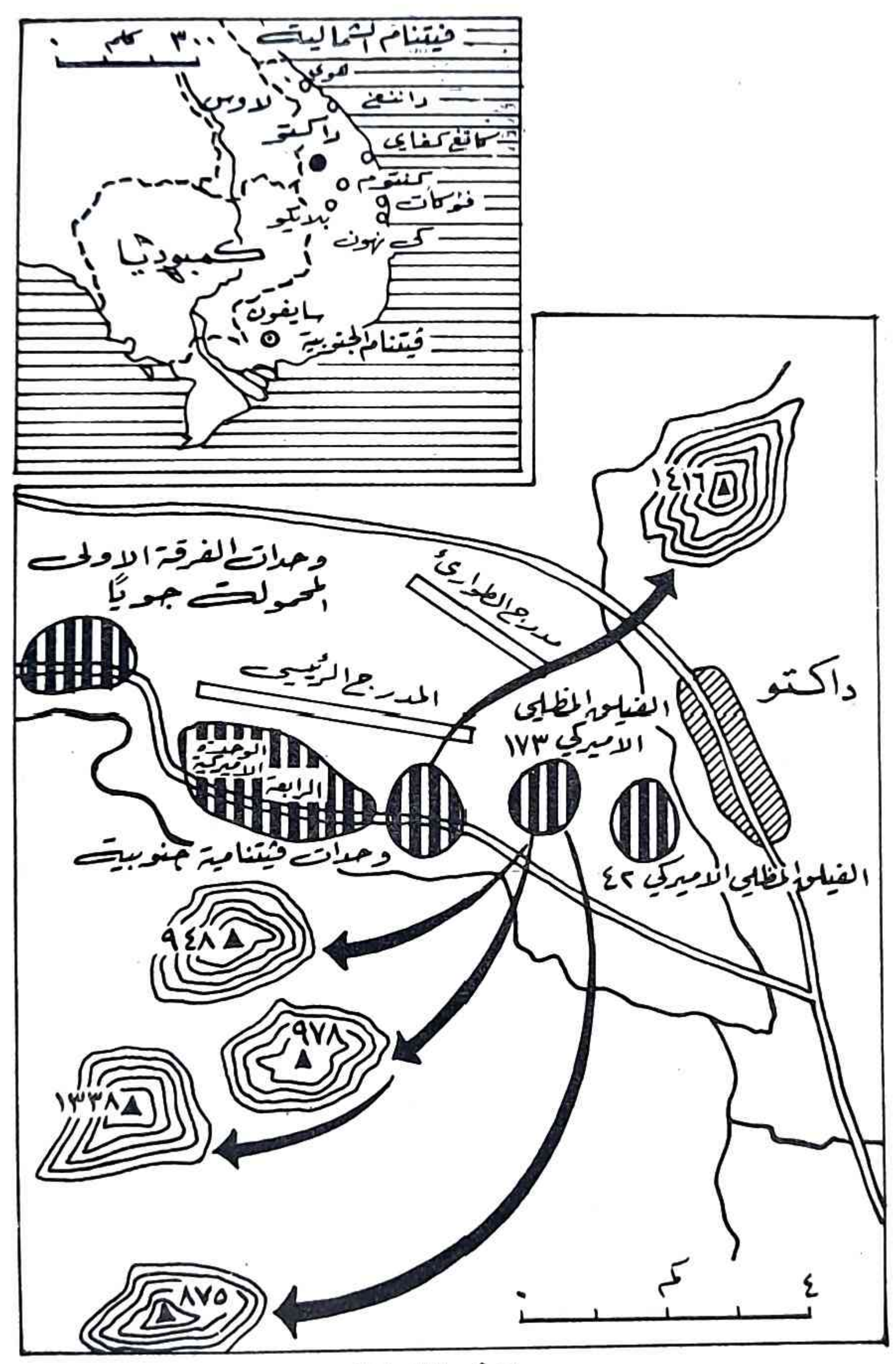
C 130 وطائرات النقـل C. 123 وطائرات الهليكوبتر Chinook تهبط وتقلع وسط انفجارات القذائف [1] لجلب المعدات والمؤن ونقـــل الجرحى والقتلى الى مركز الاسعاف الرئيسي حيث تنتهي آلامهم ومخاوفهم ، ويبدأون اول خطوة من خطوات تحقيق حلمهم بالعودة الى بلادهم .

وإذا كانت هذه القسوة التي لا مثيل لها « قد انتهت بالنسبة لمن قتلوا أو جرحوا فقد كان زملاؤهم الأحياء مجبرين على الاستمرار في قتال يزداد قسوة وضراوة . وكان رجـــال القاعدة يجابهون ضغط الثوار المتزايد بديناميكية الحركة ، لأن العمل الهجومي يشكل في بعض المجالات أفضل وسيلة للتخلص من تصاعد الهلع ، وأحسن سبيل للنجاة من السحق تحت ضربات نارية مكثفة ترافقها موجات بشرية متدفقة . ولهذا السبب قـــام الفوج الثالث من مشاة البحرية بعمليات هجومية استغرقت من ٤ حتى ٦ مايو (ايار) ١٩٦٧ ليطرد الثوار من الهضبة ٨٨١ التي نبشتها القنابل وجعلت سطحها شبيهـــاً بسطح القمر [2] . فخسر خلال عمليات الانقضاض ١٨١ قتيلاً و ٩٥٧ جريحاً .

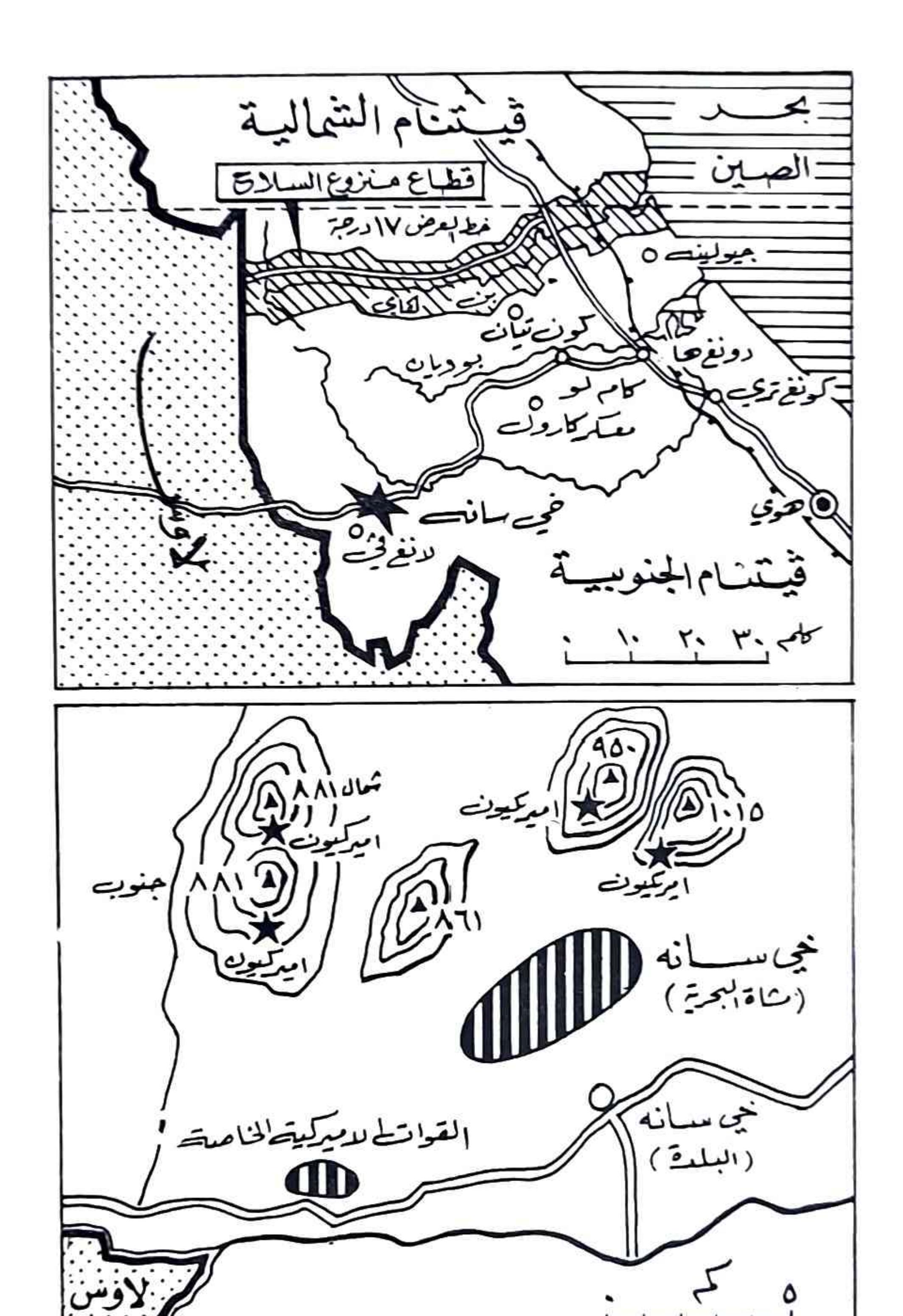
ودفعت القاعدة خلال شهور طويلة ضريبة باهظة جـداً . وأدت المعارك الطاحنة الى إثارة الأفكار ووضع الاحتمالات المتعددة ، ثم عرف القتـال فترة طويلة نسبياً من الهدوء بعد هجوم الفيتكونغ الكبير في رأس السنة الفيتنامية . واستغلت القيادة الامريكية هذه الفرصة لفك الحصار عن خيه سانه وإخلائها . وفي يوم ٥ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ استطـاع الجنرال كوشمان تنفيذ هذه المهمة

(١) منذ فبراير (شباط) ١٩٦٨ لم تعد الطائرات130 - C تأتي الى خيه سانه نظراً لأنها تشكل هدفاً سهل الضرب. وحلت محلها طائرات 123 - C نظراً لأنها اصغر حجماً وتستطيع الهبوط فوق الذرى .

(٢) ألقت طائرات ب ٥٢ حوالي ٨٥٣ قنبلة من عيار ١٠٠٠ ليبرة. وبمـــا ان بطاريات المدفعية الفيتنامية كانت محمية بشكل قوي داخل الحفر والمعاقل المطمورة فقد استخدم الطيران الامريكي ٦٦٥ قنبلة تأخيرية من عيـــار ٦٤٣ ليبرة. وتؤثر هذه القنابل بفاعلية كبيرة على التحصينات والبطاريات الموجودة في الحفر والملاجىء نظراً لأنها لا تنفجر إلا بعـــد اختراق سطح الارض .


فيتنام الشمالية
٣٠٠ كلم
هوي
دانانغ
لاوس
داكتو
كانغ كفاي
كنتوم
فوكات
بلايكو
كي نهون
كمبوديا
سايغون
فيتنام الجنوبية
وحدات الفرقة الاولى المحمولة جويًا
مدرج الطوارئ
المدرج الرئيسي
داكتو
الفيلق المظلي الاميركي ١٧٣
الوحدة الاميركية الرابعة
وحدات فيتنامية جنوبية
الفيلق المظلي الاميركي ٤٢
١٤١٦
٩٤٨
٩٧٨
١٣٣٨
٨٧٥
٤ كم

معركة داك تو



المواقع الاميركية في خي سانه

بمساعدة قوة مؤلفة من ١٠ آلاف مقاتل منهم ألفين من الفيتناميين الجنوبيين . ودمر مشاة البحرية قبل الانسحاب كل المنشآت القابلة للاستخدام . وانتهت بذلك مغامرتهم الخطيرة الطويلة .

وبالاضافة الى خيه سانه دخلت القاعدة الامريكية داك تو التاريخ في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ . وجذبت في ذلك الوقت أنظار العالم أجمع . وبدأت الصحافة العالمية تتحدث عن ذكريات جواد القتال وديان بيان فو . ونسيت الدور الخطير الذي يمكن ان تلعبه « المظلة الجوية » الامريكية ، وتأثير ذلك على نتيجة المعارك .

وداك تو قرية صغيرة تقع فوق النجود العالية . وعلى بعد ١٥ كلم من الحدود المشتركة مع لاووس وكامبوديا . ويعطيها موقعها الكائن على نهاية طريق هوشي مينه أهمية عسكرية خاصة . ولقد وضع فيها الامريكيون قاعدة متقدمة مع قطعات مختارة [١] على حين جمع الفيتناميون على الهضاب المحيطة بها والمغطاة بأدغال كثيفة من العرائش والبامبو والاشجار الضخمة قوة تقدر بـ ١٢٫٠٠٠ رجل ، يشكلون خمسة أفواج (٤ أفواج مشاة وفوج مدفعية صاروخية عيار ١٢٢ مم ، وكتيبة صواريخ ١٤٠مم) . ولم يكتف الامريكيون باحتلال المنطقة ، بل بنوا فيها معسكراً حصيناً يضم ٥٣٥ موقعاً ومجموعة كبيرة من الخنادق والملاجىء المتصلة بأنفاق مطمورة .

ويشبه الدفاع عن داك تو الدفاع عن خيه سانه من عدة وجوه . وهو يعتمد على المواقع ونقاط الاستناد والرمايات المباشرة وغير المباشرة التي تقوم بها المدفعية والطيران . وهناك حالات اشتركت فيها ٢٠ بطارية مدفعية من عيار ١٠٥ بالرمي بمعدل رشقة كل ٣٠ ثانية . وتلقي طائرات ب ٥٢ عند الضرورة مئات الأطنان من القنابل المتفجرة والفوسفورية ، وتقوم طائرات الانقضاض

---

(١) الفرقة الرابعة مشاة ، اللواء ٢ ٤ مظلات ، واللواء ١٧٣ مظلات وبعض القطعات الفيتنامية الجنوبية .

بقصف مواقع الثوار بالنابالم . وفي الموقع مهبط للطائرات لا تقف فيه حركة الهليكوبتر والطائرات المحلقة أو الهابطة ، كما أن مئات السيارات الكبيرة والصغيرة تتحرك على الطرقات بلا انقطاع مثيرة وراءها غمامة كثيفة من الغبار الأحمر .

ولقد عرف الموقع من ٢ حتى ٢٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ حركة غير عادية ، فهنا وقع اشتباك من اكبر اشتباكات الحرب الفيتنامية وأكثرها عنفاً ودموية . وكان على رأس القوات الامريكية المدافعة آنذاك الجنرال بيرز الذي قاتل في بيرمانيا قبل ٢٤ سنة . وحتى ١٩ نوفمبر (تشرين ثاني) استطاعت هذه القوات استعادة المرتفعات ٩٤٨ و ٩٧٨ و ١٣٣٨ . ومن ٢٠ حتى ٢٤ اندفعت لاستعادة المرتفع ٥٧٨ . وهناك آلاف من المرتفعات المحيطة بسلسلة الجبال الأنامية وتحمل الرقم نفسه ، ولكن أي واحد منها لم يشهد مأساة كمأساة هذا المرتفع .

وعندما رأت قيادة الموقع امكانية استعادة المرتفع ٥٧٨ كلفت لواء المظلات ١٧٣ بتنفيذ المهمة . وفي الساعة الخامسة من صباح ٢٠ نوفمبر (تشرين ثاني) انصبت النار على المرتفع من كل جانب . وبطلعة جوية واحدة قامت ٣٤ طائرة من طراز ب ٥٢ بإلقاء ٩٠٠ طن من القنابل . واشتبكت سريتان من اللواء بكل حذر فوقعتا تحت رمايات كثيفة من الرشاشات الثقيلةوالصواريخ. وما لبثتا أن تجمدتا وحاولتا التقدم عدة مرات ولكن محاولاتهما باءت بالفشل رغم إحراز بعض النجاحفي بادىء الأمر . واستطاع بعض المظليين الذين هبطوا على القمة خلق مركزي مقاومة صغيرين ، والتشبث فيهما بقوة اليأس الذي لا يجد أمامه حلاً سوى الصمود. ولكنهم ما لبثوا أن أُجبروا على التراجع وفشلت محاولاتهم الصغيرة للتقدم نحو الخصم . ولقد وجدت طائرات الفانتوم صعوبة كبيرة في دعمهم وتحديد خط القصف بشكل جيد [1] . وكان المظليون

---

(١) قامت احدى طائرات الفانتوم بإلقاء قنبلة من عيار ٥٠٠ كلم على مركز إسعافامريكي نتيجة خطأ في الرصد فقتل من جراء ذلك ١١ طبيباً امريكياً .

مضطرون الى تحديد الأهداف بالقنابل المدخنة الملقاة باتجاه المعاقل ، والتقدم متراً بعد متر نحو نصر بعيد المنال. حتى أُنهكت قواهم واضطرت القيـــادة الى تبديلهم في ٢٣ نوفمبر (تشرين ثاني) .

وجاءت قوات جديدة على موجات متعاقبة ، فاكتشفت من الجو منظراً رهيباً مثبطاً للعزائم . ففي كل مكان يخيم الفراغ والعدم والموت . لقـد قتل الانسان كل شيء حتى الاشجـار والاعشاب ، وبدت الارض محفورة منبوشة ليس فيهـــا سوى اكوام الحديد المحروق والخنادق المهدمة . كما بدى حطام ٧ طائرات هليكوبتر متناثراً على الارض ، وبدت هياكلها المعدنية ملويّة بشكل يدعو الى الاستغراب وكأنها هياكل عمالقة جرّدها الزمن من لحمها . وكأن هذه القطع المعدنية البائسة ترفع حطامها متضرعة الى السماء . وكان الجرحى يحسون بقلق عميق بعد ان انتظروا يومين كاملين قدوم أية طائرة لإنقاذهم .

وفي اليوم الخامس من المعركة هاجم المظليون الذروة مستخدمين بانقات اللهب الخفيفة ، واستطاعوا احتلالها بعد قتـــال مرير . وفي يوم ٢٦ انتهى تطهير المرتفع ٨٧٥ واستعاد المظليون الامريكيون الموقـع بعد أن دفعوا ثمن ذلـك كثيراً من الجهود والآلام والضحايا . وستبقى ذكريات معركة داك تو أمداً طويلاً محفورة في أذهان من بقي منهم حياً .

خاتمة

ولنتساءل الآن عن الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه من هذه الحرب .

ان الأحداث تتكلم عن نفسها ، والملاحظ أن الساسة الامريكيين الذين أعماهم شعارهم القديم « آسيا أولاً » أنكروا بعناد أن يكون في الجنوب ثورة ضد حكومة الجنوب ، وتجاهلوا دروس تجارب الشعوب الأخرى ، وألهبوا شعلة الحقد والبغضاء ، قبل أن تندلع نيران الثورة العارمة . لقد خنقوا صوت الديموقراطية ، ودعموا نظاماً ديكتاتورياً ظالماً ، ولم يقدروا خصمهم حق قدره ، ونظروا بازدراء الى شعب فيتنام وثروته اللذان لا يعادلان ١ / ١٠٠ من وزن الولايات المتحدة الامريكية . ولم يترددوا عن إشهار حسامهم ، والاندفاع بحماقة مجنونة في الحرب ، والانتقال من تصعيد الى تصعيد ، يدفعهم شعورهم بقوتهم وتفوقهم . ويؤكد الجنرال غافين ذلك بقوله : « ان الأخطاء القاتلة في هذه الحرب لا تأتي من ساحة القتال ، ولكنها تنبعث من قلب واشنطن »[١]. ومما لا شك فيه أن هذه الأخطاء هي التي دفعت الى تأجيج نار الحرب الثورية ودفعت بها الى حدودها القصوى .

وإذا نظرنا الى جميع الحروب الثورية عبر التاريخ ، وجدنا ان الحرب الامريكية – الفيتنامية هي أقل هذه الحروب إنسانية وأكثرها إزهاقاً للأرواح واستنزافاً للأموال . وهي تجسد بكل فظاعتها ما يمكن أن تتعرض له الشعوب الضعيفة من قمع وتعذيب . انها حرب نفسية وفكرية وثورية وشعبية . انها صراع داوود ضد غوليات ، صراع الفقراء ضد الأغنياء ،

---

(١) غافين – المرجع المذكور سابقاً .

والبشر ضد الآلات الحربية الهائلة . انها كل هذا بآن واحد ، بالاضافة الى انها وطنية وعالمية .

انها وطنية نظراً لتجمع الشعب فيها ، حول فكرة رئيسية هي الاستقلال الوطني . وهي تسعى لتحقيق مهمة تاريخية ، وهذا ما يجعلها ترفض الهزيمة . بالاضافة الى انها تؤدي الى اكبر الانقلابات ، وتحرث الأرض الاجتماعية بعمق ، وتملأ القلوب بالحقد ، وتشتت مئات الآلاف من الأسر ، وتجبر ملايين البشر على ترك أراضيهم وبيوتهم ، وتدمر المدن وتنشر الخراب في مناطق كاملة ، وتترك خلفها أعداداً كبيرةَ من القتلى والمشوهين. انها تستخدم الكذب ، وتزرع الشك في أشد النفوس بأساً وأكثرهـا مضاء ، وتطلق اسم المخرب المجرم على الرجل الذي يدافع عن وطنه . وتعطي لقب الزعيم المخلص والمواطن الصالح لكل من يخون بلده ويتعاون مع عدو أمته .

وهي عالمية لأنها مجال تتصارع فيه الدولتان الكبيرتان بالاضافة الى الصين بحثاً عن السيطرة على العالم . ولأن آثارها وأخبارها تنتشر بسرعة ، وتدخل كل بيت في العالم أجمع . وتدفع تصعيد الخوف الى ذروته القصوى . وتسبب غليان الأفكار ، وتخلق في كل مكان بؤرة قابلة للاشتعال في كل لحظـة . ويعتبرها كثير من شعوب العالم الثالث دليلاً يرفع لواء الثورة الخفـّاق على طريق التحرر . وتنتقل آثارها الى هذه الشعوب لتخلق وسطها جواً ثورياً ومناخاً يساعد على نشوب الحروب الأهلية . كما انها تذكر الجميع بأن كل ما تبنيه القوة يمكن ان تستولي عليه قوة اخرى . ومن المفيد هنـــا ان نذكر بأن عدداً من الحركات الثورية وأعمال العنف في افريقيا وامريكا اللاتينية يأخذ من الثورة الفيتنامية دروساً بالغة الأهمية . وهناك كثير من المظاهر التي تختفي تحتها نار متأججة ، كما ان بوسع الفتيل المشتعل أن يسبب اندلاع اللهيب في كل مكان . لكل هذا يمكن ان نقول بأن الثورة الفيتنامية تهم العالم أجمع .

وهي تشغل قبل كل شيء بال الشعب الامريكي . ويحس هـذا الشعب بأنه

واقع تحت تأثير سيل جارف فيفقد كيانه واحترامه لنفسه ... ويدين الضمير الامريكي هذه الحرب التي تخلق لدى كل مواطن شعوراً بالحرج والخجل . وتعبر الجماهير الامريكية عن ذلك بالتذمر والاضرابات والمظاهرات المطالبة بالسلام. وتؤيد الكنيسة هذه المطالب وتدفع على طريق إيقاف القتال . ويمثل الزنوج الامريكيون في هذا النزاع عاملاً سياسياً حاسماً . فقد يؤدي استمراره الى تفجير البنيان الذي يسحقهم . وهم يبدون تعاضدهم مع مقاتلي الفيتكونغ ، ويطالبون بجزء من المصروفات الباهظة المخصصة للحرب كيما يحسنون اوضاعهم المعيشية البائسة . ويتهمون الحرب بأنها تستنزف الميزانية العامة وتزيد من اضطراب ميزان المدفوعات وتقلل الثقة العالمية بالدولار ، وتنقص من قدر الزعماء الامريكيين ، وتزيد قوة المجموعات المسيطرة المستغلة وخاصة داخل الجيش . ان الجيش بحاجة لمن يقوده ، فإذا لم يجد هذا الرجل يوماً ، واذا لم يتوصل الى حل شريف يخرجه من هذا النفق المظلم ، تعرض الى صدمة قوية ، وغدا خطراً يهدد الديموقراطية الامريكية نفسها ، وخاصة اذا ما أصر على تحقيق الأهداف الامبريالية الكامنة وراء « السلام الامريكي » .

ويتفق جميع من يحسون بهذا الخطر بأنه ليس في العالم جيش قادر على الصمود أمام شعب موحد يثور مطالباً بحريته . كما ان الجيش الذي يجابه هذا الشعب بوسائل العنف والقسوة يقوي اندلاع الثورة بدلاً من أن يخمدها ، ويزيد التوتر الثوري الذي يتسرب الى كل مكان فوق ارض مضرجة بالدماء. وتتعاظم الشراذم وتتجمع حتى تغدو فرقاً ، وتتولد البطولات من البطولات فتُغرق البلاد وتهز أبعد المقاطعات . ويظهر الثوار في كل مكان بفاعليتهم المتجددة أبداً ، وقدرتهم وانضباطهم الرائعين ، وصمودهم الدائب أمام العاصفة ، وايمانهم المطلق بالقضية التي يخدمونها، ورغبتهم بالسير قدماً الى الأمام.وهنا لا تستطيع أية قوة إيقاف هذا المد البشري الذي خضع طويلاً للقهر والعبودية . ولا شك في أن توقع هذا المد ودرئه قبل وقوعه خير من الاضطرار الى مجابهته على ارض المعركة . كما أن تصحيح الأخطاء خير من الاستمرار فيها ، والتفاوض لإيجاد الحلول أفضل من اللجوء الى قوة السلاح .

ولم يستطع الجيش الامريكي فهم هذه الامور، بل ارتدى على العكس لباس الاستعماريين الذين أدانهم من قبل بكل عنف . وخدعه مظهر الكيان الفيتنامي المهترىء ، وأخفى عنه البركان الذي يعيش فوقه ، واعتقد القادة العسكريون بأنهم قادرون على تحقيق النصر خــلال عدة شهور . ولقد حاولت هيئات الأركان الامريكية اللجوء الى أساليب القتال التقليدية التي تتقنها ، بعد أن أدخلت عليها بعض التعديلات الجزئية . وتتمثل هــذه الأساليب بالمعركة النظامية مع تركيز القوى والعمل على جبهة محددة ومؤخرة أمينة . وكانت تعتبر ان قدرتها الحركية الكاملة ، وقوتها النارية الكبيرة ، وتفوقهـا المطلق في الجو وعلى البحر ، تشكل عوامل حاسمة لا تقاوم .

لقد قام الطيران الامريكي بآلاف الهجمات المركزة على الجسور والسكك الحديدية والممرات والتجمعات والتحصينات . وتابع غاراتــه دون تحديد معتمداً على الرعب الناجم عن النابالم ، والفوسفور ، والغازات ، والقنابل المميتة للمزروعات ، وقنابل المنشار ذات الكرات أو الاسهم . واستطاعت غاراتـه إحداث تخريبات وخسائر فادحـة . ولكنها لم تستطع مطلقاً سحق مواقع الفيتكونغ أو منع قدوم النجدات أو السيطرة على هذا الشعب الصامد الذي طالما نظر اليه المستعمرون البيض بازدراء ... وتؤكد تجارب الحرب الفيتنامية ان هذه الاساليب القديمة فاشلة وتكلف كل من يستخدمها غاليــاً ... وقد تستطيع إبادة الشعب وتدمير البلاد ولكنها ستترك حتى في المقابر بعض الأحياء الذين يقفون بعناد وصلابة ، ويصعدون القتال حتى حدود الصدام العالمي .

ان استمرار الاستراتيجية الامريكية في تصعيد الحرب سيذهب بهـا الى حتفها . وهي تجد نفسها اليوم أمام موقف شائك لا تحسد عليه . انها مضطرة لأخذ تشكيلة منتشرة ، ولكنها تجد نفسها مترددة بين بعثرة القطعات وجمعها ، وبين تكليف القطعات بعمليات هجومية او الاكتفاء بعمليات دفاعية تستهدف مسك بعض النقاط التي يهددها الثوار . والحقيقة أن قوات الفيتكونغ تسيطر على معظم المناطق الريفيــة . كما ان صواريخهم وهجماتهم الواسعة ومجموعاتهم

الفدائيــة تصل الى المدن والقواعد الكبرى باستمرار ، وتخترق الموانع وتفتح الثغرات دون ان تستطيع القوات الامريكية والحليفة إيقافها في جميع المرات. وتتعرض المخافر الصغيرة المنعزلة المخصصة لمراقبة بعض المناطق الحساسة الى الازعاج المستمر . وكثيراً ما حاصرها الفيتناميون وقطعوا عنها الإمدادات البرية والجوية وكبدوهـا خسائر كبيرة . ولا تكفي شجاعة المدافعين لتبديد الشكوك والمخاوف . وتقف الأجهزة الاليكترونية عاجزة عن تقييم العوامـل الخاصة بعناد العدو وتصميمه ، وقوة الافكار التي تختمر داخل فيتنام الجنوبية ، وضعف حكومة سايغون وجيشها اللذان لا يمثلان آمال الشعب وتطلعاته . ولا شك في ان تدخل العسكريين في الحياة السياسية في فيتنام الجنوبية كان كارثة خطيرة ، لأن نظامهم يقمع الشعب ويشل الامكانيات ويفتح الطريق أمام الفساد الفاضح . ويأتي سيل التطلعات والشهوات والتنافس ونكران القيم ليحطم المعنويات ، خاصة وان أقصر سبيل الى تحطيم معنويات شعب من الشعوب هو دفعه نحو خيبة الرجاء .

لقد تحدث كلاوزفيتز مطولاً عن المعنويات ووصفها بأنها « أهم العناصر في الحرب الثورية » ، وهي في الحقيقة عامل هام في جميع الحروب ، ولا يمكن لأفضل الاسلحة أن تعمل بفاعلية إلا إذا وضعت بين أيدي جنود مصممين على القتال . ولقد أكد هوشي مينه في عام ١٩٤٦ [1] هذه الفكرة بقوله : « ان روح الانسان أقوى من آلاته. تذكروا أيها الامريكيون ان حفنة من الفلاحين الفقراء استطاعت هزيمة جيش من المحترفين كان يمثل مجد أوروبا » . وعندما تحدث جياب عن الحرب الشعبية قال عن المعنويات : « ليتفوق العامل المعنوي

---

(١) من حديث صحفي أجراه الصحفي الامريكي دافيد شو انبرون مع هوشي مينه بعد انقطاع المفاوضات مع فرنسا في ١١ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤٦ . ولقد وضع شو انبرون كثيراً من الأحاديث في كتابه (Ainsi va la France (Julliard 1958 . وجاء هنري آزو بعد ذلك ليذكرنا بكل هذه الأقوال في كتابه :

Hô Chi Minh - Dernierè chance (Flamarion , 1968) .

دائماً على العامل التقني الذي يملكه الخصم »[1] . ولم تؤثر الاسلحة الحديثة الامريكية على الشعب الفيتنامي بأكثر مما أثرت بنادق الاستعماريين الانكليز القدامى ضد ثوار البلاد المستغَلة . ويتلقى الجندي الامريكي اليوم أقسى ضربة تعرض لها في حياته . انه يتعثر وسط الادغال فوق ارض غريبة عنه ، ولا يملك أي دفاع فعال يقيه من الموت ، بالرغم من كل ما يستطيع استخدامه من قوة نارية فعالة متفوقة في صراع يتجابه فيه الانسان والارادات .

وأمام هذا الجندي الغريب يقف شعب صامد كالصخر يتمتع بشجاعة وفداء وقوى معنوية لا يمكن نكرانها . ويبرهن هذا الشعب أمام المخاطر عن صفات أسطورية كالعناد والمهارة والصبر والعبقرية « التي ما كانت لتعطي اؤكلها لولا إيمانه العميق بعدالة قضيته . اننا نجد أنفسنا في فيتنام امام ظاهرة نفسية جماهيرية استطاعت عبر التاريخ ان تقلب كل الحسابات والقواعد والتقديرات التقليدية »[2] .

ولا يستخدم الفيتكونغ الآلات الاليكترونية لتخطيط عملياتهم ، ولكنهم يملكون استراتيجية وتقنية لم يستطع الرجل الأبيض فهمها بعد . وتبقى حربهم قبل كل شيء ظاهرة اجتماعية وسياسية ، لا في أهدافها فحسب ، بل في طبيعتها وأساليبها . وهم يجابهون الحرب التقليدية كالتهاب عام أصاب جسم الأمة ، وهو التهاب ُمعدٍ وصفه الرئيس الراحل هوشي مينه بقوله : « انه ينبثق من جميع طاقات الحياة الاجتماعية ، ويدخل في أعماق أعضاء الجسم كله » . وتعتمد الحرب الفيتنامية على دعم الشعب للقوى المقاتلة . وتمارس قوات الفيتكونغ العمل الايديولوجي ومحاولات كسب السلبيين ، وتصفية العملاء وتنظيم الجماهير المدنية والريفية وتأطيرها ، في الوقت الذي تشن هجوماً سياسياً شاملاً ضد جيش وإدارة حكومة فيتنام الجنوبية العميلة .

وهكذا يخدم الصراع السياسي الكفاح العسكري المسلح ، ويساعده على

(١) المرجع المذكور سابقاً .
(٢) الدكتور اسكوفييه لامبيوت – المرجع المذكور سابقاً .

أخذ المبادهة الاستراتيجية والتكتيكية فوق حقل المعركة . ويؤمن للقائد العسكري حرية عمل كاملة ، ويسمح له بأن يستخدم الحد الأقصى من القوات في النقطة الحاسمة . ويستخدم هذا القائد عادة المفاجأة والحركة والمرونة كترس يحتمي به ويسيطر من ورائه على المواقف الخطرة . وهكذا تتخلص قواته من الضربات القوية ، وتتملص من التطويق أو من عمليات « القص » ، وتظهر حيث لا يتوقع العدو . وتتجمع ثم تتفرق بسرعة البرق ، وتبدو وكأنها قوة متبدلة الأشكال لا يمكن الإمساك بها . وهي تشن الهجمات الواسعة أو العمليات الصغيرة بشكل متناوب متناسق، وتضرب عدوها بآن واحد وفي كل مكان من جبهته ومؤخرته وأجنحته ، وتتوغل حتى تصل الى قلب تشكيله الدفاعي . انها تثب الى هدفها قبل ان يستطيع خصمها الثقيل جمع قواته الرهيبة ، ثم « تختفي » وسط الجماهير التي تحافظ على الصمت وتكتم السر. ولا تلبث أن « تذوب » وسط الطبيعة بفضل شبكة رائعة من المخابىء والدهاليز ، وتطبيق كامل لأساليب التمويه والأفخاخ .

وتحس قوات الفيتكونغ بأهمية دورها التاريخي ، وهذا ما يجعلها تحاول المستحيل لتحقيق النصر والوصول الى هدفها بالحيلة إذا لم تصل اليه بالقوة . وستصل عاجلاً أو آجلاً الى قطف ثمار صراعها الطويل المرير تحت قيادة رجال قادرين على التفكير بوضوح والعمل بفاعلية وجرأة . وستحقق في هذه المعركة غير المتكافئة نصراً معنوياً . وستنتهي هذه الحرب الحمقاء الوحشية في يوم قريب ، ولكنها لن تنته نتيجة هزيمة الامريكيين أو الفيتناميين ، لأن الوصول الى مثل هذه النتيجة أمر غير ممكن . بل ستنتهي عندما يربح الفيتناميون أفكار خصمهم ، وعندها ستخرج محادثات باريز من الحلقة المفرغة التي وقعت فيها . وسيصل الشعب الفيتنامي الى تحقيق كرامته ، وسيثبت للعالم أجمع بأن اكثر من مليون رجل مدججين بالسلاح فشلوا في إيقاف الأفكار الحرة . وقد يكون انتصار الفيتناميين درساً يوقف العدوان الاستعماري لقناعة المعتدين بعدم جدواه، ويوقف بالتالي انتشار الحروب الثورية لصد العدوان .

الفهرست

الموضوع		صفحة
تقديم		٥
القسم الأول :		٩
الفصل الأول	: المعطيات الجغرافية	١١
الفصل الثاني	: المعطيات التاريخية	٢١
القسم الثـاني :		٣١
الفصل الثالث	: الاستراتيجية الفيتنامية العامة	٣٣
الفصل الرابع	: الاستراتيجية السياسية والنفسية والاجتماعية	٤٩
الفصل الخامس	: الاستراتيجية الاقتصادية	٧٣
الفصل السادس	: الاستراتيجية والتكتيك العسكريين	٨٣
القسم الثالث :	الحرب من الجانب الامريكي	١٣٥
الفصل السابع	: الاستراتيجية الامريكية العامة	١٣٧
الفصل الثامن	: الاستراتيجية العسكرية	١٨٧
خاتمـة	:	٢٦٥



هذا الكتاب

لم تكتسب ثورة فيتنام اعتراف العالم ببطولتها ، و تأييده لها ، لمجرد كونها حرب تحرير وطنية ، وانما فرضت قوى الثورة احترامها على العالم من خلال المثال الرائع الذي قدمته عن التنظيم والوعي الثوريين .

هـذه العقلية الثورية المنظمة التي انتجتها جبهة التحرير الفيتنامية ، هي التي تكمن وراء البطولات الشعبية والابداع الخارق لوسائل المقاومة الملائمة .

ولا يستطيع المرء ان يلمس عظمة الثورة الحقيقية ، الا اذا عرف مـدى التفوق البشري الامريكي ، وضخامة القـوى التكنيكية التي حشدتها للحرب ، حيث لم تترك سلاحاً كيميائياً او اختراعاً جديداً الا وجعلت فيتنام حقل تجربته الحية .

قيمة هذا الكتاب انه يقدم صورة واقعية لميزان القوى ولوسائل التدمير الهائلة ، ولاستراتيجية وتكتيك المتحاربين .

« الناشر »

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٥٥٠ ق. ل.
٧٠٠ ق. س.